المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الصدام بين الشرق والغرب
الممرات المسدودة القاتلة

تأليف: أنطوان سفير
كريستيان شانسو

ترجمة
تميم فتح الباب خليل

1625

الصدام بين الشرق والغرب

الممرات المسدودة القاتلة

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1625
- الصدام بين الشرق والغرب: الممرات المسدودة القاتلة
- أنطوان سفير وكريستيان شاسنو
- تميم فتح الباب خليل
- الطبعة الأولى 2010

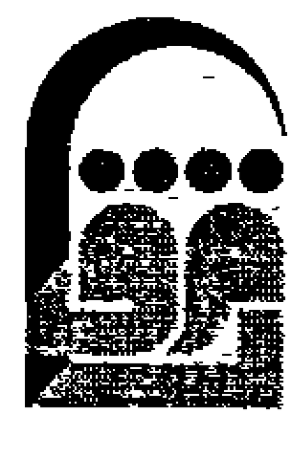
هذه ترجمة كتاب:
ORIENT OCCIDENT LE CHOC?
Les impasses meurtrières
Par: Christian Chesnot et Antoine Sfeir

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

الصدام بين الشرق والغرب
الممرات المسدودة القاتلة

تـأليــــــف: أنطوان سفير وكريستيان شاسنو

تـرجمـــــة : تميم فتح الباب خليل



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سفير ، أنطوان

الصدام بين الشرق والغرب: الممرات المسدودة القاتلة/ تأليف:

أنطوان سفير وكريستيان شاسنو، ترجمة: تميم فتح الباب خليل

ط ١ – القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠

٢٥٦ص ، ٢٤ سم

١ – العالم العربى – علاقات خارجية – أوروبا

٢- أوروبا – علاقات خارجية – العالم العربى

٣- الاستعمار الجديد

(أ) شاسنو ، كريستيان (مؤلف شارك)

(ب) خليل ، تميم فتح الباب (مترجم)

(جـ) العنوان

رقم الإيداع ٧٢٥٦ / ٢٠١٠

الترقيم الدولى: I.S.B.N 978 - 977- 704 - 010- 5

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

المقدمة

الفاصل الكبير

الحديث فى وسائل الإعلام عن العالم العربي، يتلخص فى الغالب فى أوجاع يغذى بعضها بعضًا، تطرف ديني، وإرهاب، وتفشي الرشوة، وحقوق الإنسان المهضومة، ونظم تسلطية أو ديكتاتورية، ووضع رجعى للمرأة، والأمية المزمنة، والفقر ... .

ينظر إلى الشرق الأوسط على أنه منطقة عنف وفوضى وعدم تفاهم، بينما الحديث فى أركان العالم الأربعة لا يكون إلا عن التطور، بما فى ذلك إفريقيا، ويظل الرجل العربي باديًا كأنه يحيا على هامش حركة التطور والتبدلات الحالية.

هل هناك نقمة أصابت العالم العربي الذي يمتلك كل المقومات لتحقيق تقدمه؟

ثروة هائلة من بترول وغاز، شعوب ديناميكية، وحدة لغة رغم الاختلاف فى بعض اللهجات المحلية، موقع جغرافي متميز فى ملتقى آسيا وإفريقيا وأوروبا، نخبة من المثقفين، وبلدان ذات ثقافات وحضارة قديمة، لكن أكثر من أي وقت مضى، وفي بداية هذا القرن الحادي والعشرين، يظل الشرق الأوسط يتخبط فى أزمات لا يستطيع التخلص منها، ويصعب فهمها من جانب المتخصصين والرأي العام.

ويكفي لإدراك ذلك أن نتوقف قليلاً عند خريطة المنطقة : إن الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، والذي ولد عام ١٩٤٧ – ١٩٤٨ مازال قائمًا بلا حل دائم يبدو فى الأفق، فى حين أنه يكفي أن تطبق قرارات الأمم المتحدة والقرارات

المختلفة لخطط السلام (اتفاق أوسلو، والمبادرة العربية لعام ٢٠٠١، وخارطة الطريق ... إلخ). إن تحكم حماس فى قطاع غزة منذ عام ٢٠٠٦، وعناد الحكام الإسرائيليين أفشل كل فرص السلام منذ وقت طويل ... ومهما قلنا عن القوى الغربية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، فإن تقدم السلام يعتبر فى حالة مرض، وقد يلزم سنوات لوضعه على المسار الصحيح، وذلك لن يتم من خلال الخطب الجميلة التي لم يعد يصدقها أحد.

العراق كان مخططا له أن يصبح مثالاً للديمقراطية فى شرق أوسط جديد .

بلاد ما بين النهرين أصبحت كابوسًا لسكانها، أحرار فى بلدٍ حطمه العنف بين مجتمعاته، ملايين العراقيين هربوا، المجتمع المسيحي الذي يعد من أقدم المجتمعات فى هذه المنطقة أصبح على وشك الاختفاء، الولايات المتحدة أنفقت مبالغ طائلة، جوزيف ستجليتز الحاصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد يتحدث عن ٣٠٠ مليار دولار أنفقتها إدارة بوش خلال خمس سنوات، ويلزم سنوات طويلة لإعادة الاستقرار فى العراق وعلى الأخص إعادة التوافق بين العراقيين أنفسهم .

صحيح أن تاريخ العراق كان يكتب دائمًا بالدم، والغزو الأمريكي البريطاني فتح صفحة مأساوية جديدة وترك صدام حسين بلدًا ضائعًا منهارًا.

في لبنان الأزمة السياسية فى طريق مسدود، الموالون لتحالف الرابع عشر من آذار مارس، الذي يجمع الموالين للغرب والمعارضين لسوريا فى جانب والموالين لتحالف ٨ آذار مارس بقيادة حزب الله فى جانب آخر، مواجهة أخرى فى محاولات عقيمة للسيطرة على السلطة وهو ما يشكل خطرًا على استقرار البلاد .

أشباح الحرب الأهلية (١٩٧٥-١٩٩٥) ليست بعيدة فى حين أننا قد اعتقدنا أن لبنان خرجت من أهوال العنف، واليوم تعمل قوى متعارضة داخلية وخارجية. أزمة إيران النووية تلعب جزءًا فى لبنان عبر حلفاء طهران.

المجتمع المدني اللبناني مازال حيًا بطريقة مثيرة للدهشة، لكن الشباب يهرب إلى الخارج، وأصبحت لبنان تخسر شبابها فى حين أن القوى السياسية تتسلح بطريقة سرية وتسلح طوائفها .

الوضع فى العراق وفلسطين ولبنان يثير القلق وهي على الأقل الدول الأكثر ديمقراطية فى العالم العربي، حيث الأزمات الأكثر خطورة والأقل استقرارا فى المنطقة غالبية البلدان الأخرى أصبحت فى حالة تخدير بسبب النظم السلطوية، سوريا وتونس ومصر والسعودية يمثلون بعض الأمثلة الحزينة لهذه الحقيقة .

تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة سمحت لهم بتبرير كل عمليات القمع ضد المعارضة الإسلامية، وقد كانت الأوضاع كذلك قبل عمليات ١١ سبتمبر، وأصبح القمع هو القاعدة التي يصدق عليها وتعطيها الدول الغربية نوعا من الشرعية .

هل محكوم على العالم العربي العيش فى العنف أو تحت وطأة الحكم التسلطي. إفريقيا التي عرفت العبودية والاستعمار والحدود المصطنعة والانقسامات القبلية والعرقية تجرب الآن تطورات سياسية واقتصادية مشجعة، وحتى إن كان هناك الكثير من التقدم الذي يمكن أن يتحقق. فلماذا إذن هذا الجمود الذي يؤدى إلى الشلل؟ التخلف العربي له أسباب عديدة ومعقدة، ثقل التاريخ حقيقة، فعلى مدى قرون عدة، عاش العرب تحت وصاية الإمبراطورية العثمانية، تلك الحضارة التي كانت متألقة فى السابق انطفأت شيئًا فشيئا، الإسلام السني والذي يمثل الغالبية قد انغلق على نفسه، انفتحت عليه شهية القوى الغربية بعد الحرب العالمية الأولى، وأصبح العالم العربي أرض مواجهة للمتصارعين، اكتشاف البترول فى العراق والسعودية فى الثلاثينيات زاد من جشع الدول الأوروبية وأمريكا، إنشاء دولة إسرائيل فى العام ١٩٤٨ كان صدمة كبيرة لم يتم قبولها حتى اليوم ولم يتمكن العرب مطلقًا من فرض شروط للمصالحة. الأمر الواقع الذى تفرضه إسرائيل، باستثناء مصر السادات بعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣.

وقد انقرضت فلسطين منذ ذلك الحين، وأصبح القادة الفلسطينيون أو من تبقى منهم يفاوضون فى الوقت الحاضر على أقل من ٢٢٪ من الأرض الفلسطينية التاريخية.

بعد الموجات الناصرية والقومية أصبح العالم العربي غارقا فى موجة خضراء رمز الأسود تولدت من هزائم متتابعة ضد إسرائيل، ومن أزمة هوية فى مواجهة الغرب الذي يتم إدراكه على أنه متكبر ومسيطر وغير عادل، من الرفض للسلطات التسلطية والمرتشية، ومن التخلف المزمن.

إن الوضع الإسلامي ليس بشيء عابر، وإنما يوجد بصورة مستمرة ويجب التعود على معايشته أردنا أم أبينا، نجاح حماس فى الانتخابات فى فلسطين وحرب لبنان – حيث أظهر حزب الله قدرته العسكرية – يمثلان تحولا تاريخيًا ورئيسيًا فى الشرق الأوسط وقد لا يمكننا الآن تحديد نتائجه على المدى المتوسط والبعيد .

ولكن على المدى القصير هذا يعنى زيادة فى التوترات التي ترد على التعنت الإسرائيلي. فإسرائيل التي ترغب فى فرض حلول أمنية فقط، الرهان الإسرائيلي للاستنزاف وتقاعس أعدائها يبدو اليوم خطأً استراتيجيا مهمًا، ستون عامًا بعد إنشاء دولة إسرائيل تظل الدولة العبرية هشة مع حرب لبنان فى صيف ٢٠٠٦ بجنوب لبنان أصبحت قدسية حدودها مشكوكًا فيها. ومن قبل فى عام ١٩٩١ أثناء حرب الخليج صواريخ صدام حسين "سكود" كانت قد قضت على هذه القدسية .

إن ما يجب الحصول عليه فى الشرق الأوسط هو روح منطقية مترابطة فى ظل أوضاع محايدة ومتبادلة، أرض من التفاهم وحلول متفاوض عليها، تلك الأفكار البسيطة التي كانت عزيزة على الجنرال ديجول تبدو للأسف وكأنها ضرب من الخيال .

اليوم أكثر من أي وقت مضى تبدو السماء غائمة بين البحر المتوسط وبلاد ما بين الرافدين، المنطقة أصبحت في صراعات ليس لها نهاية، نتوارث الصراعات وتتسع جيلا بعد جيل، لقد وقع العالم العربي ضحية الانقسامات منذ الحرب العالمية الأولى. فالحكومة المركزية الشيعية في بغداد تحارب ضد ميليشيات مقتدى الصدر، الفلسطينيون يتصارعون بين القوميين والإسلاميين، في لبنان المسيحيون انقسموا فيما بينهم. والتوترات بين الشيعة والسنة تظهر من حين لآخر في شكل مواجهات وفي الوقت نفسه تتدخل القوى الكبرى وبدون شك وجود ١٤٠ ألف جندي أمريكي في العراق أغلق هذه الصراعات على نفسها، حتى الأمس حين تعطس فلسطين تصاب أوروبا بالزكام؛ اليوم نشاهد ونحن عاجزون الضحايا العراقيين التي لا تعد ولا تحصى، في غزة أو في لبنان. العولمة تبدو وكأنها نظام اقتصادي وأيضا اجتماعي.

إن ظاهرة الانقسامات وظهور الإرهاب يصيب كل المجتمعات بداية بالعالم العربي. هذا الكتاب يحاول أن يكون دراسة إكلينيكية للأزمات المتشابكة في الشرق الأوسط، ومصدرها التاريخي والحالي واللاعبين فيها. دراسة لفهم أفضل لمنطقة قريبة منا ومستقبلها يعد مفتاحًا لاستقرارنا، فهل من الممكن أن نتمكن من العيش وهناك براكين على حدودنا ؟ ولكن إلى متى ؟

الفصل الأول

العرب فى أزمة

عند الاستماع إلى الخبراء والمتخصصين فى العالم العربي والإسلامي نشعر بأن نوعًا من الحتمية هي التي تمنع بلدان المنطقة المقسمة إلى أربعة أجزاء، (الشرق الأوسط، الخليج العربي ووادي النيل وشمال إفريقيا) من الوصول إلى الديمقراطية أو التقدم.

فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت المجتمعات العربية علامات متعددة لمسيرات ديمقراطية فى مصر ولبنان، ولعبت الصحافة دورًا مهمًّا فى تشكيل الوعي، تشكلت أحزاب سياسية فى كل مكان، قومية أو اشتراكية وحتى النقابات .

ومنذ ما يقارب قرنًا من الزمان، بعد الحرب العالمية الأولى، أقام الإنجليز والفرنسيون دولاً فى داخل هذه البلدان، وكانت هذه هي المرة الأولى منذ زمن الفراعنة، التي رأت فيها هذه الشعوب حدودا معترفا بها دوليًّا، وحتى هذه الفترة كانت منغلقة فى حدود إمبراطورية واسعة، سواء كانت رومانية أو فارسية أو بيزنطية، أوعربية مسلمة أو عثمانية .

عبر الوصيات والمفوضيات للمجتمعات القومية، أقامت فرنسا وبريطانيا إدارة استعمارية مختلفة تماما عما عاشته هذه الشعوب، وإن كانت بريطانيا مهتمة أساسًا بالمصادر الاقتصادية والطبيعية لهذه البلدان، فإن فرنسا كانت تسعى إلى تصدير قيم الجمهورية الثالثة : دولة قومية، ومواطنة، وعلمانية، والفصل بين

الكنيسة والدولة ... إلخ. ونجد أن الفرنسيين قد نجحوا فى إقامة مبادئ لديمقراطية حقيقية بمساعدة النخبة والمتخرجين أساسًا فى المعاهد الدينية فى الشرق الأوسط ومعظمهم من الكاثوليكيين والمتحدثين بالفرنسية، ومعاهد أقامها المثقفون العرب حاملة لمشروع تحرر من الإمبراطورية العثمانية، ولكن على الأخص شعور الانتماء إلى تجمع ثقافي واسع ومعروف أكثر بالقومية العربية " العروبة " وخصوصيتها كانت نشر قيم قديمة وإن لم تكن علمانية. هذه الرؤية للتطور فى المجتمعات العربية استمرت حتى الخمسينيات. فى هذه الفترة، كانت مصر الثورية فى حاجة إلى الغرب لتحديثها وبالتحديد زيادة رقعتها الزراعية فبناء السد العالي فى أسوان كان له هدف استراتيجي. وكان من غير الممكن لعبد الناصر أن يتوجه إلى القوى الاستعمارية (حماية أو وصاية) الموجودة فى المنطقة، بمعنى فرنسا وبريطانيـــا، واتجه عبد الناصر إلى قوة غريبة عن المنطقة : الولايات المتحدة، هذه الأخيرة فى تحالف مع المملكة السعودية، وبالتالي أدارت ظهرها لعبد الناصر ودفعته للبحث عن مكان آخر وهو ما فعله عبد الناصر حينذاك بإقامة حركة عدم الانحياز مع نهرو فى الهند وتيتو فى يوغوسلافيا. ثم توجه إلى السوفييت ، وكانت هذه الخطوة بداية لسوء تفاهم ولعواقب وخيمة.

في العام ١٩٥٦ قامت القوى الاستعمارية القديمة بريطانيا وفرنسا وبمساعدة جيش دولة تم إنشاؤها حديثًا فى المنطقة وهي إسرائيل بعدوان على مصر، وقد أدى هذا إلى ما يشبه الزلزال. القائد المصري قام بتأميم قناة السويس فقامت بريطانيا وفرنسا بحملة عسكرية على مصر وبمساعدة من الجيش الإسرائيلي حرب تجارية فى المقام الأول، نجحت عسكريا ولكن أدت إلى خسائر سياسية فادحة، وتحت الضغوط الأمريكية السوفيتية المشتركة كان على الرابحين الانسحاب من الأراضي المصرية، ولازم ذلك فقدان بريطانيا وفرنسا تفوقهما فى صالح القوى النووية الجديدة واشنطن وموسكو اللتين بدورهما وضعا أيديهما على هذه المساحة من العالم العربي والإسلامي.

وأصبح الشرق الأوسط أرضًا للمواجهة فى الحرب الباردة، الولايات المتحدة وروسيا تساندان الدول التي تقع تحت حمايتهما، مصر وسوريا تحت رعاية الاتحاد السوفيتي وإسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة.

وأصبح العالم العربي منقسما إلى قسمين : التقدميــون تجمعــوا حــول عبد الناصر وفكرة الوحدة العربية، والدول الأخرى أو ما يسمى بالمحافظين حول المملكة السعودية، وبين الاثنين كان هناك فرق حقيقي فى المفهوم : من جهة مع مصر مفهوم الدولة القومية على نمط النظام الغربي وممثلةً فى وحدة العرب، القومية العربية والأمة العربية من جهة ومن الجهة الثانية إسلام بلا حدود وممثلة فى المجتمعات الإسلامية العالمية أو الأمة الإسلامية .

الولايات المتحدة مثل البريطانيين تعطى الأولوية لمصالحها: التحكم فى مصادر البترول، الاستخراج، التصفية وطرق الإمدادات وكان من الطبيعي إذن فى ظل هذه الأوضاع أن تصبح المملكة السعودية أساسية فى الاستراتيجية الأمريكية، على أية حال أكثر من مصر فى تلك الفترة حيث إن مصر كانت لا تملك بترولاً وعبد الناصر كان يظهر عدوانية وكبرياء تجاه الغرب.

وهكذا فإن أربعة أحداث تدق ناقوس الديمقراطية فى الشرق الأوسط فى البداية تكاتفت الدول الاستعمارية مع النخبة: الوجهاء والأعيان أصحاب الأراضي، زعماء الطوائف أو العائلات واضعة يدها بذلك على كل التيارات والأفكار والآراء التي دخلت المجتمعات فى هذه المنطقة والتي كان معظمها مستوردًا من الغرب .

إنشاء دولة إسرائيل بعد ذلك أدى إلى خلق نوع من الوحدة العربية ظاهريًا، فهي مبنية ليس على ارتباط حول مشروع بناء موحد ولكن على رفض جسم غريب فى المنطقة، وكان استيلاء نخبة جديدة على السلطة، فى معظمها شباب من الجيوش الصغيرة لتلك الدول والذين ذهبوا سريعًا لإقامة نظم ديكتاتورية مع مرجع واحد وهو " المقاومة الفلسطينية " التي تثير الجماهير وإدانة كل معارضة تهدد السلطة بالتآمر مع العدو الصهيوني .

حملة السويس ومساعدة القوى الغربية لمعسكر المحافظين ملتفين حول المملكة السعودية، والتي تنادى بإسلام ملتزم ومتطرف يعتمد على البلاغة والحجج الرنانة، وهكذا فإن نهاية الخمسينيات شهدت انتصارات للإسلاميين، فى حين أن العلمانيين عانوا من هزائم متكررة وأكثر من ذلك فإن القادة العرب استخدموا الجماعات الإسلامية ضد اليسار الملقب بالناصرية لتنظيف الجامعات من نواة المعارضة .

عنصر أخير ولكن له أهميته : القادة العرب ومعظمهم من الضباط بدءوا فى مدح الآلة العسكرية القادرة على النصر الأيدلوجي النهائي (إذا كان هناك شيء من الممكن أن يصبح نهائيًا فى هذه المنطقة من العالم). المحافظون فى نهاية القومية العربية فضلوا السياسات الأمنية؛ لتحل محل النداءات المطالبة بالتضامن الوجودي مشيرين إلى الخطر الإسرائيلي، ووصلت ميزانيات الدفاع فى العالم العربي إلى نسبة لم يسبق لها مثيل : بين ٢٠:٤٠٪ من ميزانية الدولة على حساب ميزانيات أخرى مثل التعليم .

هل عدم وجود الديمقراطية وعدم وجود حقوق الإنسان فى العالم العربي هل قدر مكتوب ؟ من المؤكد أن الإجابة هي النفي، وإنما هذا الغياب هو نتيجة مباشرة لأحداث متعاقبة وعوامل داخلية وخارجية .

فى تقرير ظهر مؤخرًا عن برنامج الأمم المتحدة للتنمية كشف التراجع الرهيب للمساحة العربية خلال الأربعين عامًا الماضية. اليوم وبإعطاء التعليم الأولوية تستطيع الدول العربية إعداد ديمقراطيين، والأمل فى بناء الديمقراطيات، بشرط عدم تقليد الديمقراطيات الغربية .

إن الديمقراطية هي نظام متقدم فى سير مستمر، كيف يمكن للدول العربية ذات الغالبية المسلمة أن تتقدم ؟ الكثيرون يفكرون ليس فى تبنى الديمقراطية للإسلام وإنما تبنى الإسلام للديمقراطية. وهذا ما أمكن تحقيقه فى تركيا، نجحت هذه المساعي، ولكن ربما بسبب فصل الدين عن الدولة. مثل آخر عندما كان

عبد الناصر قد بدأ خطوات فى هذا الاتجاه، ولكن كان يلزمه عشرين عامًا، وسبب ردود الفعل ضد الغرب، وحتى تهدأ الأحوال وتعاد عقارب الساعة، إلى التوازن كان من الممكن أن نخلق أيديولوجيات ولكن الأيديولوجيات تأتى من المواطنين، ولا يجب أن نتعجب من أن الإسلام الراديكالي فى السعودية كان له الغلبة، هذا الإسلام الراديكالي، الفوضوي، الرجعى يدخل إلى المجتمعات العربية طالما أن النظام السعودي يظل مساندا من الغرب. هناك عامل آخر، كيف يمكن أن نقيم ديمقراطيات فى العالم العربي عندما يكون كل الديمقراطيين العرب فى السجون و فى المنفى ؟ وهذا ما ذكره غسان سلامه الوزير اللبناني السابق فى إحدى الندوات، حيث لخص الوضع بقوله (ديمقراطيات بلا ديمقراطيين) ومع ذلك فإن الحل لا يكمن فى تدخل الغرب، الغرب يجب أن يظل مثلاً، ولا يجب إن يثير الرفض، أن الكراهية الحقيقية للولايات المتحدة لم تكن مطلقًا، وحتى فى وقت عبد الناصر لم يكن الأمريكيون مكرهين إلى هذا الحد، وإن كان انتصار باراك أوباما قوبل بالتحية فى الأوساط الرسمية بالعالم العربي ولكن ليس من جانب القاعدة. هناك شيء مهم يجب ملاحظته وهو أن الدول التي عرفت الديمقراطية و التي تحاول فرضها توجد فيها الأزمات الأكثر خطورة فى فلسطين وفي لبنان، وفي العراق فى هذا المضمون، يجب على الغرب أن يعطى المثل بمساعدة المجتمعات المدنية عن طريق المنظمات غير الحكومية وليس الحكومات فربما يكمن الحل فى ذلك .

إن مثل لبنان يعتبر مؤشرًا، الحياة الديمقراطية وصلت إلى حدها الأدنى، تحت وقع محاولات الاغتيال، ومع حرب تخفي حروبًا أخرى اجتماعية واقتصادية، وفي الوقت نفسه الأشكال الديمقراطية يتم احترامها حرفيًا .

من اكتسح الشارع حين تم اغتيال رفيق الحريري فى فبراير ٢٠٠٥ ؟ خرج الطلاب من معاهدهم الجامعية للمظاهرة ضد السوريين، الطبقة السياسية والتي تخشى على مميزاتها تطلق مبادرة كهذه، أخذت القطار الذي أطلقه الطلبة أثناء سيره، ثم نسبت هذه الحركة إلى نفسها. المسيحيون فى لبنان اليوم يمثلون الأقلية ويتساءلون عن مستقبلهم، وهم الذين جاءوا بقيم النهضة العربية والقيم الديمقراطية .

من المؤكد أن المسيحيين يتم معاملتهم بطريقة جيدة فى العالم العربي، فى لبنان وسوريا حتى وإن تم استخدامهم لصالح الأقلية العلوية فى السلطة. فى المقابل المسيحيون فى مصر يجدون أنفسهم فى وضع صعب، فهم يستهدفون بطريقة منتظمة من قبل المتطرفين الإسلاميين. وبالذات فى وسط مصر حيث وجودهم التاريخي فى البلاد. فى فلسطين لم يتبق أكثر من ٤ إلى ٥٪ من المسيحيين فى القدس وأكثر من ٨٠٪ منهم غادروا فلسطين خلال العشرين عامًا الأخيرة، فى بيت لحم، مدينة مولد السيد المسيح. أصبح المسلمون يشكلون الغالبية فى إيران توجد أقلية أرمينية فى العراق فى وقت صدام حسين كان يتم معاملتهم بطريقة جيدة وهنا أيضًا لأنهم يعتبرون آراءه فى نقل المعرفة وقد أوكل إليهم صدام المدارس ولكن منذ حرب ٢٠٠٣ أصبحت أوضاعهم فى غاية السوء وإن كان الأمريكيون مكروهين فهم فى الغالب ليس من جانب الشيعة والأكراد ولكن من قبل السنة وأكثر من قبل المسيحيين الذين يعتبرون أن التدخل العسكري كان مؤلمًا بالنسبة لهم، على وقع الهجرة أصبح وجود المسيحيين نادرًا فى بلاد ما بين النهرين. إن اختفاء المجتمعات المسيحية فى الشرق الأوسط يعتبر علامة للتخلف الديمقراطي وهشاشة التعايش بين المجتمعات .

في شبه الجزيرة العربية قضية الديمقراطية يتم طرحها بطريقة أخرى. القرآن هو الدستور، والشريعة هي القانون الإسلامي، والحقوق المدنية؟ الدولة. الوحيدة فى الجزيرة العربية التي تخرج عن هذه القواعد هي دولة عمان لأسباب دينية فالسلطة تقع فى أيدي الخريجين وهو النوع الثالث للإسلام، والـذي يعتبـر أن أيا كان من الممكن أن يصبح خليفة حتى العبد الأسود، وهي أسوأ الأحوال عند الإنسان العربي. وبالرغم من ثقل العبء الديني والتقاليد التي تحكم المجتمع المدني فى الخليج، فإن الحياة الديمقراطية تتقدم ولكن بخطى السلحفاة، البرلمانات كما فى الكويت والبحرين أصبحت مراكز للمعارضة، والمرأة أصبحت مقبولة فى هذه البرلمانات .

إيران ليست بلدًا عربيا وإنما فارسية شيعة واختلاط هندي – أوروبي يمثل أقلية. الشيعة تتطور بشكل سريع ولم تتوقف مطلقا. فالشيعة خائفون وهم يعتبرون أنفسهم فارسيين فى بحر من العرب وبشتونيين وشيعة فى محيط سني .

في مطلع القرن الحادي والعشرين يظهر العالم العربي كمنطقة تخضع للوصاية عبر وجود عسكري كبير يعادل ما كان موجودا أثناء الحقبة الاستعمارية مع قواعد فى الخليج وتسهيلات عسكرية فى أكثر من عشر دول عربية. الأمريكيون موجودون فى جيبوتي والبحرين مركز قيادة الأسطول الخامس وفي قطر والسعودية فى بداية العام ٢٠٠٨ قامت الولايات المتحدة بتوقيع اتفاقية مع الإمارات العربية المتحدة لبناء قاعدة عسكرية فى أبو ظبي. كل هذا يعنى أن التأثير الغربي على البلدان العربية يظل عاملاً مستمرًا.

يعيش العالم العربي أيضًا أزمة تطور. كل مؤشرات التطور الإنساني للمجموعة العربية أصبحت فى اللون الأحمر وهو ما يظهر القصور فى النظم السياسية والثقافية. مستوى الأمية للراشدين – ورغم التقدم الذي تم إحرازه خلال الخمسة عشر عاما الماضية – تظل النسبة الأكثر ارتفاعًا فى العالم بعد وسط آسيا وإفريقيا السوداء، وهما المنطقتان الجغرافيتان اللتان لا تملكان نفس ثراء العالم العربي. كذلك بالنسبة لعدد وفيات المواليد، الذي يعد مؤشرًا يعكس مستوى تطور أي بلد، لأنه يشمل الوضع الصحي ومستوى التعليم عند الشعوب وكذلك وضع المرأة و الشبكات العلاجية من الفترة ما بين ١٩٩٥م – ٢٠٠٠م كانت نسبة الوفيات عند الأطفال تظل مرتفعة حتى فى الدول الكبيرة التي تملك البنية التحتية علاوة على الدول التي لا تملك الإمكانيات فى المغرب تصل نسبة الوفيات عند الأطفال إلى ٤٠ فى الألف، فى مصر ٣٧، فى الجزائر ٣٢ فى سوريا ولبنان ١٧ فى فلسطين ٢٠، وفي العراق ٩٤ فى الألف .

البحث العلمي والذي يعد الرافعة للنهوض الاقتصادي يظهر وكأنه مهمل ويحصل على ميزانيات غير كافية، طموح الرئيس السوري بشار الأسد بالنسبة

لسوريا هو إمداد كل أسرة سورية بمدخل للإنترنت، هذا الطموح وإن كان للتعبئة فهو يمثل أيضًا إدراكًا للقلق فى مواجهة التخلف العلمي العربي. يقدر عدد الباحثين فى العالم العربي بـــ ٨٠٠٠ باحث. البعض منهم يعد من أنبغ الأدمغة على الأرض، مثل الباحث فى الكيمياء والحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٩٩م العالم أحمد زويل، أربعة دولارات فى العام لكل مواطن مسخرة للبحث العلمي بمعنى ٣٠٠ مرة أقل مما تنفقه الولايات المتحدة، ميزانية البحث العلمي فى العالم العربي لا تتخطى ٠,٢٥٪ من متوسط الدخل القومي فى مقابل ٣ إلى ٣,٥٪ فى البلدان المتقدمة .

من الموضوعات المقلقة أيضًا هو موضوع التخلف فى اقتصاد النت، وإن كان الهاتف المحمول قد شهد توسعًا سريعًا فى الدول العربية، ولكن ليس هو الحال بالنسبة للإنترنت فنسبة دخول الإنترنت، فى الأسر العربية ظل : ٣,٧٪ فى عام ٢٠٠٤ فى ٢٢ بلدًا عربيًا فى منظمة جامعة الدول العربية بمعنى ١٢ مليون مشترك فى الإنترنت لشعوب تتخطى ٣١٦ مليون نسمة على سبيل المقارنة. تصل نسبة المشتركين فى الإنترنت فى الولايات المتحدة إلى ما يقرب من ٦٠٪، وأوروبا ٣٥٪ والبرازيل و١١٪ الصين و١٠٪، وإفريقيا ٣٪ وكل المراقبين يجمعون على أن التأخر الرقمي لا يمكن إلا أن يعطل نمو هذه الدول، وهي الفكرة الأساسية التي خرجت من القمة العالمية لمجتمع المعلوماتية، والذي بدأ مرحلته الأولى فى جنيف فى العام ٢٠٠٣، والثانية فى تونس عام ٢٠٠٥ إلى أن أعلن الوزير السوري للاتصالات خلال مؤتمر الدوحة عام ٢٠٠٦م فى قطر: أن الوجود العربي على شبكة الإنترنت شبه معدوم وويتلخص فى عدد من المواقع للمعلومات وعدة مواقع فردية. إن الدول العربية الكبرى تتقدم بحذر على هذا الطريق كما لو كانت تشكك فى آثار عدم الاستقرار الذى من الممكن أن تسببه هذه التقنيات الجديدة للمعلومات وهو أكثر حرصًا على التحكم فيها أولا .

إن الاطراد اللانهائي لطرق المعلومات والإنترنت يجعل من الصعب إغلاق المجتمع، فالتقنيات الجديدة للمعلومات أصبحت اليوم من العوامل الأساسية للتعليم، ولكن وعلى وجه الخصوص الإدراك للواقع فى القرن الحادي والعشرين وبالتحديد الواقع الديمقراطي .

بالرغم من ثقل التاريخ فإن العالم العربي ليس محكومًا عليه بالقمع الأبدي فهو يملك ورقة رابحة أساسية : (شبابه المتعطش للانفتاح على العالم) .

الفصل الثاني

دول دون قومية ؟

غالبية المراقبين الذين يهتمون بالشرق الأوسط يخرجون بحقيقة : هذه الشعوب، وعلى مدى قرون لم يكونوا مطلقا مواطنين، عاشت هذه الشعوب منذ زمن فرعون كجزء من نظم سياسة واسعة، دول وإمبراطوريات ومناطق، وعاشت منغلقة فى مجتمعاتها، فى كل المنطقة. مصر كانت الدولة الوحيدة التي تشكل وحدة سياسية وإدارية بلا انقطاع منذ حقبة الفراعنة، تكونت حول ضفة النيل. عام ١٩١٦، ومع معاهدة (سايكس-بيكو) حاول البريطانيون والفرنسيون خلق دول قومية وقد نجحوا على نحو ما وذلك بفضل أسطول من الإرساليات والمبشرين والرهبان والأساقفة والذين تولوا نقل المعرفة، فقد فرض المستعمرون الفرنسيون والإنجليز حدودًا بقيت إلى اليوم .

ولكن غداة الحرب العالمية الثانية بعد حركات التحرر والانقلابات التي صاحبت إقامة دولة إسرائيل فى العام ١٩٤٨م ظهر العديد من الديكتاتوريات فى المنطقة أقاموا دولاً داخل الحدود التي رسمتها القوى الغربية، ولكنهم تناسوا أن يشكلوا مواطنين فى الشرق الأوسط، الدول هي قبل كل شيء أجهزة الدولة والنواحي الأمنية على وجه التحديد فى سوريا على سبيل المثال الأقلية العلوية لم تكن لتستمر لولا أن حافظ الأسد والد الرئيس السوري الحالي والذي كان يتميز بذكاء كبير، كان قد بدأ بخمسة أجهزة للأمن والمخابرات، لسلاح الجو، للمشاة، للجيش، والأمن العام وأخيرًا الأمن السياسي. كل هذه الأجهزة تراقب بعضها البعض حتى يتم التحكم فى الشعب الذي يتم احتواؤه وحمايته والتجسس عليه، هذا التحكم الأمني للحياة السياسية يوجد فى غالبية الدول العربية من المغرب وتونس وحتى دول الخليج .

منذ عشرات السنين و " الإنسان العربي " غير متحمل للمسئولية فكيف يمكن أن يصبح مواطنا بصورة كاملة ؟ على أقل هفوة يتم عقابه ولهذا السبب لم تتضح هذه الدول بعد، وإذا كنا قد شاهدنا ظهور حركات إسلامية فى الستينيات فالسبب بسيط وهو أن "الأطفال" كانوا يلجأون إلى المساجد حيث إنها كانت الأماكن الوحيدة التي لا يدخلها الديكتاتور. وكانت هناك حرية التعبير ثم استولى الإسلاميون على السلطة الدينية ليتحدوا الدولة ففي الأصل كانت العودة للإسلام نوعًا من التحرر ولكنه انتظم تحت راية الوهابيين السعوديين، فوضويين رجعيين، مع قراءة حرفية للقرآن، محاولين التخلص من الدولة، فهذه الشعوب قد اختارت إطاعة قوانين الله وليس قوانين البشر، وحين يتم تجاوز الانتماءات الاجتماعية أو الدينية، أو فقدان الهوية يؤدى هذا إلى اختفاء المواطنة. إن القوة الإلهية الوحيدة هي التي يجب التمسك بها. وبالطبع يمكننا أن ننسب أية أقوال لله، وهذا التحدي يقوى من الديكتاتورية. وإذا كان الشعب غير متعلم يصبح من السهل التحكم فيه. ولمواجهة هذه الظاهرة الإسلامية لا تتردد السلطات فى استخدام كل أساليب الترهيب .

لدرجة أن استخدام جهاز الدولة يؤدى إلى انزلاقات لأجهزة الدولة، فرجل شرطة بسيط يعمل فى جهاز الدولة يصبح ملكًا فى الحي الذي يسكن فيه نشاهد هذا فى النظم الشمولية، النظم القوية كما كانت تسمى فى الثلاثينيات النظم السوفيتية مع الفارق أن هذه الأخيرة كانت تتمتع بالمعرفة والعلم .

لقد تفككت الدولة العثمانية فى العشرينيات، وأدى ذلك إلى خلق عدة دول وساعدت الدول الواصية وعلى وجه الخصوص فرنسا، هذه الدول للحصول على البنية التحتية، على المدارس والمحاكم ... ميناء بيروت يعود تاريخه إلى زمن الوصايا، وفي الوقت نفسه ظهرت المشكلة العربية الإسرائيلية والتي أدت إلى انقسام العرب .

أثناء الحرب العالمية الثانية، معظم هذه الدول كانت تتعاطف مع الحلفاء رافضين النازية الفاشية، غداة إعلان الدولة الإسرائيلية، وظهور اللاجئين الفلسطينيين ظهرت رؤيتان متعارضتان :

من ناحية القومية العربية معتمدة على تاريخ ومستقبل مشترك ومن ناحية أخرى مجتمعات بلا حدود. وهنا يجب أن نوضح أن كلمة قومية تعنى نفس الشيء فى اللغة العربية ككلمة "الأمة" وهذا يؤدى إلى نوع من الالتباس فى التعزيب. إن رؤية أمة أو المجتمع بلا حدود جاء من المملكة السعودية التي لا تريد الحديث عن العلمنة أو العلمانية، والمحزن هو أن الغرب الذي كان مهتمًا بوجود عالم حر (في مواجهة المعسكر السوفيتي) اختار أن يتحالف مع الإسلام الوهابي السعودي وليس مع عبد الناصر الذي كان ينادى بالعلمانية .

وبالتحديد خلال حرب ١٩٥٦م فى السويس، والذي يميز التدخل السوفيتي والأمريكي فى شئون المنطقة، كان من السهل على الأمريكان إحضار أوروبا وبالتحديد فرنسا وإنجلترا القوى الزائلة إلى تحالف مع السعوديين وبداية من هذا التحالف أصبح عبد الناصر العدو الأول وأصبح عبد الناصر هتلر جديدًا، ونقمة الغرب على عبد الناصر كانت لها تبعات أهمها بداية علمنة المجتمعات العربية وبداية الحركات الإسلامية وظهور المخاطر.

ولم يعد هناك غير نشر المعارف الدينية، والديانة لم تعد حكرًا على المجالس الخاصة، ودخلت الديانة إلى الأماكن العامة، هذه الازدواجية أدت إلى نوع من العلمانية من ناحية ومن الناحية الأخرى القضاء على مفهوم القومية لأن الإسلام يظهر على أنه شمولي، حتى إن كانت هناك صراعات بين الدول، هناك شيء لا يتبدل وهو الإسلام .

فأنا مسلم قبل كل شيء وليس مواطنًا، ولا يمكن أن توجد القومية التي تفتقر إلى المعرفة والنظرية، وغياب الأمة يؤدى إلى غياب القوميـــة عبد الناصر نادي بالقومية العربية ولكنه لم يعمل على بنائها.

الجمهورية العربية المتحدة، والتي زالت بسرعة والتي وحدت مصر وسوريا ما بين العام ١٩٥٨م – ١٩٦١م ستظل تجربة بلا غد. القاهرة كانت تبحث عن الهيمنة على العالم العربي .

اليوم يحاول بعض المثقفين إعادة بناء هذه القومية العربية، إعادة بنائها من القاعدة ولكن فشل (الزعيمان الرئيسيان) واللذان كانا حاملين لهذه الفكرة (عبد الناصر وصدام حسين) أضعف هذا التيار الفكري، وتراجع القومية العربية تصادف مع الصعود القوى للإسلاميين، وبالرغم من وجود أساس الدول وكل شعب عربي له تقاليده وطريقته الخاصة للتحدث بالعربية، وأكلاته وفنانيه، باختصار وحتى إن لم توجد "الدولة–الأمة" فى الشرق الأوسط، كل جنسية تتميز عن الآخرين هناك فوارق بين المغربي، والعراقي، واليمنى أو اللبناني.

إن وضع لبنان يثير الكثير من الاهتمام بقدر عودة بلاد الأرز إلى هواجسها القديمة، البعض يصفها بأنها مجموعة من المجتمعات المضافة بعضها إلى بعض وتقاسم السلطة. ومن هنا جاءت الأزمة الحالية والتي هي أزمة تعريف فى المقام الأول .

إن الاتفاق الوطني فى العام ١٩٤٣م والذي يحدد تنظيم السلطة السياسية (رئيس دولة ماروني – رئيس وزراء سنى، ورئيس شيعى للبرلمان) يظهر حدوده اليوم. التطور الديمغرافي أو زيادة عدد السكان يلغى هذا الترتيب. المسيحيون لم يعودوا أغلبية، والشيعة تمثل الأكثر تزايدًا فى عدد أفرادها، فى هذا البلد الذي يعمل على أساس الانتماء الديني والخلاف أصبح جزءًا من الحياة، اللبنانيون هم أناس رائعون، وجماعيًا فهم غير مسئولين! " هذا ما قاله وزير فرنسي سابق فى بيروت

لدرجة أن البعض يتساءل إن كان هناك وطن لبناني فعلاً، الطريقة التي تحرك بها اللبنانيون خلال حرب ٢٠٠٦م تشهد على نبض هذا الشعب وحسه الوطني اللوبي اللبناني فى المهجر، فى الولايات المتحدة وأوروبا وحتى استراليا يظهر أن هذا التضامن هو تجسيد للأمة اللبنانية. التبرع بالمال تدفق لمساعدة الأسر اللبنانية فى الداخل وقد عاش المهاجرون وقع الحرب وعانوا مما يصيب أقاربهم. ولفهم هذه اللبنانية. المعقدة يجب العودة إلى التاريخ. فنجد أن العناصر المكونة للقومية اللبنانية قبل كل شيء هي من المارونيين و الدروز "، وهم فى معظمهم إقطاعيون، وهي مجتمعات جبلية، فى زمن العثمانيين كان يقابل هذا الاتحاد بنوع من القلق من جانب الباشا فى دمشق، ومساعد الملك فى مصر وحتى فى اسطنبول، وذلك على المستوى العسكري والسياسي، وحين تفكك الاتحاد بين الدروز والمسيحيون لم تكن حدود الدولة العثمانية محمية عند الاستقلال ثم الاستفتاء، وكانت العناصر المكونة للمجتمع اللبناني هو الماروني والدرزو، الشيعي ووالسني، والمارونية من المفترض أن تمثل المسيحيون، الشيعة والدروز والمسيحيين كانوا فى صالح التحالف مع الغرب وفي الوقت نفسه سيادة لبنان، من الناحية الأخرى، كان المسيحيون يترددون فى التحالف مع السنة فى سوريا والأردن والسعودية ولم يقتنعوا يومًا باستقلالية لبنان ورفضوا التقسيمات الاستعمارية المصطنعة. اليوم ماذا نشاهد ؟ الرئيس الحالي للمجلس، والممثل الشرعي للطائفة السنية يؤمن بضرورة رسم الحدود الدولية مع سوريا وليس مع إسرائيل وتبادل السفراء والتأكيد على ذلك على المستوى الدولي. وهذا يعد تحولا تاريخيًا، ويعتقد البعض من السنيين أنه فى قلب استقلال لبنان والسيادة الوطنية اللبنانية هذا الوضع الجديد والذي تتبناه جماعة الحريري السنية، الذين تعاملوا لمدة طويلة مع سوريا والآن مع الطوائف الأخرى ينادون برسم الحدود مع سوريا، وبذلك فهم ينادون بدفن فكرة "سوريا الكبرى". إن الحدود فى الشرق الأوسط ترجع إلى التقسيم الذي وضعته بريطانيا وفرنسا ولكن لا تزال هناك خلافات عديدة فى خريطة السوريين. لواء الإسكندرونة والتي كانت فرنسا قد اقتطعته من تركيا فى العام ١٩٣٩م والذي أصبح جزءا من سوريا منذ ذلك الوقت يظل موضع خلاف، وإن كان

لم يعد من الموضوعات الساخنة كما هو الحال فى مرتفعات الجولان التي احتلت من قبل إسرائيل فى العام ١٩٦٧م، إن خسارة الأرض يعد جرحًا فى الذاكرة الجماعية للسوريين، سوريا تشعر بسرقة قطعة أرض من حدودها الوطنية من طرف إسرائيل، الحدود لم يتم تحديدها بعد فقط فى مصر والأردن اللتين تملكان حدودا نهائية ومعترفًا بها. فقط فى جنوب مصر هناك خلاف مع السودان حول منطقة حلايب، منطقة على حدود البحر الأحمر، منطقة صحراوية، هي مصرية من حيث المبدأ ولكن يتم إدارتها منذ بداية القرن العشرين من جانب السودان، وقد اتضح أن هذه المنطقة تحتوى على بترول وهذا يفسر الشهية المصرية السودانية! .

في مياه الخليج الفارسي، ثلاث جزر تثير القلق بين إيران والإمارات العربية المتحدة، جزر (طنب) وجزر (أبو موسى) هذه الجزر الثلاثة (طنب الكبرى وطنب الصغرى وجزر أبو موسى) تعد استراتجية لأنها تتحكم فى مضيق (هورمز) الذي يعد عنق زجاجة لإمدادات البترول حول العالم، والإيرانيون احتلوا هذه الجزر منذ العام ١٩٧١ حيث يأخذون الخرائط البريطانية لعام ١٧٧٠ كمرجع لأحقيتهم على هذه الجزر باعتبارها جزرًا فارسية والإمارات لم تهضم هذا الاحتلال بالقوة من جانب الإيرانيين.

الشرق الأوسط مليء بصراعات على الحدود الأرضية والمياه الإقليمية وبطريقة مفاجئة، أعطت أزمة الخليج "١٩٩٠م-١٩٩١م": معنى للصراعات حول الحدود، كان صدام حسين، وحتى من كانوا قبله، يعتبرون أن الكويت قد تم فصلها عن العراق بطريقة غير عادلة عن طريق المستعمر البريطاني، الإقليم التاسع عشر كان يجب أن يعود إلى الوطن الأم، مهما كلف ذلك، ولكن الرئيس لم يفهم أن المجتمع الدولي لم يكن مستعدا لقبول تعديل أحادى الجانب للحدود، والذي سوف يؤدى إلى اختفاء دولة ولكن أية حدود قد يمكن تعديلها عن طريق الاتفاقيات، كما حدث بين العراق وإيران حول شط العرب فى العام ١٩٧٥، والتي تم التشكيك فيها خلال الحرب بينهما ١٩٨٠-١٩٨٨ والتي عادت ووافقت عليها العراق مجددًا .

هل من الممكن أن يتم تغيير الحدود بتوافق الشعوب ؟ فرنسا استخدمت الاستفتاء حول حق انفصال الجزائر عن فرنسا، والتي كانت تعتبر منطقة من مناطق فرنسا حين تم ذلك فى اتفاقات إيفيان فى العام ١٩٦٢م إجراءات مطابقة تم تبنيها لإنهاء الصراع حول الصحراء الغربية، ولكن بعد عشر سنوات من قبولها من جانب جميع الأطراف ... لم يتم تطبيقها حتى اليوم فى العالم العربي، تظل الدول هي قاعدة البناء السياسي، شرعيتها التاريخية تكون ضعيفة فى بعض الأحيان، لأن المؤسسات والحدود الموروثة من عهود الاستعمار مازالت حديثة العهد، ولكن هذا لا يمنع أهمية الدور الفعال للدول، وحتى وإن كان هناك نقد للخدمات التي تقدمها للمواطنين، ثم فى النهاية، انعدام أشراف المواطنين، تحت أي شكل من الأشكال، حول تلك المواضيع التي تعتبر حكرًا على الملوك والزعماء، وهذا يشكل قاعدة لكل النظم السياسية العربية .

من جهة أخرى بدأت تترسم أشكالاً أخرى من السلطة، فماذا يتبقى من استقلالية الدولة فى مواجهة الأقمار الصناعية والعولمة، وتعميم التداول بالدولار كقاعدة للتبادل التجاري ؟ الثقافة والاقتصاد والقوة العسكرية والتيارات الدينية تخلق نظمًا غير متكافئة. مطالبة بالضرورة للاندماج أو المواجهة فى بعض الأحيان.

يبقى سؤال حقيقي وهو: "هل يمكن استيراد قواعد النظام الدولي لوضعها فى العالم العربي ؟ عمليًا المؤيدون لذلك هم أكثر من المنددين، الذين يبنون نقدهم على التاريخ والأيديولوجية، أو بهذا ما يحاولون تبريره، ولكن إذا قاومت الدول هذا النقد بجدية، فماذا سيتبقى من قدرتها على تنظيم تحرك الأفكار فى المستقبل، ورؤوس الأموال، والأفراد والبضائع وتحتفظ فى نفس الوقت بالإجراءات للاستيلاء على السلطة، الذي كان تبريره لفترة طويلة بالصراع مع المستعمرين أو بالتهديد الإسرائيلي ؟

في الشرق الأوسط كما فى المغرب، بناء الدولة يوجد فى قلب تطور تأقلم أجهزة الدولة، فإذا اعتبرنا أن فترة الإصلاح للإمبراطورية العثمانية فى مصر على يد محمد على يمكن اعتبارها قوة مقاومة لدخول الأوروبيين كما كان يخطط له مصطفى كامل وعبد الناصر، ومن جهة أخرى وبالتحديد فى المغرب، الدولة تتميز بالتجربة الاستعمارية، بالرغم من عدة محاولات للتحديث مثل أحمد بك وخير الدين فى تونس أو المولى حسن الأول فى المغرب، أما فيما يخص الدول التي نشأت عبر اتفاقيات "سايكس – بيكو"، والإنشاءات الاستعمارية أو الوصاية الفرنسية أو البريطانية، فعليها أن تخترع تقاليد وإعادة بناء الماضي

إن الحديث القومي المعادى للاستعمار، ظل لوقت طويل يستخدم فى إعطاء الشرعية لعمليات الاستيلاء على السلطة، والتي تتحول بسرعة إلى معارضات قومية بين دول الجوار بطريقة مطابقة تمامًا للقرن التاسع عشر فالمعنى هو تبرير الاستيلاء على الأجهزة السياسية لصالح الأقلية غداة التحرر، وبطريقة أكثر عمقًا، يجب أن نطرح السؤال حول الوظيفة العملية للتقسيم والنظم الموروثة والتي ليس لها شرعية، هناك بالطبع بعض الاستثناءات كما فى مصر حيث ضغوط طبيعية تفرض شكلاً لإدارة السلطة والاستراتيجيات الداخلية والخارجية ترجع إلى آلاف السنين .

وبدرجة أقل يمكننا أن نلاحظ نفس الشيء فى المغرب، والحدود الحالية لدول المغرب لحد ما تم تحديدها منذ القرن الخامس عشر. إن أولوية الدولة والتنظيم للأجهزة البيروقراطية المدنية والعسكرية، والتي ستأخذ على عاتقها مهمة تأمينها سيسمح بالحفاظ على الحدود، بصرف النظر عن شرعيتها المشكوك فيها والتطبيقات السيئة التي تخرج عنها من هنا وهناك بخصوص تحريك مجموعات من البدو على وجه الخصوص .

هذا الجمود فى تطبيق العدالة أيضًا من موروثات القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر، يحمل معه مجموعة الخلافات لرسم الحدود والحوائط المشتركة. إن اختيار القواعد المتصلبة للحدود لبناء الدول سوف يشكك فى

الامتيازات الفرعية للأفراد والجماعات. والذين أداروا الإمبراطوريات والممالك التي كانت تسمح للأقليات والأجانب بأن يجدوا مكانهم فى مشروع جماعي فى خدمة الأمير .

هذا النظام كان يعمل بطريقة جيدة فى الإمبراطورية العثمانية فى مصر فى زمن الخليفة، حيث لم يكن من المهم إحصاء الأرمن واليونانيين والأجانب. فكان هذا النظام يرتكز على آلية للامتيازات حيث كان حق وواجب كل فرد فى نظر النظام معروفًا أكثر من ترميزه. الأقليات المسيحية واليهودية وكذلك القبائل كانت تجد متطلباتها داخل معاهدة خدمة وحماية فى إطار يتم تقويمه وفقًا لمصالح السلطة المركزية والجماعات المعنية وهذا لا يعنى عدم اللجوء إلى العنف، ذلك لأن توازن الاتفاق يتدهور بسبب الأفكار التي تأتى من الخارج، والتي تدفع الإمبراطوريات لتصبح دولاً مركزية، والأقليات تنادى بمصير الأمم التي نشاهدها تتفكك، خلال جيل واحد، النظم السياسية القديمة والتي تمت صياغتها اعتبارًا من قاعدة دولة مشتركة. إن مسيرة التغيير بالحذف والضم تتوافق مع الحلم الخيالي لتكوين مجموعات متناسقة وقوية. إن تطور حركة الشباب التركي وعلاقاته مع القوميين العرب تعتبر المثل الأفضل! ولكن عمليًا كل مسيرة تحررية قومية أو ثورية تؤدى إلى منع أو تهميش الجماعات التي لا تنتمي للثقافة السائدة. بالطبع الأحزاب العلمانيـــة قوميون عــرب أو بعثيون قاموا بإيقاف هذا التطور ووحدوا بعض الأشكال للاندماج.

الدولة الجديدة لا تسمح بالفوارق، أو على الأقل تديرها بطريقة سيئة وعدم حصولها على شرعية تاريخية يجعلها لا تتهاون مع الجماعات التي تؤكد على خصائصها الثقافية. النظم التي يحكمها ملوك تظهر نوعًا أكبر من المرونة عن النظم ذات الحزب الواحد. وإن كانت الدولة القومية قضت على نظم الولاء وأعادت تكوين هوية سياسية مع ما تبقى من النظم الاستعمارية، فكان يجب عليها لكي تستمر أن تصنع نظامًا جديدًا للشرعية .

هذا النظام مستند على معارضة أيديولوجية قوية تقوم باستخراج مؤشر التغيير، بداية بمؤتمر باندونج فى العام ١٩٥٥ ، العالم الثالث أمام مبادئ وشبكات مستخدمى الحرب الباردة، وتقنين المعارضة الوطنية للمستعمرين القدماء والمطالبة بإقامة نظام عالمي جديد وإعادة توزيع السلطة والثروة .

بالنسبة للعالم العربي، هذا البناء يندمج مع المعارضة لإسرائيل، وهذا يؤدى إلى إثارة نوع من التعبئة المكثفة فى المشرق أكثر منها فى المغرب، جيل سياسي كامل، يرمز إليه رجال مثل عبد الناصر وبومدين، وكان هذا البناء يشبه ما هو فى البلاد الشرقية على نمط الدولة الحزب وهو مفيد لتبرير مصادره الجماعية، ويعمل بطريقة شاملة لتأمين إدارة النظام فى البداية، أساسه تسلطي ويقضى على كل نزاع أو معارضة، هذا النوع من السلطة يتميز أيضًا بنظام إعادة توزيع الثروات والذي يضمن له مساندة شعبية واسعة.

بتوسيع الوظائف العامة، التي تضاعفت عشرات المرات فى تلك الفترة، وقامت الدولة بتأمين تعبئة اجتماعية لم تكن معروفة فى الفترات السابقة. الجيش والشرطة، والتعليم والخدمات الصحية، والسياسات الفنية الرسمية كل هذا ساهم فى إعطاء وظيفة ونوع من الاحترام لعدد كبير من أبناء الفلاحين أو أهالي المدن أبناء الطبقات البسيطة. إن إعادة إحلال المثقفين والمتعلمين بدل المستعمرين، استخدام ما تبقى من العملات الإسترلينية والتي تم تجميعها خلال الحرب، وعلى وجه الخصوص دخل البترول المباشر وغير المباشر، كل هذا أمد الدول بالوسائل الكافية لزيادة تأثيرها على خلق طبقة متوسطة تدين لها بالولاء بجانب مرتب فى الغالب متواضع، تعطى الدولة وضعًا اجتماعيًا وأيضًا امتيازات مادية مثل السكن، تعليم الأطفال، غطاء للاحتياجات الصحية .

كل هذه العوامل ساهمت فى خلق أوضاع ارتباط تفوق الانتمـــاء القبلـــي أو الجماعات، والذي يكون الشبكة الأولية للتضامن، ولا يمكننا شرح كل هذا بدون الارتباط بالقومية العربية والصراع ضد إسرائيل، وتطوير دولة قوية يرمز لها عن

طريق سياسة صناعية، والتطور الحقيقي الذي يمكن ملاحظته فى تلك الفترة عند الأقليات مثل الأقباط أو من هم من أصل ثقافي قوى لبعض المناطق مثل البربر فى الجزائر. مصر عبد الناصر أو الجزائر بومدين لديهم أقباطهم القبائليون، مثل صدام حسين والذي كان لديه الشاذليون ولاؤهم كان غالبا لإحساسهم بأنهم استفادوا من حظ كبير جدا .

إن ضعف الطبقات الاجتماعية القديمة ترك الباب مفتوحا لتكوين جهاز للدولة قوى ومستقل يسمو بطريقة هائلة على أشكال التضامن القديمة وساعد حتى قمعها. إن هذه الجماعة بتصرفها هذا ساهمت فى تحقيق استقلالية الدولة، وفي بعض الأحيان بطريقة أكثر فاعلية من جماعات الغالبية والجماعات المركزية .

ولكن هذه الطريقة فى البناء تقف أمام توزيع مصادر الثروة، والتي كان يجب ضمان مستواها أو استمراريتها لتأمين الاحتفاظ بالولاء ولتجديد القيادات وتعيق أيضا كل مطالب المشاركة من جانب الطبقات الجديدة والتي استفادت من سياسات التعليم والتي لا تجد الكثير فى مقابل خضوعها، وفي النهاية بدأت المعارضة من جانب الأيديولوجيات ذات الطابع الديني، والتي من السهل إدارتها على المستوى الداخلي حيث يزداد عدد المهمشين .

من ناحية أخرى بدأت أشكال خارجية أخرى للمعارضة، على أثر التغيير فى النظام العالمي من الناحيتين الاقتصادية والأيديولوجية، حيث تفقد الدول التحكم فى الأفكار والممثلين أمام الجماهير المطالبين بالطاعة. من الجائز أن نشاهد النظم الدولية تتطور نحو إعادة تشكيل التفاهمات التي قامت عليها لأن التفاهمات لا يمكن فرضها كما فى السابق. هناك عاملان سوف يتداخلان ويؤديان إلى فقدان شرعية المجموعة الموجودة والمتحكمة فى الدول : العامل الأول هو الفشل فى مواجهة إسرائيل، التي ظهرت آثارها على الأخص فى الشرق الأوسط وأيضًا فشل المشاريع الصناعية الكبرى. الدخل المباشر وغير المباشر من البترول والمساعدات الخارجية لن تكفي لمتابعة المصادر التي كانت تؤمن الاندماج المبدئي للأجيال

والتي شاركت فى بناء أجهزة الدولة. سياسة الانفتاح الاقتصادي والتي تم وضعها فى مصر على وجه التحديد بداية من العام ١٩٧٤، مع الوهم بجذب رؤوس أموال عن طريق شكل جديد من الاندماج فى الاقتصاد الحر للدول الغربية، سياسة الانفتاح هذه ساهمت فى تفويض الأجهزة السياسية بدون أن توفر تعبئة اجتماعية، الموظفون والعسكريون تراجعوا اجتماعيًا بالمقارنة لزبائن السلطة حديثى الثراء والذين كان نجاحهم يرجع إلى الأنشطة التجارية أو المالية أو عبر استغلال السلطة وليس بسبب التطور فى الإنتاج .

كل هذا جعل الناس منقسمين بين المشاعر وإغراء بيع معارفهم للشبكات المؤثرة، وذلك أدى إلى تناقص فى الإخلاص، وانهيار الصورة التي كان من الممكن أن يعطوها كمخلصين لدولة قوية .

ظهرت فى الوقت نفسه قوى جديدة منافسة، مستعدة للاهتمام بالمهمشين باسم التضامن الديني، وتنادى بعجز الدولة وتساهم فى تعميق هذا العجز، وكلام الله لا يعرف حدودا ويمثل القانون الأسمى. الهيئات المدنية تفقد أسباب وجودها، وأصبح المجتمع السياسي المعترف به هو مجتمع المؤمنين، وحتى ذلك الوقت لم تثبت هذه الأحاديث جدارتها فى الحقل الاقتصادي والاجتماعي، ولا تدعى تحقيق ذلك طالما أنها لا تتحكم كلية فى المجتمع. ولكنها تجد فى هذه الحالة الأيديولوجيات والسحرة الذين يخترعون حلولاً من المعجزات لفرضها بالقوة .

هذه الأحاديث أدت إلى إثارة العديد من الشكوك حول جهاز الدولة فهي تغفل انهيار أجهزة الدولة، الباب الوحيد الذي يربطها، عارضين بناء أيديولوجى منافس، أكثر إغراء من الليبرالية والتي لا تجذب غير النخبة، ولكن باسم الإسلام سيتم تبرير كل نوع من التيارات من خارج البلاد والتدخلات غير المحتملة من طرف هؤلاء الذين فرضوا أنفسهم كحراس ومدافعين عن الوطنية، وأيضا مخاطر باسم مصداقية الثقافة والعقيدة، من الحرمان من الحصول على العلم والتكنولوجيا والتي

تفترض الحفاظ على انفتاح على الغرب وترك مكان للغات الأجنبية فى تكوين النخبة والمتخصصين. لقد طرحت هذه المشكلة تحت ضغط اجتماعي منذ بداية الثمانينيات، كما حدث مع الثورة الإيرانية، بعض الدول مثل الأردن تركت الإسلاميين يدخلون فى المؤسسات والهيئات. ولكن غالبية الدول اختارت على العكس عدم الاعتراف بهم وفرضت رقابة الدولة والشرطة مفضلين إسلام الدولة والذي يعتمد عليه للحد من اجتياح الحركات الإسلامية للمجتمع بصورة عامة. المغرب يدخل ضمن هذه المجموعة من الدول، إن دستور "اتحاد المغرب العربي" فى مراكش فى العام ١٩٨٩ كان يهدف إلى تنظيم حلف مقدس بين الحكومات ضد الحركات الإسلامية، مع الالتزام الرسمي بألا يعترف بها كأحزاب سياسية. وكانت هذه الاستراتيجية موجهة خاصة إلى تونس ورئيسها بن على الذي كان يبدو وكأنه قريب من التسوية مع الإسلاميين، الحكومة تريد التقليل من المخاطر التي تشكلها التيارات الإسلامية عبر الأمم والتي تلجأ إلى تونس، حيث المخابئ والمساندة من الدول المجاورة .

في عام ١٩٨٩ كسرت الجزائر هذا التحالف، عندما فتحت الأبواب أمام التعددية الحزبية، ولكنها ما لبثت أن عادت إلى الوراء عندما أدركت أن الانفتاح الديمقراطي سيجعلها تخاطر بأن ينجح الإسلاميــون فــى الانتخابــات التشريعيــة لعــام ١٩٩١ إن العسكريين ليسوا على استعداد لقبول هذا الهامش .

إن الشكل الأول لهذه الحلول ظهر من قبل فى النظام الباكستاني ومن الممكن أن يتضح فى تركيا حيث تتوافق الحركات الإسلامية مع توسع كبير للغاية فى القطاع الخاص والتي كانت شجعته الدولة فى البداية .

إن المخططات القديمة والموروثة عن الحقوق العامة الغربية، أو التوافق مع النظام السوفيتي والدولة، أمة وشعبًا لا يمثلان إلا واحدًا، حتى وإن كانت عالمية البروليتاريا قد أدخلت بعدًا آخر كمرجع يسمح بتجاوز الإطارات الضيقة فى

العلاقات مع عالم الداخل. فى الواقع تحتم على العالم العربي إدارة عدة تيارات خارجية والتي تضع على المحك بطريقة عملية، ممارسة التقسيم الجامد الذي تم وضعه منذ خروجه عن الوصاية الغربية .

منذ العام ١٩٧٣ يمكننا القول بأن أكثر من ١٥ مليون عربي هاجروا إلى الخارج، بطريقة نهائية. هذه المسيرة تعنى أيضا الهجرة بين العرب، والمتصلة بدخل البترول، بجانب الهجرة إلى أوروبا أو أمريكا الشمالية أو استراليا. البلاد الأصلية هي شمال إفريقيا ومصر، والسودان ولبنان، سوريا واليمن وفلسطين والأردن. فى البداية لأسباب اقتصادية، وتوسع صناعي فى الستينيات. انتشار دخل البترول فى السبعينيات، يضاف إليها الهجرة لأسباب سياسية والمتعلقة بالصراعات اللبنانية والفلسطينية، وجزء من هذه الهجرة توجه إلى أوروبا وبدأت تستقر فى نهاية السبعينيات، خالقة بذلك ظاهرة الاندماج الثنائي أو ثنائية الانتماء البلاد العربية مازالت غير مستعدة لإدارة ورعاية هذه الشعوب فى الخارج والتي استقبلتها البلدان الأوربية، وفقًا لتقاليد الانتماء الأبدي، ملك الغرب منع مهجريه من الاندماج فى دول الإقامة، الجزائر والتي جاء منها المهاجرون الأكثر قدمًا والأكثر استقرارًا، قبلت بداية العام ١٩٨٤ مبدأ الجنسية المزدوجة، من الناحية العملية فإن هؤلاء المهاجرين سيصبحون عاملاً ناقلاً للأفكار وللرموز وللثروة والتكنولوجيا لموطنهم الأصلي، ويجلبون معهم، عن طريق اتصالاتهم خلال العطلات أو الإقامة العائلية، تيارات من التأثير لا يمكن أن تتحكم فيه الدولة، وجودهم فى الدوائر الاقتصادية فى التحويلات غير الشرعية والاقتصاد التحتي، كل هذا يؤدى إلى انعدام قدسية الدولة ويكسر احتكار المراقبة على المجتمع الذى كانت الدولة تسعى لإقامته فى بلادهم الأصلية، وينظر إليهم، وبخاصة أبناؤهم كموصل للتقدم، للحرية الفردية والتطور على الطريقة الأوروبية من فيهم المهاجرون العرب والذين أتوا من الخليج وشبه الجزيرة العربية. فهم ليسوا على استعداد لقبول سلطة الدولة التي كانت تفرض عليهم عند هجرتهم. وإن كانت الحدود فى نظرهم حقيقية، سلوكياتهم

تميل إلى خلق مساحتين للاندماج فى داخلها حيث ينتقل الأفراد والبضائع، وأيضا التيارات الفكرية ونقل للتكنولوجيا على مستوى الحياة اليومية واضعة فى الخارج مرجعا لا يمكن الوصول إليه والذي يلغى شرعية الإنجازات المتواضعة فى بلادهــم الأصلية .

عنصر آخر لازدواجية الجنسية والذي انتشر مؤخرا مع ظهور أطباق الهوائيات التي تلتقط الأقمار الصناعية للبث المباشر، وقد أدى ذلك إلى انتهاء احتكار الأخبار والصور التي كانت الدولة تمارسه وجعل قرارات التعريب الكامل لكل مستويات التعليم شيئا لا قيمة له فى الوقت الذي يستقبل فيه من الخارج ملايين الأفراد، والمعلومات والمواد التليفزيونية المسلية التي اختاروها كل هذا جعل من المستحيل انغلاق هذه المجتمعات على نفسها، عن طريق فرضها من جانب الدولة أو عن طريق التيارات الدينية .

الدول يكون لها دائمًا دور تلعبه فى إدارة التضامن، ولكنها لا يمكن أن تدعى التحكم الكامل فى مصادر الثروة باسم مشروع تاريخي أو صناعي. ولكن الشعوب تحمل هذه الدول مسئولية الإمدادات والإدارة العادلة للنظام الدراسي .

فالدول أصبح محكوم عليها بالتواضع وتقاسم أفضل للسلطة مع الشعوب. الدول يمكنها الاحتفاظ بدورها فى الإدارة المتوازنة للعلاقات مع الإسلاميين، مع الأقليات العرقية أو الثقافية والتي تمر عبر الاعتراف بمجال سياسي متعدد الأطراف، والعمل طبقا لقواعد معروفة فى الداخل والخارج .

الفصل الثالث

الورثة فى القيادات

بصورة رمزية، وفي مطلع الألفية الثالثة، ومع ثروات مختلفة، حل الأبناء محل آبائهم، حيث أخذوا زمام السلطة، عبد الله الثاني فى الأردن، بشار الأسد فى سوريا، ومحمد السادس فى المغرب ورث كل منهم نظمًا سياسية وأمنية كانت قد فصلت وفقا لمقاس أب كل واحد الملك حسين فى الأردن (١٩٣٥م-١٩٩٩م) جلس على العرش على مدى ٤٦ عامًا حافظ الأسد (١٩٢٨م-٢٠٠٠م) حكم سوريا بيد من حديد على مدى ثلاثين عامًا، فى حين أن الملك الحسن الثاني (١٩٢٩م-١٩٩٩م) ظل فى العرش على مدى ما يقرب من أربعين عامًا وللحصول على السلطة والاحتفاظ بها، وجب على الزعماء الثلاثة إحباط محاولات اغتيال، ومؤامرات متعددة وكان عليهم القمع، والتلاعب وفي بعض الأحيان فتح أنظمتهم ولكن مع عصا فى اليد .. حسهم السياسي وقدرتهم على قراءة معادلات القوة سمح لهم بالإبحار فى مياه العالم العربي المضطربة وهذا هو سر حياتهم الطويلة فى السلطة الذي سمح لهم بوضع أساس سوريا والأردن والمغرب الحديث .

كان الملك الحسن الثاني منذ طفولته يتعلم أسرار وخبايا السلطة، فى العام ١٩٤٧ حين أعلن والده الملك محمد الخامس الاستقلال فى خطاب كان له أصداء، كان الأمير الحسن بجانبه، بعد عودته من المنفي فى الكورس جنوب فرنسا، ثم مدغشقر وعاد محمد الخامس مع ابنه إلى المغرب منتصرا، وتم إعلان استقلال المملكة المغربية فى العام ١٩٥٦م، وتم تعيين الأمير الحسن قائدًا عامًا قبل أن يتم تسميته واليًا للعرش، وتم تنصيبه ملكًا فى ٣ مارس عام ١٩٦١م. فى العام التالي أمر بتبني دستور تم تفصيله وفقًا للطلب! وقد أدى ذلك إلى غضب المعارضة

اليسارية منذ خطواته الأولى فى السلطة كان يعرف كيف يكون عنيفاً مع خصومه ولا يتردد فى خطف زعيم يساري مغربي معارض من قلب باريس، مهدي بن بركة، وتم اغتياله بطريقة سرية ولكن الخطر ليس فقط من المعارضة وإنما فى جيشه الخاص أيضاً.

نجا من محاولتين للانقلاب ضده، أول إنذار جدي حدث فى ١٠ يوليو ١٩٧١ فى القصر الملكي فى الشجيرات، حين كان يحتفل بعيد ميلاده وكان قد دعي للحفل كل وجهاء المملكة والسفراء الأجانب، وفجأة اقتحم رجال من الجيش المكان وقاموا بإطلاق النار على المدعوين، مائة مدعواً قتلوا ونجا حسن الثاني بأعجوبة ولم يمض وقت طويل على هذه المحاولة الإنقلابية، ففي العام الذي يليه كانت هناك مؤامرة كادت تؤدى بعرش المغرب وكانت قد تم تخيلها من طرف إخلاص المخلصين للملك (الجنرال أفكير) هذا الحزام الأمني للملك تخيل هجوماً جوياً ضد الحسن الثاني والذي كان عائداً من رحلة إلى فرنسا فى ١٦ أغسطس ١٩٧٢، طائرات مقاتلة تطارد الطائرة الملكية وتطلق صاروخاً على طائرة الملك الحسن الثاني، مرة أخرى ينجو بأعجوبة ووفقاً للرواية الرسمية انتحر الجنرال الذي خطط للانقلاب وعاشت أرملته وأولاده وأقاربه العذاب على مدى سنوات فى الحديقة السرية للملك الحسن الثاني.

في الأردن الملك حسين عاش أيضاً تهديدات لعرشه لمرات عديدة ولكن فى إطار مختلف تماما. ويدخل فى خريطة جغرافيا سياسية ساخنة ولدت عند إنشاء إسرائيل فى العام ١٩٤٨م حيث كانت تسمى غور الأردن ثم المملكة الأردنية، وهي مملكة صغيرة محشورة بين ثلاث مناطق خصبة العراق وإسرائيل وفلسطين وكان قد تم إنشاؤها بقلم رصاص على خريطة يوم واحد بعد الظهر! قالها بجفاف المفوض العالي وينستون تشرشل فى الأصل كانت لا تضم إلى الأراضي شرق الأردن وهي الأردن الحالية .

ولكن بفضل الحرب العربية الإسرائيلية الأولى فى العام ١٩٤٨م استولى الملك عبد الله على القدس الشرقية والضفة الغربية لنهر الأردن ووحد جانبي الأردن تحت العرش الهاشمي، واختفت فلسطين ولكن المشكلة هي أن فلسطين مازالت فى قلب الصراع العربي الإسرائيلي حتى اليوم .

الملك حسين أصبح ملكا بفضل عملية اغتيال! فى ٢١ يوليو ١٩٥١ تم اغتيال الملك عبد الله جد الملك حسين حين كان يؤدى الصلاة فى المسجد الأقصى ثالث الأماكن المقدسة فى الإسلام فى القدس. فقد خرج فلسطينى من وسط الجماهير وأطلق الرصاص على الملك حسين الذي كان على بعد خطوات واستقرت رصاصة فى إحدى الميداليات المعلقة على صدره، وكان من المفترض أن يعتلى العرش والده طلال ولكنه كان مصابا بداء الهوس وحسين لم يبلغ من العمر غير سبعة عشر عاما حين اعتلى العرش فى العام ١٩٥٤م وهو يمثل أعجوبة لبقائه حيا .

لم يكن لدي هذا الملك الصغير غير جيشه من البدو ليعتمد عليه والذي كان مستعدا للموت فى سبيله وعلى بريطانيا العظمى القوة الاستعمارية القديمة. على مدى اعتلائه العرش تعرض للكثير من المؤامرات ومحاولات الاغتيال كما فى العام ١٩٥٧م حيث نجا من محاولة اغتيال حرض عليها الضباط الأحرار، وأيضا وفي وكل مرة تنقذه العناية الإلهية، فى العام ١٩٧٠ كان عام الحسم بالنسبة للملك حسين حين أقام الفلسطينيون دولة داخل الدولة فى الأردن وتنطلق منها حرب العصابات ضد إسرائيل وبعكس ما كان يكتب فإن منظمة التحرير الفلسطينية لم تسع أبدا للاستيلاء على السلطة فى الأردن والإطاحة بالملك، فى العام ١٩٦٠م حين انفجرت قنبلة وقتلت رئيس الوزراء، ولكن فى الواقع، الفدائيون على الأرض يمتلكون معسكرات، تدريب ويتسلطون فى شوارع عمان، يضعون الحاجز ويتحققون من الهويات، كانت سيادة المملكة تنتهك يوميا وأصر جنرالات الملك على الإنتهاء من منظمة التحرير الفلسطينية وانتظر الملك اللحظة المناسبة لضربها وأعطته هذه الفرصة تجاوزات الحركة الشعبية لتحرير فلسطين وقرر تصفيه المقاومة الفلسطينية

على أراضيه حين خطفت بعد ذلك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثلاث طائرات للخطوط الجوية، وتم تفجيرها أمام عدسات التليفزيون ففاض الكيل بالنسبة للملك حسين ووجب إعادة النظام لأنها أصبحت مسألة مصداقية .

خلال أيلول الأسود فى العام ١٩٧٠م، أطلق الملك حسين كتائبه من البدو ضد مجموعات فلسطينية مسلحة، وأدى القمع إلى آلاف من القتلى ولكن تمكن الملك حسين من إنقاذ عرشه منذ هذه الأحداث الدموية وحتى اليوم هناك نوع من التوافق غير المكتوب يحكم الحياة فى غور الأردن : الجهاز الأمني والإدارة للدولة والاقتصاد والأعمال للفلسطينيين .

بخلاف الحسن الثاني والحسين فى الأردن، حافظ الأسد لم يتوارث السلطة ولكنه حصل عليها بقوة السلاح وهو من أصل علوي واستفاد من تصارع التيارات داخل الدائرة الحاكمة منذ استيلاء حزب البعث على السلطة فى العام ١٩٦٣م وقد التحق حافظ الأسد بحزب البعث منذ أكثر من عشر سنوات وهو يعد واحدًا من هؤلاء الضباط الشباب الذين حلموا بالوحدة العربية، وكان حافظ الأسد يتآمر فعلاً مع مجموعة عسكرية سرية إثناء الوحدة القصيرة بين سوريا ومصر ما بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦١ إلى أن نجح فى الاستيلاء على السلطة فى العام ١٩٦٣م، وجاءت هزيمة عام ١٩٦٧ ودقت النواقيس الحزبية للناصرية والقومية العربية خسارة الجولان فى سوريا كانت إهانة وطنية فى قلب السلطة البعثية فى دمشق، كانت مراكز القوى تتعارك فى الداخل، وفي نوفمبر عام ١٩٧٠ حين كان مديرًا للمخابرات استولى حافظ الأسد على الجهاز الأمني السوري مصفيًا بذلك كل المجموعات الأخرى فى الحزب والتي فر معظمها إلى العراق، ثم طهر الحزب والجيش من كل العناصر المشبوه فى ولائها، واعتمد على الضباط العلويين مثله وعلى الستيين من رفاق العمر مثل مصطفي طلاس وعبد الحليم خدام والذي يوجد حاليًا فى المنفي فى باريس بعد أن ارتد عن النظام .

غير أنه فى السبعينات بدأت تظهر نزاعات من طرف الإخوان المسلمين ضد سلطة حافظ الأسد، والذين كانوا يسيطرون على عدة مدن سورية وجعلوا من مدينة حماة فى شمال دمشق أحد معاقلهم الرئيسية. المليشيات الإسلامية تطبق قوانينها وتفرض القواعد الأخلاقية فى الفترة التي كانت تحدث فيها إنفجارات متعددة بعضها يستهدف حافظ الأسد مباشرة .

في مواجهة هذا التصاعد فى قوة الإخوان المسلمين والذي يهدد سلطته، قرر الرئيس السوري الرد بالأسلوب الأكثر عنفا، وأطلق حملة دموية على حماه فى العام ١٩٨٢، والتي كان يقودها أخوه الأصغر رفعت الأسد وقد خلفت هذه المذبحة آلاف الموتى من الإسلاميين والسكان المدنيين، وأصبح الانتساب إلى حركة الإخوان المسلمين جريمة يعاقب عليها بالإعدام. قانون مازال ساريا حتى الآن. وبعد تخلصه من التهديد الإسلامي بدأ يشعر حافظ الأسد بخطر آخر ولكن هذه المرة من داخل أسرته، أخوه رفعت شخصية عنيفة وطموحة يرى نفسه خليفة مكان الخليفة وهي شخصية لها وزنها فى النظام الديكتاتوري الذي وضعه حافظ الأسد، فهو يدير الوحدات الخاصة للحرس الجمهوري فى العام ١٩٨٣ عندما أصيب حافظ الأسد بأزمة قلبية بدأ رفعت يتحدى حافظا بطريقة علنية، وبدأ رجاله يتمركزون فى دمشق بمدرعاتهم، ولكن الجيش فى غالبيته وكذلك الأسرة ظلت على وفائها لحافظ الأسد المريض، وبعد محاولات أخرى للاستيلاء على السلطة تم عزل رفعت الأسد من جميع مناصبه، وتم نفيه فى العام ١٩٨٨م ثم حاول مرة أخرى الإطاحة بأخيه فى العام ١٩٩٩ ولكنه فشل ومنذ ذلك الحين وهو يحيا بين المنفي فى ماربلا الإسبانية و لندن .

الحسن الثاني، وحسين الأردن وحافظ الأسد عاشوا بمعجزة إن كانوا قد توارثوا أو استولوا على السلطة فقد دافعوا بقوة عنها رغم أنهم كانوا على وشك أن يفقدوها فى أوقات عصيبة، لم يترددوا فى التصفية الجسدية لخصومهم، أو إبعادهم عن أسرهم وأقاربهم، كل واحد من هؤلاء الزعماء هبطت عليه "البركة"! هذا الحس الذي يميز زعماء الشرق .

محمد السادس، عبد الله الثاني وبشار الأسد اليوم فى أوضاع مختلفة تماما بشار الأسد وعبد الله الثاني جاءوا إلى السلطة عن طريق الصدفة، ولكن محمد السادس هو الوحيد الذي كان مبرمجا ليكون ملكًا، فالملك الحسن الثاني لم يتوقف يومًا عن الإعداد لخليفة. دخل الأمير محمد المدرسة القرآنية منذ أن كان فى الرابعة فى القصر الملكي فى الرباط، ثم يدرس القانون والعلاقات الدولية بعد ذلك وكان جاك دلور المفوض العام للاتحاد الأوروبي هو أول من دعاه للجنة الأوروبية للدراسة فى بروكسل، وتمرس فى السياسات الدولية فى ظل والده والذي من أجل إعطائه الثقة عينه فى العام ١٩٨٣ ليرأس الوفد المغربي فى القمة السابعة لدول عدم الانحياز فى نيودلهي، والمؤتمر الفرنسي الأفريقي العاشر فى مدينة "إفيان"، ومثل الملك أيضا فى قمة الأرض فى الأمم المتحدة فى العام ١٩٩٧ بصفته الأمير الوريث وهو من خلف الملك الحسن الثاني بعد وفاته فى ١٣ يوليو عام ١٩٩٩م .

في الرابعة فى القصر الملكي فى الرباط، ثم يدرس القانون والعلاقات الدولية بعد ذلك "وكان جاك دلور" المفوض العام للاتحاد الأوروبي هو أول من دعاه للجنة الأوروبية للدراسة فى بروكسل، وتمرس فى السياسات الدولية فى ظل والده والذي من أجل إعطائه الثقة عينه فى العام ١٩٨٣م ليرأس الوفد المغربي فى القمة السابعة لدول عدم الانحياز فى نيودلهي، والمؤتمر الفرنسي الأفريقي العاشر فى مدينة "إفيان"، ومثل الملك أيضا فى قمة الأرض فى الأمم المتحدة فى العام ١٩٩٧م بصفته الأمير الوريث وهو من خلف الملك الحسن الثاني بعد وفاته فى ١٣ يوليو عام ١٩٩٩ .

وهو يلقب بملك الفقراء من طرف معجبيه أو بلقب مانجزكى من طرف معارضيه، للسخرية من هوايته وولعه بالرياضة البحرية تربع على العرش بسرعة وأراد أن يضع بصماته وأسلوبه فى مملكة الرموز ذات الوقع الكبير وخلع إدريس بصرى، وزير الداخلية الذي لا يقال والذي كان رئيس العمليات المشبوهة فى عهد

الملك الحسن الثاني وسمح بعودة "ابرهام سرفاتى" المعارض التاريخي للنظام وشجع الحرية الإعلامية ووضع إصلاحًا كبيرًا "المدونة" وهو قانون الأسرة الذي يعيد فيه التوازن لصالح المرأة، مفهوم رئيس الأسرة تم تغييره بالمسئولية المشتركة للزوجين، وفيه أيضا أن المرأة لها أن تتزوج بكل حرية أكان والدها على قيد الحياة أولا، ورفع السن القانوني لزواج المرأة من ١٥ إلى ١٨ عامًا هذه الإصلاحات أدت إلى الفصل مع زمن الحسن الثاني ولكن بصورة أعمق محمد السادس يعيد تركيب سلطة أبيه لتناسبه .

في الأردن، العرش كان من المفروض أن ينتقل إلى أخى الملك حسين الأمير حسن، نظام الخلافة هذا كان تم وضعه فى الستينيات حين كانت حياة الملك فى خطر دائم بسبب محاولات الاغتيال، وفي هذا الوقت كان أبنه الأكبر عبد الله صغيرًا جدًا فى العمر حتى يخلفه ولذلك قرر الملك حسين إعطاء لقب الأمير الوريث لأخيه حسن ولكن هذا الأخير لم يعتل العرش مطلقًا. كان الملك حسين يعانى من مرض السرطان منذ زمن بعيد وفي العام ١٩٩٨ يكتشف أنه مريض جدًا عند التوقيع على اتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وكان ينتقل ذهابًا وعودة بين المملكة والعيادة المركزية فى الولايات المتحدة وضعفه الجسدي كان قد أثار التساؤلات، زوجته نور أرادت فرض أبنهما حمزة على أنه الملك بعد والده رغم حداثة عمره وهو المفضل من قبل والده الملك حسين والذي كان يشبهه تماما ويتحدث مثله اللغة العربية المهذبة. الأمير حسن كان مثقفًا ويتحدث عدة لغات ولكنه سياسي رديء ارتكب عدة أخطاء أدت إلى نهايته، فعندما كان الملك حسين يعانى من مرضه، طلب الأمير حسن من الجيش إظهار الولاء له حين يتولى العرش، وحتى زوجته ثروت من أصل باكستاني كنت تعد أفكارًا لتجميل القصر وقد وصل إلى سمع الملك حسين كل هذا، وكان يقوم بزيارته أثناء مرضه كل أفراد الأسرة ولم يذهب الأمير حسن حتى مرة واحدة لزيارته، والملكة نور لا تتحمله.

وكان يتم الإعداد للوصية في هذا الوقت وأرادت الملكة الاحتفاظ بعدة ممتلكات في لندن على وجه التحديد، ودخول مريحة لتأمين مستقبل أولادهم .في حين أن بعض السفراء الغربيين كانوا يراهنون على الأمير حسن .وقد أنهي الملك حسين حياته السياسية بموقف مسرحي : أرسل الملك حسين رسالة إلى الأمير حسن يطلعه فيها على عزله لصالح ابنه الأكبر عبد الله الذي كان عمره ٣٧ عاما وهذا الأخير لم يكن معدًا لتولى هذا المنصب ولكنه مثل كل الأمراء الهاشميين كان قد تابع دراسته العسكرية في الأكاديمية العسكرية البريطانية في "استاند هورست" في اللحظة التي مات والده فيها في السابع من فبراير عام ١٩٩٩، كان قد أمضى نصف عمره في الخارج بين إنجلترا والولايات المتحدة؛ وأمه الأميرة منى من أصل إنجليزي وعبد الله لا يتحدث اللغة العربية بطلاقة فهو أولاً وقبل كل شيء رجل عسكري متخصص في الفرق الخاصة ولا يعرف بلاده جيدًا ولا يعرفه الأردنيون وكان مثل والده يحب مصاحبة النساء الجميلات ولا يخفي ولعه للسيارات الجميلة وموتوسيكلات الهارلي دافيدسون .

في سوريا لم يكن بشار هو الأخر مبرمجًا ليخلف والده حافظ الأسد، لقد كان في الحقيقة أخوه الأكبر باسل الذي كان من المفترض أن يتولى السلطة ولكنه مات في حادث طريق في العام ١٩٩٤ .

كان بشار يدرس طب العيون في لندن حين تم استدعاؤه على وجه السرعة إلى دمشق ليتم تجهيزه وإعداده ليكون رئيسًا وفي سوريا السلطة هي أولاً من عمل الجيش. دخل بشار الأكاديمية العسكرية في حمص وتخرج برتبة عقيد، وللتعليم السياسي عهد إليه والده الملف اللبناني وعلمه دهاليز النظام وأرسله حافظ الأسد إلى الخارج ليتعرف عليه، واستقبل من طرف جاك شيراك في باريس والذي تنبأ له بمستقبل كبير، وفي سوريا كان بشار من يروج للإنترنت على وجه الخصوص، وكان معاديًا للرشوة وهذا ما جعل له شعبية عريضة .

وفاة أبيه فى ١٠ يونيو عام ٢٠٠٠ دفعت به إلى حكم البلاد وتمت الخلافة بطريقة هادئة بفضل الحراس القدماء المخلصين لوالده، وفي يوم وفاة حافظ الأسد أظهر التليفزيون الخليفة الصغير يناقش مع أركان النظام مثل عبد الحليم خدام مساعد الرئيس أو مصطفي طلاس وزير الدفاع الذي لا يمكن تحريكه! الرسالة كانت واضحة : الرئيس الجديد تحت حماية رفقاء أبيه فى السلاح، وبطريقة سحرية تم تعديل الدستور الذي ينص على أن رئيس الجمهورية لا يقل عمره عن ٤٠ عاما فى حين أن بشار كان عمره ٣٤ عاما فقط .

وعند الاستفتاء حصل بشار على ٩٧٪ من الأصوات فى صالح تعديل الدستور نتيجة الاستفتاء على طريقة صدام حسين؛ ولكن هذا يعكس أيضًا رغبة السوريين فى طي صفحة حافظ الأسد، وإدخال سوريا نحو الحداثة، إن آمال التغيير كبيرة جدا عند الشباب على وجه الخصوص .

بمجرد أن دخل بشار الأسد قصر الشعب اتخذ مبنى يشرف على دمشق، وأفرج عن ١٥٠٠ سجين سياسي وسجناء الرأي، علامة رمزية لتشجيع معارضي النظام والمدافعين عن حقوق الإنسان وجعل المثقفين يخرجون من الظل للمناداة بانفتاح أكثر، نوادٍ فكرية ومناقشات ظهرت هنا وهناك "إنها بداية ربيع دمشق" ولكن هذه الحرية فى التعبير كانت تقلق الحراس القدماء فبدأ النظام بخنق هذه الحركة، وبدأت تمتلئ السجون من جديد، وبسرعة بدأت التساؤلات حول قدرة الرئيس بشار الأسد على حكم البلاد، ما هو هامش المناورة التي يمتلكها فى مواجهة الحراس القدماء؟ هل هو قادر على فرض إرادته ؟

لقد عمل عصام الزايم، وزير التخطيط السابق مع بشار الأسد فى بداية توليه السلطة، وكان يمثل الإصلاحيين، ولكنه لم يستمر طويلاً فى الحكومة، ويقول عن بشار الأسد " نعم إن له رؤية، إنه مدرك تمامًا لوضع سوريا الجيواستراتيجي، ومواجهاتها مع الأعداء، ولكنه فى الوقت نفسه قد وصل إلى الحكم فى مرحلة انتقالية، لم تكن هناك قطيعة مع النظام السابق، فهو يفضل التعايش مع القوى التي

أتت به إلى الحكم، بالنسبة لى، بشار الأسد يفضل العمل على المدى البعيد وبسياسة النفس الطويل، فهو ليس مندفعا وهو غير متسرع " .

الرئيس الشاب كان عليه أن يتحمل صدمتين، الأولى غزو الولايات المتحدة للعراق فى العام ٢٠٠٣، والثانية هو سحب قواته من لبنان فى ربيع ٢٠٠٥م. ويذكر الرئيس الجديد أن احتلال العراق كانت أوقات من الصعب إداراتها فقد ظهرت أصوات تطالب بنزول الجيش الأمريكي إلى دمشق والإطاحة بالنظام البعثي، واشنطن التي تعاملت كثيرًا مع النظام السوري وعلى وجه الخصوص أثناء عملية عاصفة الصحراء فى العام ١٩٩١م كل هذا زاد من الضغوط على بشار الأسد، وبعد شهر واحد من سقوط صدام حسين حضر كولين باول بنفسه إلى دمشق يطلب من الرئيس غلق مكاتب الفلسطينيين المعارضين لمسيرة السلام (حماس – الجهاد – والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) ومنع المناضلين من عبور الحدود السورية العراقية، وعدم التدخل فى شئون لبنان الداخلية. بطريقة مختصرة الولايات المتحدة كانت تريد قطع أجنحة سوريا الإقليمية ولكن بشار الأسد قد تجنب الرد مراهنًا على تورط الولايات المتحدة فى العراق .

والتحدي الثاني الكبير الذي واجه الرئيس الشاب فهو الموضوع اللبناني، بعد الحرب الأهلية ١٩٧٥ – ١٩٩٠ عهدت القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلى سوريا نوعًا من الوصايا على بلاد الأرز، وإعادة بناء لبنان، وبيروت على وجه الخصوص كلف بها رفيق الحريري، رجل الأعمال السني اللبناني والذي كون ثروته من بناء القصور فى المملكة السعودية، وأدي تدفق البترودولار على بلدان الخليج إلى تجاوز ما هدمته الحرب بطريقة أو بأخرى، ربما بوسائل مشكوك فيها، وقد تمكن رفيق الحريري من إعادة بناء وسط العاصمة اللبنانية وبالموازاة احتفظ السوريون بوضع يدهم على السياسة الأمنية، آخذين مصاريفهم من الاقتصاد اللبناني وخلال العشرة أعوام التي قضاها الحريري كرئيس للوزراء كان يعمل يدًا بيد مع النظام السوري ولكن تحولت الرياح، فقد قلقت سوريا من القدرة المالية

والسياسات التي يتبعها رئيس الوزراء، تأثيره على الرياض وباريس، ومكانته بين السنيين كل هذا كان يقلق السوريين، فى صيف ٢٠٠٤م تاريخ انتهاء فترة رئاسة الرئيس أميل لحود، والذي كان مواليًا تمامًا لسوريا ويصب العداء للحريري تم التخلي عن التحالف الذي كان يربط رفيق الحريري وسوريا منذ العام ١٩٩٠ وأصبحت لبنان من بين الذين طالبوا بالقرار رقم ١٥٥٩ الصادر عن الأمم المتحدة، .... ونعرف ماذا حدث بعد ذلك تم اغتيال رفيق الحريري فى ١٤ فبراير ٢٠٠٥م أمام فندق سان جورج على كورنيش بيروت، وعندها اتجهت كل الأنظار نحو دمشق، وقد أدى هذا إلى انسحاب الجيش السورى من لبنان بعد عدة أسابيع وكان هذا بعد ذلك بالنسبة لبشار الأسد ونظامه يعد ضربة قاسية، سوريا أعلنت براءتها ولكن تم التشكيك فى ذلك الإعلان، والكثير من المحللين والمراقبين توقعوا قرب سقوط النظام، هذه التحاليل لم تأخذ فى الحسبان ارتدادية السلطة فى دمشق وعلى وجه الخصوص المعطيات الإقليمية الجديدة، والتي من الممكن أن تظهر من سيكون له مصلحة فى تغيير النظام فى سوريا ؟

لا يوجد أحد من الإسرائيليين يفضل التعامل مع سوريا ضعيفة، ولكنهم يخشون فى نفس الوقت من الفوضى، مع كل الانحرافات الممكنة. والأمريكيون غارقون فى الأزمة العراقية والصراع مع إيران حول البرنامج النووي، بالنسبة لواشنطن كل ما يهمها هو أن تراقب سوريا حدودها مع العراق، أما فرنسا فإنها قد أعلنت أنها لا تعمل على تغيير النظام فى دمشق. وماذا عن السوريين أنفسهم ؟، الغالبية العظمى من السوريين غير راضين عن النظام، ولكن شبح الحرب الأهلية الذي ظهر بعد الفراغ الذي خلفه سقوط صدام حسين كان عاملاً من عوامل التراجع عن تغيير النظام. فقد كنا نسمع فى الأحاديث على المقاهي " أن سوريا ليست الجنة، ولكن على الأقل فإننا لم نغرق فى الفوضى مثل ما هو فى العراق " والنظام السوري من جهة أخرى يتلاعب فى تفسير هذا الشعور وإذا كان بشار الأسد قد تعلم شيئًا من والده فهو قدرته على الصبر وعلى استخدام الوقت لصالحه.

غرق الأمريكيون فى العراق، واستئناف محادثات السلام فى أنابوليس والذي دعيت إليها سوريا فى آخر نوفمبر عام ٢٠٠٧م، وعدم ظهور مسئول عن اغتيال رفيق الحريري عبر تقارير الأمم المتحدة، كل هذا سمح لبشار الأسد برفع رأسه وفك الحصار عليه. حتى الحوار السياسي مع فرنسا والذي كان قد توقف تحت رئاسة شيراك عاد لطبيعته بعد تولى الرئيس ساركوزى رئاسة فرنسا بعدة أشهر.
فى الأردن الملك عبد الله ومنذ اعتلائه العرش كان المدلل بالنسبة للمجتمع الدولي، ولكنه عندما استقر فى القصر الملكي كان قد ورث المملكة غارقة فى الديون (٧ مليار دولار) واقتصاد ضعيف يتهاوى تحت عبء الخدمات العامة المستهلكة. الملك عبد الله الثاني والذي لم يكن لديه تجربة أو شخصية سياسية قوية، قد أدرك سريعا أن إنقاذه يمر عبر اقتصاد قوى وديناميكي ،فكرس كل شيء خلال السنوات الأولى لحكمه لتقوية القطاع الخاص وخصصه لمعظم المؤسسات العامة وعلى رأسها "تلكوم الأردن"، وتبنى التكنولوجيا الجديدة، أراد الملك أن يجعل من الأردن مركزًا فى مجال المعلوماتية، أمر بتجهيز كل المدارس بجهاز حاسب آلى .وهى سياسة تهدف لشيء واحدعلى الاقل وهو خلق الجو المناسب للأعمال .... هذا المجهود أتى ثماره بقبول الأردن فى الهيئة العالمية للتجارة مع توقيع اتفاقيات للتبادل الحر مع الولايات المتحدة .

ولكن سيجد الملك نفسه سريعًا فى مواجهة حقائق الجغرافيا السياسية فى المنطقة، مع اندلاع الانتفاضة الثانية فى ٢٨ من سبتمبر ٢٠٠٠م. وجد نفسه يمر بأول تجربة صعبة، إدارة أزمة كبيرة لها وقع مباشر على الأردن، حيث أكثر من نصف الشعب من أصل فلسطيني فى مواجهة موجة التضامن مع هذه الانتفاضة، قمعت السلطات الأردنية المظاهرات بلا هوادة، واعتقالات فى أرجاء المملكة وبخاصة بين الإسلاميين والفلسطينيين، فقد كانت السلطة تخشى تدهورا أمنيًا وعدم استقرار فى البلاد حيث تظل الخلافات بين الأردن وفلسطين من المعطيات الأساسية للحياة الاجتماعية والسياسية فيمكننا أن نقول أن المعسكرات الفلسطينية

للاجئين وهي ثلاثة عشر تعد بؤرة للمعارضة وبخاصة الأكبر منها الذي يوجد في عمان ... علامة لا يمكن أن تخطئ أن من بين التدريبات المفضلة للجيش الأردني التدريب على قمع ثورة في معسكر للاجئين !

بمجرد أن هدأت الانتفاضة جاء الخطر من الشرق، هذه المرة من العراق لقد كان الأردن حليفا للعراق لزمن طويل، وبخاصة أثناء الحرب العراقية الإيرانية، ولكن القطيعة جاءت بين الملك حسين وصدام حسين في أواسط التسعينيات عندما استقبلت الأردن بنات صدام حسين مع أزواجهن والذين كانوا قد ارتدوا على صدام حسين أثناء الحرب الأمريكية على العراق كان الأردن يحبس أنفاسه، فلم تنس المملكة بعد تدفق أكثر من ٣٥٠٠ فلسطيني من الكويت ما بين ١٩٩٠م و ١٩٩١م. في تلك الفترة الملك حسين كان يساند صدام حسين ولكن في هذه المواجهة الجديدة، فضل الملك عبد الله الثاني أن ينضم إلى المعسكر الأمريكي رغم الشعور المؤيد للعراق في الشارع الأردني، وسمح حتى للقوات الخاصة الأمريكية بالتمركز في الأردن قبل الهجوم على العراق. إن الإطاحة بالنظام في العراق سيكون له عواقب جدية على الأردن بعكس جيرانها العرب، تحتاج الأردن بشدة للطاقة، في حين أن صدام حسين كان يرسل كل احتياجات الأردن من البترول، نصفه مجانا، والنصف الأخر بأسعار متهاودة وسقوط الديكتاتور يعنى نهاية هذا النظام التفضيلي، وأصبح على الأردن الحصول على احتياجاتها بسعر السوق من الكويت والسعودية، هذه الفاتورة يدفعها الأردنيون عند شرائهم الوقود والنتيجة الثانية هي تدفق العراقيين للجوء في الأردن، وقد قدر عددهم ما بين ٥٠٠٠٠٠ ومليون عراقي، وجودهم أدى إلى ارتفاع رهيب في أسعار العقارات والحياة اليومية، حتى أصبحت عمان تعد من أغلى العواصم في العالم،ومن بين هؤلاء العراقيين المافيا والمنحرفون الذين يعكرون صفو الحياة الهادئة في العاصمة الأردنية إن تطور الدعارة أصبح يشكل جزءا من هذه المظاهر الجديدة والمرتبطة بالوصول المكثف للعراقيين .

الحرب الأهلية فى العراق تفرض على الأردن تحديا أمنيًا كبيرا، وقد كانت السفارة الهاشمية فى بغداد من أول الأهداف التي تم تدميرها من جانب الإرهابيين. فى ٧ أغسطس ٢٠٠٣م، انفجرت سيارة ملغمة أمام التمثيل الدبلوماسي أدت إلى عشرات القتلى ولكن الأسوأ والتي كانت تخشاه السلطات الأردنية هو تصدير العنف من العراق إلى الأردن فى ٩ نوفمبر ٢٠٠٥م، انفجارات تهز ثلاثة فنادق فى عمان وتترك خلفها أكثر من ٦٠ قتيلاً هذه العمليات الإرهابية تبناها أبو مسعد الزرقاوي، مجاهد أردنى أصبح مساعدا لأسامة بن لادن فى العراق ومطلوب القبض عليه فى الأردن. وقد أعطى الملك عبد الله الثاني أوامره بوضع كل الإمكانيات للقضاء عليه، وبفضل المعلومات التي أعطتها المخابرات الأردنية قامت القوات الأمريكية بتصفيته فى العراق .

منذ أن جاء الملك عبد الله الثاني إلى العرش قام ببناء حزام أمنى حوله، ويحتل أقرباؤه مناصب هامة وحساسة. أخوه على "من الأب" مسئول عن الحرس الخاص، أخوه فيصل يضع يده على القوات الجوية، حتى أخته عائشة أصبحت مسئوله عن إنشاء وحدة خاصة فى المعسكرات للتدريب العسكري خلال الصيف وقد تعطى هذه الإجراءات الأمنية المحيطة بالملك انطباعًا سيئًا، عناصر الأمن صادرت طلقات بندقية أحد أفراد قبيلة قبل زيارة ملكية، فى مرة أخرى ذهب الملك عبد الله الثاني لزيارة أحد البدو وهو يحمل مسدسه فى حزامه وهذا ما يعتبره البدو إهانة لأنهم هم الذين يحمون الملك وليس العكس، ولا يوجد فلسطيني واحد فى الخدمات الأمنية وبخاصة فى إدارة القوات الخاصة والتي يرعاها الملك بنفسه اليوم. ولا يسمح لأي من رجال هذه القوات من الزواج من فلسطينية كنوع من الإجراءات الأمنية فى عمان. من الناحية العاطفية تزوج الملك عبد الله من رانيا الياسين والمولودة فى الكويت لأبوين فلسطينيين من تولكاريم فى الضفة الغربية. فى التجهيزات الملكية تعتبر الملكة رانيا عنصرًا رئيسيًا فى استراتيجية الإعلام للمملكة عند الغرب، تظهر دائمًا فى الإعلام ، تظهر وحدها أو مع زوجها، فى

قنوات التليفزيون الأمريكي والذي لا يتوقف عن دعوتها، وهي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، تتدخل فى موضوعات المرأة العربية والدعوى إلى الإسلام وتسامح معتدل فى مملكتها تنشط الملكة رانيا على رأس مؤسسة نهر الأردن والتي من أهدافها تحرير المرأة اقتصاديًا وبالذات النساء المهمشات عن طريق القروض الصغيرة، ولكن رانيا بعكس الملك عبد الله نجمها قد انطفأ منذ اعتلائها العرش، فالأردن بلد تقليدي ويأخذ على الملكة جانبها الاستعراضي عندما تظهر فى عروض الأزياء فى باريس أو ميلانو أو أن تظهر صورها على صفحات المجلات الشعبية الأجنبية، هذا الظهور الإعلامى المكثف يزعج الغالبية العظمى من الأردنيين يكافحون يوميًا حتى يتمكنوا من إتمام الشهر، وفي الطرف الآخر من الطبقات الاجتماعية البورجوازيون فى عمان ينظرون إليها على أنها "دخيلة" لأنها لم تأت من عائلة كبيرة .

في بداية جلوسها على العرش كانت تسمى "الملكة ذات حقيبة اليد" كنوع من السخرية اللاذعة .

وبصرف النظر عن هذه التعليقات، تتسع الهوة بين الأسرة المالكة المتغربة جدًا، وشعب الأردن المتمسك بتقاليده وقيمه، والوصولية غير الملجمة حول العرش الملكي تقزز الكثيرين، الملك يتصرف كما لو كان رجل أعمال يستثمر فى العقارات أو فى إنتاج وتسويق زيت الزيتون، أخوه فيصل يدير صفقات السلاح ويحصل على عمولة رهيبة، وذلك بخلاف الملك حسين الذي كان وبصورة مستمرة يقوم بعدد من الزيارات لبلدان الخليج للحصول على الأموال الطازجة لملء الخزائن الملكية، عبد الله الثاني اختار أن يكون مملكة خاصة به .

هذا الميل للسعي وراء الأعمال ليس وقفًا على الملوك الهاشميين، فمحمد السادس فى المغرب يقوم بنفس الشيء فى الأوساط المالية والأعمال، شهية الملك المالية تؤرق الجميع حتى الأمريكان الذين طلبوا من الملك فى العديد من المرات تهدئة عطشه للمال، وبعض رجال الأعمال فى المغرب لا يترددون فى الحديث

عن النهب وحتى ملكية الاقتصاد المغربي، فالملك محمد السادس يدير بطريقة مباشرة أو عن طريق رجاله الموثوق بهم، ملفا للأعمال يثير الدهشة، فى جميع المجالات الاقتصادية : بنوك وتأمين عقارات وتوزيع، أغذية زراعية واتصالات .. إلخ كل المشاريع الضخمة للبنية التحتية يتم إدارتها من القصر، سوريا ليست مملكة، ولكن عائلة بشار الأسد، وبالتحديد زوجة ابنه، من عائلة مخلوف وضعت تقسيما منتظما فى بعض المجالات الاقتصادية مثل الاتصالات (سوريا تلكوم) البنوك واستيراد السيارات، فى جميع البلدان العربية، الوارثون يهتمون بأعمالهم الشخصية والاستقرار فى السلطة أكثر من اهتمامهم بالسياسة الثروات تبنى أو يعاد بناؤها، مع محمد السادس، وعبد الله الثاني ،و بشار الأسد جيل للأربعينيات. المكسب الرئيسي لهؤلاء الزعماء الشبان هو تمكنهم من العبور خلال الفترات الانتقاليه الصعبة، والزعماء الثلاثة تعلقوا بالعولمة، بالنسبة لحالتي المغرب والأردن الليبرالية المطلقة سمحت برفع معدلات النمو ولكن لم ينخفض الفقر فى سوريا بدأ الاقتصاد المركزي يتجه شيئا فشيئا نحو اللامركزية ولكنه مازال يرضخ تحت عبء البيروقراطية، وبعد أن أثار موجة من الأمل بين الشباب فالكل يأمل فى انفتاح وفي محاربة الرشوة وتحقيق عدالة اجتماعية ولكن النتيجة ليست واضحة حتى الآن. هؤلاء الزعماء الشباب أدخلوا إلى السلطة جيلا جديدا من الفنيين الذين تدربوا فى أوروبا والذين أعطوا دماء جديدة للدولة.

محاربة الإرهاب أصبحت الصرخة التي تجمع العالم والتي سمحت للزعماء الثلاثة تشددهم الأمني فى بلادهم فى حين أن الحقوق الديمقراطية عانت كثيرا! الانتخابات لم يعد يهتم بها أحد وأعداد قليلة هي التي تذهب لصناديق الاقتراع كما حدث فى الانتخابات التشريعية المغربية فى أكتوبر ٢٠٠٧م حيث تغيب عن التصويت أكثر من ٦٣٪ من الناخبين !

في الأردن الانتخابات التشريعية فى نوفمبر ٢٠٠٧م تم تدبيرها وبعناية لإضعاف الإسلاميين وضمان غالبية تتكون من المستقلين وممثلين عن القبائل

الموالية للعرش، فى سوريا الحياة السياسية شبه متوقفة، المعارضة منكسرة، الانتماء إلى الإخوان المسلمين مازال يواجه عقوبة الإعدام، فى دمشق الانفتاح الديمقراطي لم يدم أكثر من ربيع واحد.

إن شعبية وهالة كل من عبد الله الثاني وبشار الأسد مازالت بعيدة كل البعد عن تأصلها بين شعوبها فليس لديهم إلا هوامش ضيقة للمناورة السياسية. ويعرف كل من عبد الله الثاني ومحمد السادس أن قوة العرش تعتمد فى الكثير على مساندة الغرب ولكن بشار الأسد ليس فى هذه الصورة ولكنه يعتمد دائمًا على الجهاز الأمني السياسي الذي ورثه عن أبيه ويطرح نفس السؤال حول هؤلاء الزعماء الشبان .

كيف يمكن التحديث والديمقراطية فى بلادهم بدون قطع فرع الشجرة الذي يجلسون عليه ؟ فى المغرب فكرة الملكية الدستورية لم يتم التخلي عنها تمامًا، فى الأردن، الفلسطينيون يريدون حقوقهم فى السلطة بالمقارنة لوزنهم الديموجرافى والاقتصادي، فى سوريا موضوع الإخوان المسلمين والتمثيل الزائد للعلويين فى أجهزة الدولة يظلان موضوعين شائكين .

الفصل الرابع

لم يعد هناك خيار للإسرائيليين والفلسطينيين

بعد مرور ستين عامًا على إنشاء دولة إسرائيل لم تزل مشاكلها بلا حل، فى بداية هذا القرن الواحد والعشرين جاء وقت التأمل والمقارنة الجماعية، القوة لم تسمح للدولة العبرية أن تصبح مقبولة فى المنطقة، حتى وإن كانت تملك السلاح النووي والجيش الأكثر قدرة في الشرق الأوسط، الأسوأ فى حرب صيف ٢٠٠٦م، ٤٠٠٠ صاروخ من حزب الله أطاحت بأسطورة "إسرائيل المحصنة" كما كانت قد قضت على هذه الأسطورة صواريخ صدام حسين "سكود" .حدود إسرائيل لم يتم تحديدها والاعتراف بها على المستوى العالمي، بخلاف مصر والأردن والقدس والتي تم ضمها فى العام ١٩٨٠م وأعلنت "عاصمة أبدية لا يمكن تقسيمها" من جانب إسرائيل لم تعترف بها المجموعة الدولية والقوى العظمى بما فيهم الولايات المتحدة التي احتفظت بسفارتها فى تل أبيب، والدولتان الوحيدتان اللتان تخطيا هذا الخط وأقامتا سفارات فى القدس هما كوستاريكا والسلفادور، ثم تراجعا وعادا إلى تل أبيب أثناء حرب لبنان فى صيف ٢٠٠٦م .

وإسرائيل تتفاخر بكونها الدولة الديمقراطية الوحيدة، مع لبنان فى كل الشرق الأوسط ولا أحد ينكر هذا، ولكن على المستوى الداخلي، المليون إسرائيلى عربي، المنحدرون من مائة ألف فلسطيني الذين لم يطردوا من أراضيهم، يتم اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، بالنسبة لأحمد طيبى، عضو منتخب فى الكنيست الإسرائيلي الذي يقول إن إسرائيل تبدو على أنها عنصرية أكثر من إنها ديمقراطية غربية، ويشرح : "في القانون الأساسي لإسرائيل التي ليس لها دستور، تحدد الدولة بالترتيب يهودية أولاً، ثم ديمقراطية بمعنى آخر، هي ديمقراطية فقط بالنسبة لليهود، وهي يهودية فقط بالنسبة للعرب"

بالرغم من كل الجهود التي بذلت منذ العام ١٩٤٨م ولتظهر إسرائيل بمظهر جيد، تظل إسرائيل تعطى الصورة الأكثر سلبية فى العالم فكيف وصلت الدولة العبرية إلى هذه النتيجة المزرية ؟ تستفيد إسرائيل منذ إنشائها بالدعم غير المشروط من الغرب، ولكن الواقع الفلسطيني أصبح حقيقة لا يمكن الالتفاف حولها، حتى وإن اعتقدت إسرائيل على مدى سنوات إمكانية مسح فلسطين من الخريطة باستخدام القوة: أثناء حصار بيروت فى العام ١٩٨٢م، وأثناء الانتفاضة الأولى فى العام ١٩٨٧م، ثم الانتفاضة فى العام ٢٠٠٠م، أساء بدرجة كبيرة لصورتها، والاستخدام الزائد لقدرتها العسكرية أصبح يعطى نتائج ضارة، وبرغم الجهود المكثفة التي تبذلها لجعل العالم يعتقد بأن وجودها مهدد من قبل الفلسطينيين والعرب، لم تعد إسرائيل تقنع أحدا، ويقول زيف ستراتهل أستاذ التاريخ فى الجامعة العبرية فى القدس(لجريدة الليموند الفرنسية) "الحقوق التاريخية لا تبرر إسالة الدماء بلا نهاية، وعلاوة على ذلك فإن الفلسطينيين لهم أيضا حقوق تاريخية وطبيعية للحرية والاستقلال، والسير بالأقدام على هذه الحقوق قد همش إسرائيل فى العالم الغربي ووضع مصالحها الحقيقية فى خطر شديد، وأكثر من أي دولة أخرى فإن إسرائيل تحتاج إلى المساندة الدولية التي لا غنى لإسرائيل عنها لتتمكن من التنفس" .

لقد وقعت إسرائيل معاهدة سلام مع مصر فى العام ١٩٧٩م، ومع الأردن فى عهد الملك حسين عام ١٩٩٤م، مثيرة بذلك الآمال ولكن هذا السلام ما يزال سلاما باردًا، فى المنطق الإسرائيلي الذي يفضل الحلول الثنائية على الحلول الشاملة، كان من المفترض أن تؤدى هاتان المعاهدتان وقع الدومينو لكن لم يحدث أي شيء، لا توجد دولة عربية أخرى تريد تطبيع العلاقات مع إسرائيل بخلاف موريتانيا وقطر واللتان سمحتا بفتح مكاتب لممثلين تجاريين والتى تمثل فى الواقع سفارات غير رسمية. أقامت إسرائيل علاقات اقتصادية مع مصر والأردن، بالذات مع الأردن بفضل المناطق الصناعية المؤهلة، وهي مناطق تستقبل الاستثمارات الإسرائيلية ولكن حتى الآن الاستثمارات ما تزال ضعيفة بالنسبة لما يمكن أن يكون

فى حالة السلم الحقيقي فإذن التجارة بين إسرائيل هاتين الدولتين ليست على المستوى المأمول فلماذا هذا الجفاف ؟

إن من الوهم أن تأمل إسرائيل فى العيش فى سلام مع جيرانها وتطبيع العلاقات معها طالما أن المسألة الفلسطينية لم تحل، أو على الأقل فهي النتيجة التي استخلصها الرئيس الأمريكي السابق جيمى كارتر، مهندس معاهدة كامب دافيد بين مصر وإسرائيل، فى كتابه عن فلسطين "إن السلام وليست العنصرية هو الذي يصدر صوتاً عاليا، إن القلق الكبير فى حياتي هو ألا تحقق إسرائيل السلام، الإسرائيليون لن يعرفوا السلام إذا لم يوافقوا على الانسحاب من الأراضي المحتلة" ومن المعروف أن إسرائيل فقدت فرصة ذهبية تاريخية بتفريغها اتفاقات أوسلو من محتواها والذي تم التوقيع عليها فى حديقة البيت الأبيض فى العام ١٩٩٣م، فى هذا الوقت كان جزء من منظمة التحرير الفلسطينية يتوقع أن هذه الاتفاقات غير متعادلة وسوف تؤدى إلى طريق مسدود ففي الحقيقة تلك الاتفاقات كانت مصاغة بطريقة مبهمة، ولكن لم يتم فقدان كل شيء بعد، بشرط أن يدخل فى اللعبة كل الأطراف بداية من الطرف الأقوى وهو إسرائيل، كانت فلسفة اتفاقات أوسلو الخطوة خطوة لبناء الثقة بين المعسكرين وكانت تهدف إلى ثلاثة انسحابات من الأراضي الفلسطينية المحتلة، مقسمة إلى ثلاث مناطق أ-ب-ت، وممر أرضى يتم حمايته يربط بين قطاع غزة والضفة الغربية لخلق نوع من الاستمرارية لأراضى فلسطين، وإقامة البنية التحتية (ميناء بحري وجوى ومصانع لمعالجة المياه) كان الهدف منها إخراج الفلسطينيين من عزلتهم وخلق المناخ لتطور اقتصادي متوجها للخارج حتى إن ياسر عرفات كان يحلم بتحويل غزة إلى هونج كونج الشرق الأوسط، وبعد خمس سنوات أي فى العام ١٩٩٩ كان على الإسرائيليين إخلاء ٩٠٪ من الأراضي المحتلة حيث تبدأ المفاوضات النهائية حول الضفة الغربية والقدس على وجه التحديد، واللاجئين، وحدود تسمح للوصول إلى حل نهائي، وبين المرحلة الأولى والأخيرة تكون تصفية الخلافات بين الشعبين الإسرائيلي

والفلسطيني قد وصلت إلى بر الأمان ولكن بعد أن نفذت إسرائيل انسحابها الأول، توقفت عن الانسحاب لكسب الوقت حيث أعلن إسحاق رابين "أن التواريخ ليست مقدسة" موقعًا بذلك على شهادة وفاة لمسيرة السلام ولم تتم الانسحابات التالية والتي كانت مقررة فى الاتفاقية، بالإضافة إلى أن بناء المستعمرات اليهودية لم يتوقف أبدًا بخلاف ما كان مقررًا فى اتفاقيات أوسلو وعلى سبيل المثال لا الحصر إقامة مستعمرة هارهوما أو مستعمرة جبل أبى غنيم على تل مشجر بين القدس وبيت لحم أدت إلى استحالة تحقيق السلام وهذه المستعمرة التي أرادها بنيامين نتينياهو فى العام ١٩٩٧ والتي ترمى إلى الفصل بين القدس الغربية وبيت لحم، ولم يصوت غير الولايات المتحدة وإسرائيل ضد قرار الأمم المتحدة الذي يدين هذه المستعمرة والتي مرت وتم بناؤها بدون صعوبة تذكر .

ومن جانب القيادة الفلسطينية فهي كانت فى مأزق، بخصوص التنسيق مع إسرائيل حول الأمن، فقد تم قمع الإسلاميين فى حماس والجهاد والمعارضين لاتفاقيات أوسلو، ولم يتأثر المجتمع الدولي بحالات التعذيب والمعاملة السيئة التي تتم فى السجون الفلسطينية، كل شيء كان مسموحًا به باسم السلام .

قمع الداخل من أجل تحقيق الأمن لإسرائيل ؟ لم يعد أمام عرفات ما يقدمه لشعبه بشأن المستقبل ليس فقط أن إسرائيل جمدت الانسحاب وإنما تزيد من المستعمرات، وبدلاً من أن يتدخل المجتمع الدولي، قامت الولايات المتحدة وأوروبا فى المقدمة بترك الأوضاع تتأزم! كان يجب ترك الوهم بأن محادثات السلام مستمرة، وحتى وإن كانت أفرغت من محتواها .

لم يسع أحد لتحمل المسئولية للضغط على إسرائيل لتطبيق اتفاقيات أوسلو والنتيجة أن ظهرت كل الظروف للانتفاضة الثانية فى العام ٢٠٠٠ والتي سببها "إيريل شارون" بزيارته للمسجد الأقصى فى القدس .

بعد دفن اتفاقيات أوسلو، تم انتخاب إيريل شارون رئيسًا للوزراء الذي بدأ يتخيل استراتيجية جديدة وهي الانسحاب من طرف واحد، وكان أحد رؤساء الوزراء السابقين له وهو يهود باراك قد مارس هذه السياسة فى جنوب لبنان فى العام ٢٠٠٠، بعد احتلال دام أكثر من ٢٢ عامًا لمنطقة سميت بالمنطقة الأمنية وقد قام الجيش الإسرائيلي بمغادرة بلاد الأرز .

هذا الانسحاب الذي تم الإعلان عنه لم يكن ثمرة اتفاق سياسي مع بيروت ولكنه كان لتحقيق هدفين: أولاً التخلص من احتلال أصبح يشكل عبئًا اقتصاديًا وسياسيًا وثانيًا إزعاج سوريا التي كانت تفضل استمرار الوضع على ما هو عليه. على الورق الفكرة تبدو جيدة ولكن فى التطبيق فهي أدت إلى كوارث ليس كما يعتقد جزء من الإسرائيليين بأنها ستزيد من رغبة العرب فى الثأر، ولكن لأنها سببت فى فراغ أمنى سمح لحزب الله ملء هذا الفراغ والاستقرار على الحدود الإسرائيلية .

إن رسم الخط الوهمي الذي تسميه الأمم المتحدة بالخط الأزرق ترك قنابل موقوتة: قرية الغجر اللبنانية على سبيل المثال أصبحت منقسمة إلى نصفين وأيضًا مزارع شبعا التي لم يتم البت فى أمرها والتي يستخدمها حزب الله لمواصلة نضاله ضد المحتلين حتى وإن كانت الأمم المتحدة قد صدقت على الانسحاب الإسرائيلي.

وقد فرض إيريل شارون على الإسرائيليين والفلسطينيين انسحابًا من طرف واحد من قطاع غزة بدون تنسيق مع السلطة الفلسطينية، هناك قراءتان لهذه المبادرة التاريخية: القراءة الأولى وهي الأكثر تفاؤلاً ترى فيها أن الجنرال المسئول عن عملية سلام الجليل التي تمت فى لبنان فى العام ١٩٨٢، والتي أدت إلى مجازر صبرًا وشاتيلا قد تغير هذا الانسحاب يدخل ضمن رؤية أوسع، فهذه الخطوة ستتبعها مبادرات أخرى من نفس النوع وستكون هذه المرة فى الضفة الغربية. القراءة الثانية وهي الأكثر تشاؤمًا : ترى أن إريل شارون أراد الخروج

من مستنقع غزة والتي ليس لها القيمة الدينية والسياسية والاستراتيجية التي تحظى بها الضفة الغربية، باختصار سيكون انسحابًا من غزة ثم تجزئة الضفة الغربية .

لقد تمت عملية إخلاء المستعمرات اليهودية فى صيف عام ٢٠٠٥، هذا الانسحاب الأحادي الجانب ترك الحقل مفتوحًا ليس لحزب الله هذه المرة كما حدث فى لبنان ولكن حماس، وهي موجودة بكثافة عسكريًا واجتماعيًا فى قطاع غزة، وفي نظر الأمم المتحدة، قطاع غزة لم يعد من مسئولية إسرائيل ولكنها تظل قوة محاصرة لأن الدولة العبرية تتحكم فى البحر والسماء والطرق البرية التي تربط غزة بالخارج، تستطيع أن تفتح أو تغلق كما تشاء وتقـــرر من يمكنـــه الخـــروج أو الدخول

تلك الاستراتيجية للانسحاب الأحادي الجانب لم يخدم إريل شارون، الذي سقط فى غيبوبة منذ يناير ٢٠٠٥م، وجاء خليفته ياهود أولمزن ليسرع فى تطبيق الخطة التي رسمها إريل شارون : بناء حائط الفصل فى الضفة الغربية لمنع الانتحاريين الإسلاميين من التسلل إلى إسرائيل .

من الناحية الأمنية هذا يعتبر نجاحًا للإسرائيليين : إعداد الاعتداءات الانتحارية بدأت فى الانخفاض. أن خط الفصل الأمني الذي أقامته إسرائيل من الممكن ألا يشكل مشكلة إذا كان يمر فى أراض إسرائيلية، أية دولة مستقلة لها الحق فى اتخاذ الإجراءات التي تراها مناسبة لتأمين الدفاع عن نفسها ولكن هذا الحائط يصادر ٩٪ من الضفة الغربية، وجزءا من القدس الغربية ،هذا المشروع حكم عليه من قبل محكمة العدل الدولية التابعة للأمم المتحدة .

من الناحية الرسمية، ووفقًا لكلمات دانيال شك، سفير إسرائيل فى فرنسا "يعتبر هذا الحائط طريقة غير هجومية ويمكن تحريكها قد اقيم لتحقيق هدف معين" بمعنى أمن إسرائيل .

ونظرا لتكاليف المشروع ١٠ مليون شيكل لكل متر (١،٧٠ مليون يورو) فى المعنى السياسي، المؤقت من الممكن أن يصبح دائمًا، وفي الواقع وبصرف النظر عن الناحية الأمنية، فهو يعنى استحالة إنشاء دولة فلسطينية مستقلة يمكن أن تعيش بطريقة ملموسة أكثر، إن هذا الأمر الواقع عندما يتم يزيل بما يسمى بالخط الأخضر، وهي حدود ١٩٦٧ الأساس القانوني للقرارات ٢٤٢، ٣٣٨ الصادرة عن الأمم المتحدة • بالنسبة .لإسرائيل هذا الخط الأخضر ليس حدودًا دولية معترفا بها ولكن خط لوقف إطلاق النار، والذي من الممكن تغييره وفقا للتطورات على الأرض، قراءة قانونية تشارك فيها الإدارة الأمريكية، الضفة الغربية مقسمة إلى ثلاث مناطق : فى الشمال منطقة جنين ونابلس، فى الوسط القدس ورام الله وفي الجنوب هابرون الفلسطينيون فى القدس لهم وضع خاص. وبين هذه المناطق هناك نظام للمرور بالنسبة للشعب الفلسطيني، مئات من نقاط التفتيش والحواجز، ثابتة ومتحركة، تمشط الأراضي الفلسطينية، لقد قال الرئيس الأمريكي السابق جيمى كارتر : "عندما تحتل إسرائيل أرضا تغطى جزءًا كبيرًا من الضفة الغربية وتربط أكثر من ٢٠٠ مستعمرة بطرق برية، ولكنها ممنوعة على الفلسطينيين، وفي أحيان كثيرة يمنعوا من عبورها كل هذا يعتبر شكلاً من أشكال العنصرية والفصل العنصري أسوأ حتى مما عرفناه فى إفريقيا الجنوبية"

وبدأ وكأن حلم الفلسطينيين فى إقامة دولة مستقلة يمكنها العيش قد تبخر، ولزمن طويل، اقترحوا عليهم اتفاق العام ٢٠١٥، وفقا لكلمات وزيرة الخارجية فى الإدارة الأمريكية "كونداليزا رايس"، من الناحية السياسية كانت النتائج مدمرة للحركة الوطنية الفلسطينية والتي تجد نفسها اليوم فى مأزق كبير.

في البداية كان المشروع بسيطًا : تحرير كل فلسطين المحتلة، بمعنى ليس فقط قطاع غزة والضفة الغربية ولكن أيضا فلسطين ١٩٤٨م والتي تسمى الآن إسرائيل بدأت المنظمات فى الظهور ومعظم الأحيان بطريقة سرية ومن ضمن هذه المنظمات، منظمة فتح والتي أنشأها ياسر عرفات فى العام ١٩٥٩م مع مجموعة

من الأخوة فى النضال ومنهم محمود عباس، وأخذت هذه المنظمة موقع القيادة فى الكفاح وفي إدارة منظمة التحرير الفلسطينية والتي اعترفت بها جامعة الدول العربية فى العام ١٩٦٤، منظمة فتح هي أول منظمة أعلنت فلسطينيتها وكان لها هدف واحد "تحرير فلسطين بقوة السلاح" هذا الشعار البسيط والملموس جذب إليه الشباب بعيدًا عن الخطب الرنانة للرؤساء العرب فى هذه الفترة .

كان ياسر عرفات واعيًا قبل كل شيء بكيفية تغيير طريقة التعامل مع المسألة الفلسطينية، والتي كان ينظر إليها على أنها مسألة لاجئين فقط، وكانت الحركة لتحرير شعب يناضل من أجل استعادة حقوقه بدأت حركة فتح فى التجنيد من كل الطبقات الاجتماعية، من الناحية الأيديولوجية، كانت هذه الحركة هي "صهر للكل" فهي تستقبل كل المناضلين من كل الاتجاهات العقائدية(قوميين- شيوعيين – مستقلين ناصريين وحتى الإسلاميين) كان برنامجها السياسي الأول والذي تم الإعلان عنه فى باريس فى العام ١٩٦٩ وفيه تنادي الحركة بدولة فلسطينية مستقلة ديمقراطية علمانية، وتحت الضغط السعودي كلمة علمانية اختفت سريعًا من أحاديث المنظمة. فى قلب منظمة التحرير الفلسطينية حركة فتح تمثل الغالبية وهي تتعايش مع الحركات المتطرفة مثل "جورج حبش" فى الجهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين وعلى رأسها نايف حواتمه، والجبهة الوطنية لتحرير فلسطين، وهاتان الأخيرتان تمثلان حركة الماركسية واللتان بدأتا عصر أخذ الرهائن والقرصنة الجوية .

وقد أدت المزايدة من جانب هاتين المجوعتين إلى عدوى لمنظمة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن، الفلسطينيون كانوا قد أقاموا "دولة داخل الدولة" والمواجهة مع الملك حسين أصبح لا يمكن تجنبها، فاستفزازات الفدائيين فى الشوارع وفرضهم للقانون فى شوارع العاصمة ورفع الأعلام الحمراء على مآذن المساجد، كل هذا كلف الحركة الوطنية الفلسطينية الكثير.

وكان قمع ملك الأردن بلا هوادة : أكثر من ٢٠٠٠٠ قتلوا خلال عشرة أيام فى مواجهات سبتمبر ١٩٧٠م كان هذا بالنسبة للثورة الفلسطينية نهاية للأوهام، وفهم الفلسطينيون بأنهم لا يمكن اعتمادهم على الأخوة العرب الذين يطعنوهم من الخلف لتحرير أرضهم، أكثر من ذلك أنهم أصبحوا منبوذين. وخرج من هذه التجربة الأليمة تياران متناقضان : الإرهاب والاختيار الدبلوماسي قامت منظمة أيلول الأسود، المنبثقة عن منظمة فتح برئاسة ياسر عرفات بالإعلان عن مسئوليتها عن أول عملية : اغتيال وصفي التل رئيس الوزراء الأردني، فى القاهرة فى العام ١٩٧١، ولكن اسم هذه المنظمة السرية مازال مرتبطا على وجه الخصوص بعملية قتل الرياضيين الإسرائيليين فى دورة الألعاب الأولمبية فى ميونخ فى العام ١٩٧٢ وأمام الرفض العالمي تخلت القيادة الفلسطينية عن الإرهاب، ولكن ظلت هناك فصائل تعتمد هذا الأسلوب (أبو نضال، وسعد حداد ..الخ) وقد أخذ الخيار الدبلوماسي الصدارة وبخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ (يوم الغفران) أمام هذه المعطيات العالمية الجديدة (المفاوضات المصرية الإسرائيلية) وجدت منظمة التحرير نفسها أمام اختيار صعب فرفض الطرق الدبلوماسية يعنى المخاطرة بأن تعزل نفسها كليًا، وبعد مناقشات مكثفة داخل المنظمة تمت الموافقة على حل الدولة المصغرة .

وراء هذه الواقعية الجديدة، مرحلة من النضال الفلسطيني، لم يتم التخلي عنها كلية، إنما انتقلت إلى الصف الثاني، خلف السياسة حافز جديد للكفاح من أجل الحرية الوطنية، هذا المنحنى الاستراتيجي والتاريخي جاء نتيجة تبنى المجلس الوطني الفلسطيني، فى يونيو ١٩٧٤م لهذا الخط الجديد "الإعلان جاء فى عشر نقاط "بإنشاء سلطة وطنية مستقلة على كل أرض وطنية يتم تحريرها أو انسحاب المستعمر منها" بطريقة واضحة. المشروع الوطني الفلسطيني تخلى عن تحرير فلسطين التاريخية وأصبح يركز على الضفة الغربية وقطاع غزة .

هذا الحل "لدولة صغيرة" فلسطينية كان الحجر الأول على طريق اتفاقيات أوسلو، وفشل هذه الاتفاقيات كما رأينا يرجع أولا إلى إسرائيل، والتي لم تطبق الانسحابات التي كانت مقررة وفقا للاتفاقيات. هذه الترتيبات وضعت الفلسطينيين في طريق مسدود، على المستوى الداخلي كانت هناك عدة نتائج سلبية، أولا هذه الاتفاقيات أسرعت في انتشار الرشوة، عندما تم إنشاء احتكارات للاستيراد مع شركاء إسرائيليين، السلطة الفلسطينية إدارت تراخيص الاستيراد للمواد الأولية والدقيق والوقود والأسمنت والحديد .. الخ) عن طريق المحسوبية، المسئولون عن الأمن الفلسطيني تم مكافآتهم على إخلاصهم بإعطائهم مسئولية القطاعات الاقتصادية ونتج عن ذلك طبقة "أمنية مفاياويه" ممثلة في محمد رسلان وغازى جابيلي وجبريل راجوب، مستفيدين من مراكزهم واتصالهم بالإسرائيليين ليطوروا أعمالاً مشكوك فيها وغير واضحة. هناك تقرير للبرلمان الفلسطيني في العام ٢٠٠٤م ينتقد فيه "المحيط الرأسي" للمؤسسات الثلاثة المستوردة للأسمنت، ومنها شركة تعود إلى جماعة الوزير السابق للشئون المدنية جميل طريفي (من سبتمبر ٢٠٠٣م إلى مارس ٢٠٠٤م) هذه الشركات باعت للإسرائيليين بطريقة غير شرعية مئات الآلاف من أطنان الأسمنت المصرية التي كانت قدمتها مصر بأسعار مخفضة لمساندة الاقتصاد الفلسطيني وتدعي الألسنة اللاذعة -أن هذا الأسمنت استخدم في بناء الجدار الفاصل الذي قرره إيريل شارون !

السلطة الفلسطينية العاجزة عن جعل الإسرائيليين يخلون أرضا جديدة، وغرقها في الرشوة، جعل أصواتًا أوربية تلفت النظر إلى أن الإسلاميين أكثر نزاهة وحزمًا في دوائرهم من المنتخبين من عناصر فتح والسلطة الفلسطينية، وفوز حماس في الانتخابات التشريعية في يناير ٢٠٠٦م جاء ليتوج انحراف المؤسسات الفلسطينية والتي كانت تشبه "بدولة فتح" .

إن حماس لم تخرج من العدم، فمن سخرية القدر أن الإسرائيليين هم من ساندوا وشجعوا على إنشاء المنظمة في أواخر الثمانينيات، في هذه الفترة العدو

الأول كان منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات. ولم يتورع جهاز المخابرات الإسرائيلي عن اغتيال عدة مسئولين فلسطينيين مثل أبو جهاد فى العام ١٩٨٨ فى تونس وعاطف بسبو قائد فى المخابرات فى قلب باريس.

ولكسر منظمة التحرير الفلسطينية فى الأراضي المحتلة تغاضت إسرائيل عن النظر إلى النشاطات الاجتماعية والتضامنية لحركة حماس، قبل أن تغير إسرائيل بندقيتها إلى الكتف الآخر حين أدركت أنه لا يمكن الاستغناء عن عرفات ومنظمة التحرير من أجل أي حل يمكن التفاوض عليه، وفي خلال ذلك حماس التي خرجت من حركة الإخوان المسلمين، عملت فى الحقل الاجتماعي والسياسي رافعة شعار الرفض لاتفاقيات أوسلو، وتمكنت هذه المنظمة ذات الفصائل المختلفة أن تغير بناء نفسها وأصبحت لها قيادة داخلية وخارجية ذراع عسكري لكتائب عز الدين القسام ومساعدات ومساندة مالية من الأردن ودول الخليج .

عندما وصلت حماس إلى السلطة بطريقة ديمقراطية فى العام ٢٠٠٦م كان ذلك بمثابة تحدى للفلسطينيين والإسرائيليين والمجتمع الدولي بالنسبة للفلسطينيين حماس تشكل المشروع الإسلامى الذي يحل محل المشروع الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي حكم عليه بالفشل، رد فعل الدولة الإسرائيلية، والمجتمع الدولي كان فرض حصار سياسي ومالي على منظمة حماس، فالجميع ينظر إلى حماس على أنها حركة متطرفة تنفي بصورة رسمية حق إسرائيل فى الوجود، ولكنها فى نفس الوقت قادرة على التعامل بطريقة برجماتية منذ العام ١٩٩٥، فنذكر أن الشيخ أحمد يس قد عرض نوعًا من الهدنة الطويلة مع إسرائيل، وهو شكل من الاعتراف بالدولة العبرية، ولا يجب أن ننسى أن منظمة التحرير الفلسطينية استمرت طويلا قبل أن تعترف بوجود إسرائيل وأن رفض أية انفتاح أو اتصال مع حماس كان له نتائج عكسية على المدى المتوسط .

إن محاولة برمجة فشل حماس من الممكن أن يكون له أثر كبير فى المستقبل، ليس فقط لأنها تضفي نوعًا من اللامصداقية على الانتخابات البرلمانية الفلسطينية ولكنها أيضًا ستؤدى إلى ظهور أجيال جديدة من الإسلاميين الأكثر تطرفًا .

بعد تجربة إلغاء الانتخابات التشريعية فى الجزائر عام ١٩٩٢م، فإن تجربة حماس فى السلطة ستكون تأكيدًا لكل المناضلين الإسلاميين فى الشرق الأوسط على أن طريق الديمقراطية ليس إلا وهمًا، وأن الطريق إلى العنف هو فى النهاية الطريق الوحيد الذي يؤدى إلى نتائج .

إن سياسة معاقبة الفلسطينيين لاختيارهم إعطاء السلطة لحماس لا يمكن إلا أن يؤدى إلى كارثة أخرى بعد فشل المشروع الوطني الفلسطيني: هناك اثنتان من فلسطين قد ولدتا الأولى فلسطين الإسلامية وتديرها حماس فى قطاع غزة، والثانية وطنية وتديرها فتح فى الضفة الغربية وغزة والضفة، فى تدهور مستمر، لم تعد هناك سلطة حقيقية، ليس هناك حكومة حقيقة ويتفكك المجتمع الفلسطيني لدرجة أن روح القبائل والعشائر قد عادت بقوة : ففي غياب الأجهزة الأمنية والحكومية ذات المصداقية ستأخذ القبائل والجماعات زمام السلطة، اليوم لا تملك القيادة الفلسطينية أو ما تبقى منها أية استراتيجية للمستقبل، الاستقلال سيظل لزمن طويل أملاً مقدسًا، حائط الفصل والمستوطنات اليهودية (أكثر من ٤٠٠٠٠٠ مستوطنة) يجعل من المستحيل إقامة دولة فلسطينية يمكن أن تعيش مستقلة على ٢٢٪ من الأراضي الفلسطينية قبل عام ١٩٦٧، السلطة الفلسطينية تتكمش حول الأجهزة الأمنية، والتي تحولت إلى ميلشيات وإلي فصائل، ومافيا محلية وقبائل، باختصار كل ما هو عكس بناء الدولة وفي ظل كل هذه الظروف أي سيناريو يمكننا تصوره ؟

في ظل الأزمة الحالية بدأت تظهر أفكار قديمة، مثل حل الدولة الواحدة ذات قوميتين، من وجهة النظر التاريخية، تلك الفكرة تم التخلي عنها بعد خطة تقسيم الأراضي الفلسطينية التي وافقت عليها هيئة الأمم المتحدة فى العام ١٩٤٧م والحرب العربية الإسرائيلية الأولى التي شاهدت مولد إسرائيل فى العام ١٩٤٨م هاتان القوميتان العربية واليهودية من الممكن أن يجدا الحل فى هذا التصور الجرىء الذي يستدعي إعادة صياغة مفهوم الدولة ومفهوم المواطنة ولكن مع تنازلات مؤلمة .

في إسرائيل الدولة هي للمواطن اليهودي، ولتظل يهودية على إسرائيل أن تبعد كل من هو ليس يهوديًا حتى لا تفقد هويتها.

بينما التطور الديمغرافي يسير فى صالح الفلسطينيين، وهم يمثلون الآن ٢٠٪ من السكان الإسرائيليين وحيث معدل الزيادة يفوق بكثرة معدل الزيادة عند الإسرائيليين فمن المؤكد أن هذه القنبلة الموقوتة ستؤدى إلى زيادة التوترات .

فكرة الإتحاد الفيدرالي بين الأردن و فلسطين عادت لتظهر على الواجهة وبصورة قوية، فكرة من المبدأ مرفوضة من قبل الأردنيين منذ أن قطع الملك حسين فى العام ١٩٨٨ الروابط الإدارية بين المملكة والضفة الغربية وحتى الفلسطينيين مناهضين لهذه الفكرة، رغم أنها تشكل العديد من المميزات فهي تجد حلاً لمشكلة ٢ مليون لاجئ فلسطيني يعيشون فى المملكة الهاشمية، الذين سيصبحون مواطنين فى الكونفدرالية الأردنية الفلسطينية واستمرارية فى الأرض توفر استمرارية اقتصادية للضفة الغربية والتي ستصبح مفيدة أكثر للأردن، والمؤيدون لهذه الفكرة يشيرون إلى أن عمان هي التي تشرف على الأماكن المقدسة فى القدس، ويعد إعلان ربط شبكة كهرباء أريحا بالشبكات الأردنية فى فبراير ٢٠٠٨م طريقة لتشديد الروابط على الجانبين العربي من الأردن.

ولكن هذا الحل يواجه أيضًا مشاكل، وبالذات بالنسبة للملك عبد الله الثاني، ضمن هذا التخيل، سيصبح الفلسطينيون هم الغالبية بالنسبة للسكان من أصل أردنى الذين سيرفضون التخلي عن السلطة التي احتفظوا بها وأراقوا الدماء من أجلها (في العام ١٩٧٠ سبتمبر الأسود) باختصار سيكون فى هذه الحالة عرش الملك على المحك. ولكن الفكرة مازالت مطروحة لعدم وجود الأفضل، ولكن فى الغالب ستستمر الأوضاع على ما هي عليه أي حالة "اللاحل" حتى تتدهور عبر السنوات .

اليوم إسرائيل والفلسطينيون ليس أمامهم خيار، محكوم عليهم أن يتعايشوا معًا، ولن يتمكنوا من طرق التعايش هذه إلا من خلال التدخل الدولي القوى وحتى

الآن إسرائيل كانت تملك موافقة على تنفيذ مشاريعها التوسعية فى الأراضي الفلسطينية المحتلة، ومن جانبهم الفلسطينيون سقطوا فى الحرب الأهلية الانتحارية .

هل يريد المجتمع الدولي فعلاً أن يتدخل ؟ أعتقد أنه يمكننا الشك فى ذلك.

ترك الفلسطينيين فى مواجهة مع إسرائيل لن يؤدى إلى إعطاء الحق للمتطرفين من الجانبين وفي انتظار ذلك، فإنه قد حان الوقت لوضع القانون الدولي واحترامه فى قلب مسيرة السلام .

الفصل الخامس

المياه

الحرب الصامتة

منذ قديم الزمن كان الماء سلاحًا لا يمكن الاستهانة به. فى العام ٥٧٣ قبل ميلاد السيد المسيح، ولوضع نهاية للحصار الذي لا ينتهي لمدينة تير الفينيقية، أمر الملك نانيكودونسر الثاني ملك بابيلون بتحطيم أنبوب الماء الذي يمد هذه المدينة بالمياه على اعتبار أن عطش أهلها سيدفعهم إلى الاستسلام، اليوم لم يتغير شيء تقريبا، تظل المياه مسألة حياة أو موت، عامل قوة كما كان قد لخصها لنا الوزير اللبناني للمصادر المائية على هامش مؤتمر دولي. فهو يقول "إن بلاده لا يمكن أن تمد إسرائيل بنقطة واحدة من المياه لأن فى نظره إعطاء الماء يعنى إعطاء الحياة وفي هذه الحالة لا يمكننا استعادتها حتى وإن ارتفعت احتياجاتنا الذاتية ، ولاستعادتها ربما تشتعل الحروب، البلد الذى ليس به ماء يموت، إنه قانون الطبيعة !!" ؟ إنها نظرة بائسة وغير إنسانية، ولكنها تذكرنا بأن الماء أو الذهب الأزرق هو كنز لا يقدر بثمن بالنسبة للدولة التي لديها الماء .

إن الجغرافيا السياسية لم تكن متسامحة مع العرب، كل مصادر المياه فى المنطقة يتم التحكم فيها من دول غير عربية غالبًا معادية للعرب نهرا دجلة والفرات يأخذان مصادرهما فى تركيا قبل أن يصلا إلى سوريا والعراق، فرعا النيل يأخذان مصدرهما من قلب إفريقيا البحيرات الكبيرة ومن أثيوبيا ليلتقيا فى السودان ويعبرا الأراضي المصرية، ونهر الأردن أصبح فعليا تحت سيطرة إسرائيل برغم أنف لبنان وسوريا والأردن فى كل هذه الأحواض المائية، تستمر

التوترات، والمنافسة تشتد لوضع اليد على هذا السائل الثمين النادر والموزع بطريقة غير عادلة لقد بدأ الشرق الأوسط يعرف حالات من النقص فى المياه وفقا للتعريف المتفق عليه لخبراء المياه وهناك العديد من الدول تقع فى مناطق نقصان المياه والتي تقدر بألف متر مكعب من المياه للفرد فى العام ابتداء من ٥٠٠ م٣، تصبح الأوضاع خطيرة وأقل من ١٠٠ م٣ يجب الاستعانة بمصادر غير اعتيادية مثل تحلية مياه البحر أو إعادة استخدام المياه المستخدمة، الكويت وقطر والبحرين تملك ما يعادل ٩٠ إلى ١٢٠ م٣ لكل فرد فى العام، السعودية ١٦٠ م٣، إسرائيل ٤٠٠ م٣ والأردن ٢٣٠ م٣ وهاتان الأخيرتان تعانيان من قلة فى المياه تعادل ٣٠٠ مليون متر مكعب من المياه كل عام، ويتم تعويضها عن طريق الاستغلال الأقصى للمياه الجوفية وبعضها لن يتجدد .

اليوم، التوازن بين الاحتياجات الزراعية والسياحة والصناعة والمدن وكمية المياه المتوفرة فى أجزاء متعددة من العالم العربي قد انتهي أو فى طريق الانتهاء .

وفي إطار الزيادة السكانية المتسارعة والتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي يلتهم المصادر المائية تتسع الهوة بين المصادر والاستهلاك لقد كان موضوع المياه خلال العشر سنوات الماضية وأزمتها وصلت لحد مقلق للغاية .

الأمين العام للأمم المتحدة السابق بطرس غالي كان أول الشخصيات الدولية التي تدق ناقوس الخطر "الصراع القادم فى الشرق الأوسط سيكون حول موضوع المياه" .. الماء سيصبح مصدرًا ثمينًا وأكثر من قيمة البترول قال بطرس غالي فى ذلك فى عام ١٩٩٢ ربما لأنه يأتي من مصر التي كان لا يمكن أن تكون إذا لم يكن هناك النيل، وهو يعرف بالطبع قيمة ندرة هذا الذهب الأزرق .

لقد قامت بالفعل حروب على الماء فى الماضي ليس بالبعيد، فإن الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة فى العام ١٩٦٧ والتي تسمى بحرب الستة أيام، تعتبر ولاعتبارات كثيرة صراع للتحكم فى مصادر المياه، لنهر الأردن جزء كبير من

التوتر الذي أدى إلى اندلاع الحرب كان فى أساسه الجهود التي كانت تبذلها إسرائيل والدول العربية والتي تهدف إلى تغيير مجرى أو استغلال محصور لمجري النهر العابر للحدود .

إن قرار إسرائيل فى سبتمبر ١٩٥٣ لتجفيف بحيرة "هوله" لتغيير مسار نهر الأردن بطريقة كاملة أثار موجة من الغضب فى البلاد العربية التي حاولت أيضًا الاستيلاء على مصادر مياه نهر الأردن ولخفض هذا التوتر فى ذلك الحين أرسلت الولايات المتحدة، على وجه السرعة، مندوبها ويدعي أيريك جوهانستون، وهو الذي عرض خطة لتقسيم مياه نهر الأردن وكان هذا العرض يحمل أسمه والذي استمر عشرات السنين كمرجع لكل حل تفاوضي، ولكن هذه الخطة لم تطبق مطلقًا بسبب التوترات الشديدة والجو السياسي غير المستقر فى تلك الفترة وبالرغم من الضغوط الدولية وضغوط المنطقة استمرت إسرائيل فى أعمال إدارة المصادر المائية والتي تخدم امتداد المدن وري صحراء النجف، والعرب من جانبهم قرروا إلا أن يتم بناء مشروع مضاد، فى مؤتمر القمة العربية الذي عقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ ويقضى بتغيير مجرى نهر الأردن مستفيدين بموقعهم عند مصدر النهر، هذا المشروع لم يكن الغرض منه تنظيم تغيير مسار مجرى النهر إلى سوريا ولبنان والأردن، إنما أيضًا حرمان إسرائيل من مصادر نهر الحصباني، والبنياس واليرموك والتي تصب فى نهر الأردن وردة الفعل الإسرائيلية جاءت على لسان ليفي اشكول الذي كان رئيسًا للوزراء فى هذه الفترة حين أعلن فى ١٥ يناير ١٩٦٥" كل محاولة عربية تهدف إلى منع إسرائيل من استخدام نصيبها من مياه نهر الأردن سيكون بمثابة اعتداء على حدودنا وآمل ألا تطبق الدول العربية القرارات التي تم اتخاذها فى القاهرة ولكن إذا طبقوها فإن المواجهة العسكرية لن يكون منها مفر". ومنذ ذلك الحين وحوادث مسلحة تتكرر بين إسرائيل والبلاد العربية المجاورة فى أماكن تنفيذ المشاريع المائية وهجمات جوية للرد على قصف مدفعي، حتى شهر أبريل من العام ١٩٦٧م تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من تحطيم سد سورى أردنى على نهر اليرموك، ثم فى النهاية بدأت حرب ١٩٦٧م

والتي نتج عنها تقدم إسرائيل على الأرض والحصول على مكسب مائي غير عادى، مياه الجولان والمياه الجوفية فى الضفة الغربية أصبحت تحت تحكم الجيش الإسرائيلي. ومنذ ذلك الحين وثلث استهلاك إسرائيل من المياه بأهميتها من هضبة الجولان و٩٠٪ من مجمل المياه الجوفية فى الضفة الغربية تستهلكها إسرائيل وتستغلها خصوصنا لإمداد المستعمرات .

لقد أكدت انتفاضة الأقصى حقيقة لها نتائج خطيرة للغاية بالنسبة للفلسطينيين وهي إن إسرائيل تتحكم بطريقة مطلقة فى كل مصادر المياه الداخلة والخارجة من الضفة الغربية وقطاع غزة، والرجال ووالبضائع ووالكهرباء ووالإنترنت وبمعنى أن كل شيء من لحظة وأخرى يمر عبر الدولة العبرية وإمدادات المياه لا تخرج عن هذه القاعدة، فالسلطات الإسرائيلية، يمكنها وفي أي وقت "إغلاق الحنفية" لأنها تدير كل البنية التحتية الخاصة بالمياه، وضخ المياه إلى شبكات القنوات، هذه السيطرة على مصادر المياه عبر عنها شيمون بيريز فى التسعينيات فى الساعات السعيدة لمسيرة السلام " بالنسبة للماء يجب أن يكون هناك قائد واحد للأوركسترا وهو إسرائيل إن كانت هناك حاجة للقول .

وحتى وإن كان هذا التهديد بالقطع الكامل لمياه الشرب عن المدن والقرى الفلسطينية يظل افتراضا، فإن الدولة الإسرائيلية تملك من القدرة الفنية للحد من أو التسبب فى اضطرابات فى إمدادها للمياه وفقًا للأوضاع السياسية، هذا السيف المسلط بصورة مستمرة فوق الشعب الفلسطيني الذي يعانى منذ سنوات من إمدادات جزئية غير كافية على الإطلاق، وللحد من حصول الفلسطينيين على المياه، استخدمت الدولة العبرية ترسانة من الإجراءات القانونية والعسكرية والاقتصادية منذ صدور القانون فى العام ١٩٥٩م باعتبار أن المياه ملكية جماعية ... يخضع لرقابة الدولة والنتيجة مجموعة من القرارات العسكرية التي تصادر مياه الفلسطينيين لقطاع طويل من الأراضي فى وادي الأردن والذي كان يستخدم عادة من جانب المزارعين الفلسطينيين أصبحت اليوم تعتبر "مناطق عسكرية" .

مثل آخر على ازدواجية المعايير، ما بين العام ١٩٦٧م و ١٩٩٦م لم يحظ الفلسطينيون بتصاريح لحفر آبار غير ثلاثة عشر مرة وفي نفس الفترة ليس هناك أي حدود للمستعمرات اليهودية فى استخدامها للمياه الجوفية، والمستعمرون يدفعون للمياه أسعارا تنخفض أربعة أضعاف عما يدفعه الفلسطينيون منذ إنشاء الدولة العبرية كان ضم الأراضي الفلسطينية يصادف بشكل غريب أماكن مصادر المياه فالمستعمرات لا يمكن أن تستمر فى الحياة بدون ماء.

إن خط سير حائط الفصل بين إسرائيل والضفة الغربية المحتلة يشير بوضوح إلى هذا المنهج، هذا الخط من المسلح يتزاوج مع خط المياه بحيث يكون داخل الأراضي الإسرائيلية فى قلقيا، شمال الضفة الغربية حوالي ٢٠٪ من الآبار، أي ما يعادل ثلث مصادر مياه المدينة فقدها الفلسطينيون بسبب الحائط وقبل أن تنسحب إسرائيل من غزة تعمدت حفر آبار حول هذا الجزء الصغير فى الأراضي الفلسطينية لسحب المياه الجوفية إن المعركة بين الإسرائيليين والفلسطينيين حول المياه ليست شيئا نظريا .

في مفاوضات السلام بين إسرائيل وسوريا التي انطلقت فى عام ١٩٩١، ومنذ فشل مؤتمر جنيف فى ربيع ٢٠٠٧، بين الرئيس الأمريكي بيل كلينتون والرئيس حافظ الأسد، كان موضوع المياه من ضمن نقاط الخلاف، لأن وراء العودة لحدود ٤ يونيو ١٩٦٧م ، يعنى عودة الجولان للسيادة السورية هناك "أيضا معركة على المياه" .

اليوم الجولان الذي يمر به ثلاثه مسارات مائية تصب فى نهر الأردن (البنياس والحصباني والدان) تمثل ما يقرب من ٣٠٪ من استهلاك إسرائيل، وبحيرة تبرايد والتي توجد فى أسفل الهضبة، تمثل المخزون الرئيسي للدولة العبرية من خلالها وعبر مسار وطني تصل المياه إلى أرجاء البلاد وحتى صحراء النجف .

وإذا تمكنت سوريا من استعادة الجولان حتى خطوط ما قبل ١٩٦٧م سيكون لها الغلبة على بحيرة تبرايد ويكون لها الحق فى هذه الحالة على هذا المخزون طبقًا للقواعد الدولية. إن الحدود التي تم وضعها فى العام ١٩٢٣م كانت مرسومة على بعد أمتار من البحيرة، وهي تعتبر كاملة من حق الدولة الفلسطينية تحت الوصايا والتي أصبحت بعد ذلك إسرائيل من الناحية العملية، كان الصيادون السوريون يبحرون فيها ويقول احد الدبلوماسيين السوريين إن موقفنا لم يتزحزح وهو واضح، فإذا انسحبت إسرائيل إلى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧م، فكل الأمور الأخرى يمكن التفاوض عليها" والواقع أن السوريين مستعدون لإعطاء الضمانات فيما يخص القسمة العادلة لمصادر المياه فى الجولان ومياه بحيرة تبرايد .

ولكن مشكلة تقسيم المياه هي مشكلة نفسية تتغذى من الخوف من خسارة مصدر حيوي واستراتيجي كالمياه، ويبدو أنه لن يكون من السهل على الإسرائيليين ترك الأمور تؤدى إلى خسارتهم لمثل تلك الثروة المائية والتي تعد ثمينة جدًا بالنسبة لهم .

من الناحية التاريخية كان للدولة العبرية دائمًا أهداف فى المصادر المائية فى لبنان، وحتى وإن لم تستطع تحقيقها هذا يرجع للمشروع الصهيوني لتكوين الدولة اليهودية فى العام ١٩١٩، وفي خطاب موجه لرئيس الوزراء البريطاني فى هذه الفترة اللورد جورج من رئيس المنظمة الصهيونية العالمية شايم وايزمان يقول فيه "نحن نعتبر أنه من الضروري أن تكون حدود فلسطين الشمالية تجمع وادي الليطانى لمسافة ٤،٥ كيلو متر أعلى انعطاف النهر، وكذلك الجانب الغربي والجنوبي لجبل حرمون". فى تلك الفترة استخدمت الحكومة الفرنسية حق الفيتو ضد ادعاءات القيادة الصهيونية، وذلك بغرض مواجهة النفوذ البريطاني فى المنطقة وتبنت مشروعها "لبنان الكبرى" ولكن إسرائيل لم تتخل عن حلمها للوصول إلى شواطئ الليطانى، وقد نجحت للمرة الأولى فى عام ١٩٧٨م عند اجتياحها العسكري للبنان والذي أطلق عليه عملية الليطانى هذا النهر الذي يأتي

مصدره من وادي البقاع ويشكل انحناء عند مستوى قصر النافورة قبل أن يصب فى البحر المتوسط يمثل خطا أحمر لا تسمح إسرائيل بتخطيه أو بالتواجد العسكري اللبناني على ضفافه، وذلك يثبت مرة أخرى أسباب حربها على حزب الله خلال صيف ٢٠٠٦م .

في العام ١٩٨٢م أثناء عملية "السلام للجليل" ذهبت القوات الإسرائيلية حتى حاصرت بيروت لطرد قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان قبل أن تعود هذه القوات للانتشار وإنشاء منطقة أمنية على بعد ٨٥٠ كم جنوب لبنان والمفترض أن تحمى حدودها .

هذه التجربة الدفاعية كان مصيرها الفشل والتي انتهت فى مايو عام ٢٠٠٠ بانسحاب الجنود الإسرائيليين وإعادة أوضاع جيش لبنان الجنوبي والذي كان يعد من ميلشيات الدولة العبرية .

اليوم وقد غادر الإسرائيليون، ولكن ظلت هناك نقطة يتمركز عليها حزب الله لتبرير ولو جزئيًا مقاومته "للوجود الصهيوني" وهي مزارع شبعا هذه الضيعة الصغيرة التي أصبحت مشهورة والموجودة على سفح جبل هيرمون وتطل على مرتفعات الجولان التي ضمها الإسرائيليون فى العام ١٩٨١ والتي تعد خزانا للمياه، هذه المنطقة المتصارع عليها عند الانسحاب الإسرائيلي تأوي فى الواقع مصدرين للمياه يساهمان فى تغذية مياه نهر بنياس، ودان، والوزانى وهذه الأنهار تصب فى النهاية فى نهر الأردن، السلطات اللبنانية تتهم إسرائيل بتجاوز حقها فى هذه المصادر المائية بالرغم من أن الدولة العبرية أعلنت على لسان إريل شارون أن هذه المنطقة تعد سببًا للحرب ولكن لبنان استمرت فى وضع مشروع لتمويل هذه المصادر لصالح ٣٦ قرية فى جنوب لبنان والتي توجد فى شح دائم للمياه. فى الشرق الأوسط، كل متر مربع من الأراضي المختلف عليها أو المحتلة هناك دائمًا مصدر للمياه للاحتفاظ به .

وإن بدأت من جديد أية مباحثات سلام، لن تتراجع إسرائيل عن المطالبة بحصة من المياه فى جنوب لبنان ويبرر الإسرائيليون ادعاءاتهم بالقول إن جزءا من نهر الليطانى يصب فى البحر وإن هذه المياه التي تهدر من الممكن أن تمر شمال الجليل، ويرد اللبنانيون على تلك الادعاءات إن انعدام الأمن فى الجنوب لم يسمح لهم مطلقا باستغلال النهر وإن لبنان تحتاج لكل قطرة مياه لإمداد بيروت بمياه الشرب وتطوير الري فى سهل البقاع .

المنطقة الكبيرة الأخرى والتي تسبب صراعات على المياه، تتمحور على امتداد نهري دجلة والفرات النهران اللذان يأخذان مصادرهما من تركيا، ويمران بالأراضي السورية والعراقية، قبل أن ينتهي مسارهما فى الخليج العربي الفارسي منذ الأزل تقسيم مياه هذين النهرين يسبب خلافا بين الدول التي يمر بها ولكن منذ أن بدأت كل من أنقرة ودمشق وبغداد بإطلاق مشاريع فى السنوات ما بين الستينيات والسبعينيات لبناء سدود أصبحت الصراعات دائمة .

في أبريل من العام ١٩٧٥م سوريا والعراق كانتا على وشك التشابك عسكريا، فعندما تم بناء سد تبكا على نهر الفرات قامت أزمة حادة بين العراق وسوريا كان العراق فى تلك الفترة يؤكد على أن سوريا خفضت وبدون تشاور من مستوى النهر لدرجة مبالغ فيها وخطيرة فقد انخفض من ٩٢٠ إلى ١٩٧ م٣ مهددة بذلك ري الزراعة فيما بعد السد ولتؤكد على تصميمها، حركت العراق قوات على الحدود فى الجانب السوري، أغلقت سوريا مجالها الجوى على الطائرات العراقية وقطعت علاقتها الجوية مع العراق وقد تم تصفية الخلافات بفضل الوساطة السعودية وتحت الضغط السوفيتي وفي مقابل تعويض مالي تمكنت السعودية من إقناع سوريا بفتح السد لمرور كميات كافية من المياه وتهدئة بغداد. اليوم، الصراع يأتي من المصدر التركي التي تتحكم فى مصادر النهرين دجلة والفرات فهي تحاول فرض قوانينها وفقا لمصالحها، إن قلب الخلاف الصفة الدولية أو عدمها لهذين النهرين، تركيا ترى أن هذين النهرين لا يمكن أن يأخذا الطابع الدولي لأن

مسارهما لا يسمحان بالإبحار على امتداد أطولهما هذه الترجمة الضيقة للقانون سمح لتركيا بإدارة النهرين وفقا لسياستها المائية بالقدر الذي لا توجد فيه أية معاهدة دولية تنظم تقسيم المياه لهذين النهرين فقط هناك اتفاق فني ثنائي وقع فى العام ١٩٨٧ بين أنقرة ودمشق يتلخص فى أن تركيا تتعهد بضمان معدل سريان للمياه يصل إلى ٥٠٠ م٣/ثانية عند الحدود بين تركيا وسوريا .

وضع الهيمنة هذا، سمح لتركيا، منذ أواسط الثمانينيات بوضع استراتيجية مائية نشطة وديناميكية ولكنها تعتبر عدوانية من جانب الدول العربية .

هذه السياسة تمثل فى مشروع أناضوليا الكبري، ورشة عمل كبيرة لتركيا الحديثة، بدأ هذا المشروع الهائل فى العام ١٩٨٥ ويهدف هذا المشروع على المدى البعيد إلى إقامة ٢٢ سدا، و ١٩ مركزا مائيا لتوليد الكهرباء، على نهري الفرات ودجلة ويقع كل هذا على مساحة تعادل ضعف مساحة الأراضي البلجيكية، وتهدف هذه المشاريع إلى ري ١،٧ مليون هكتار، وإنتاج ٢٧ مليار كيلووات فى السنة، ويتم الانتهاء من هذا المشروع ما بين عامي ٢٠١٥م و ٢٠٢٠م هذه الطموحات المائية التركية تقلق إلى أعلى درجة السلطات السورية والعراقية، والذين يرون فى هذا المشروع التركي ثلاثة تهديدات تهديد مائي من جانب تركيا، حين الانتهاء من هذا المشروع ستتمكن تركيا من التحكم الكامل فى مسار النهرين، والمساحة الزراعية الشاسعة التي سيتم زراعتها وريها قد يؤدى إلى رداءة نوعية المياه فى أسفل مسار النهرين وهي الأجزاء من النهرين التي تمر عبر الأراضي السورية والعراقية كما يخشي السوريون والعراقيون انخفاضا كبيرا من كمية المياه المتوفرة فى النهرين وقد قدر بعض الخبراء هذا الانخفاض الذي ربما يصل إلى ٣٠ أو ٤٠٪ فى مستوى النهر عند الحدود السورية .

وبطريقة منتظمة تصدر قرارات عن جامعة الدول العربية، تدين فيها مشاريع أنقرة وتدعوها للتعاون الكامل مع جيرانها السوريين والعراقيين ولكن ليس هناك ما يوحي بأن تركيا ستتراجع عن إتمام مشاريعها.

لقد أدركت تركيا، ومنذ زمن بعيد وضعها كقصر الماء فى الشرق الأوسط ومنذ العام ١٩٨٨م وهي تتقدم، وقامت بتقديم مشروع أمام المؤتمر الإسلامي المنعقد فى عمان بما تسميه "أنبوب السلام" وفيه تعرض تركيا مياهها للبيع، لبلدان الشرق الأوسط عن طريق أنبوبين عملاقين، أنبوب فى الشرق بطول ٢٦٥٠ كم ويصل إلى سوريا، الأردن، السعودية والأنبوب الآخر يسمى بأنبوب الخليج لإمداد الكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة ولكن أمام تكاليف هذا المشروع وبخاصة الالتزامات السياسية الاستراتيجية جعلت هذا المشروع ربما ينتظر لسنوات أخرى وفي انتظار ذلك بدأ الأتراك فى التفكير فى تصدير مياههم ربما عن طريق الناقلات العملاقة وقد أقامت تركيا موقفاً مائيًا فى انطليا على ضفة البحر المتوسط ويتم ضخ الماء عبره حيث يتم تحميله فى الناقلات العملاقة للبلاد التي ترغب فى شرائه الأردن وخاصة إسرائيل والذين قد بدءوا مناقشات جدية فى هذا الموضوع.

منذ قرون عدة قال مؤرخ يوناني ويدعي "هيرودت" أن مصر هي عطاء من النيل، فعلى ضفافه تطورت حضارة امتدت عبر آلاف السنين حياة كل المصريين كانت منتظمة على وقع الفيضانات وكل فيضان يلقى النهر بطميه ويخصب الأراضي الزراعية للفلاحين ومنذ إقامة السد العالي الذي تم إنشاؤه فى ١٩٧٠ لم يخرج النيل عن مساره وحمى البلاد من المجاعة لأنه يؤمن كميات منتظمة من مياه الري، ومع ذلك فإن مصر لا تملك مصيرها المائي بين أيديها، إن أكثر من ٨٠٪ من مصادر النيل (النيل الأبيض) يأخذ مصدره من البحيرات الكبرى فى إفريقيا الوسطى، هذه الجغرافيا تقلق المصريين ويمكن تلخيص الوضع فى التالي : من ناحية "دول المصدر الإفريقية، إثيوبيا، وبلدان إفريقيا الوسطى طورت علاقات تعاون شديدة مع إسرائيل، والبلاد المتقدمة على نهر النيل، السودان ومصر وهاتان الأخيرتان منقسمتان فى داخلهما ما بين شعوب الشمال العربية، وشعوب جنوبية إفريقية، وهاتان الدولتان العربيتان عليهما التعامل مع بلاد المنبع والتي تربطهما بهم علاقات عاصفة .

لقد وقعت القاهرة والخرطوم اتفاقًا ثنائيًا لتوزيع مياه النيل، هذا الاتفاق لم تعترف به أثيوبيا والتي كانت تطالب بحصة أكبر من المياه، وتعلن أديس أبابا، وبصورة منتظمة إقامة مشاريع سدود على النيل، وهو ما يثير المصريون، ففي مفهوم الأمن القومي المصري، مستوى النيل هو " خط أحمر" شيء واقع لأن مصير ٨٠ مليون مصري يتوقف عليه، والسد العالي يعد عدادًا للمياه، ٥٥ مليار متر مكعب من الماء يجب أن تعبر الحدود السودانية، ومصر ليس لديها النية للتوقف عن المطالبة بـــ ٢٠ مليار متر مكعب زيادة سنوية لسد احتياجات الزيادة السكانية، هناك مولود مصري كل ٢٣ ثانية وفي نفس الوقت إثيوبيا تطالب بزيادة حقها أيضًا بسبب الزيادة فى عدد السكان ومشاريع التطوير الزراعي .

في هذه البيئة الصعبة للشرق الأوسط وضعت الدول استراتيجيات مختلفة للحصول على المياه، فتوحات عسكرية واحتلال، كما هو الحال فى إسرائيل مشاريع ضخمة فى تركيا وبالنسبة لدول الخليج وبفضل البترو ودولار أقام أمراء الخليج المشاريع المرتفعة التكاليف لتحلية مياه البحر ويقدر ٩٠٪ من استهلاك الكويت للمياه يأتي من هذه المشاريع وفي بعض الأحيان كل هذا لا يكفي ويجب الضخ من المياه الجوفية، فالسعودية تضخ كميات كبيرة من المياه الجوفية التي توجد على حدودها مع الأردن، وتستخدم هذه المياه فى ري مزارع ضخمة فى الصحراء وإذا نظرنا من أعلى المحيط الذي يتم ريه من هذه المياه نشاهد دائرة ضخمة من المزارع الخضراء، فى وسط محيط من الرمال هذا الضخ المركز لا يروق للأردنيين الذين يلومون على السعوديين بأنهم يخفضون من مستوى هذه المياه الجوفية النتيجة أعلن الوزير الأردني المسئول عن المصادر المائية عن مشروع طموح للاستفادة من المياه الجوفية والفكرة تتلخص فى ضخ ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه الجوفية فى العام وتمريرها فى أنبوب ضخم لتصل إلى عمان على بعد ٣٢٠ كم من مخزون المياه الجوفية فى منطقة ديسى، ولكن هذا المشروع لا يحظى بتأييد الجميع، لأن المياه الجوفية لا تتجدد أو تتجدد بصورة بطيئة ووفقًا

للسيناريو المتفق عليه هو أن الاستخدام لهذه المياه لن يكون إلا على مدى من عشرين إلى خمسين عامًا ويؤكد بعض المتخصصين أن هذا المشروع ربما يؤدى إلى أزمة عاجلة للمياه والتي تتطلب تنويع مصادر المياه بأكبر قدر مستطاع لتوفير الاحتياجات، ويشيرون إلى أن جزءًا كبيرا من هذه المياه تضخها السعودية وبكميات ومنذ سنوات وهي مياه يجب أن تساهم أيضا فى احتياجات الأردنيين من المياه، وإذا انتظرنا فربما لن يعود هناك ما يمكن ضخه! هذا المثل لتوزيع المياه الجوفية يعد مؤشرًا ذا مغذى لأنه يظهر أن مسار النهر يخضع لقواعد حقوقية واضحة، بمعنى أن هناك فراغا قانونيا تامًا فى حالة الاستفادة من المياه الجوفية التي توجد على الحدود. إن جغرافية المياه تجهل الحدود التي بناها الإنسان، والمفروض أن تعالج هذه المشاكل فى الإطار الطبيعي لها ولن تحل إلا بالتعاون الإقليمي الذي من الممكن أن يسمح بإدارة منطقية ومتناسقة للمصدر .

في نطاق مسيرة السلام فى التسعينيات فشلت محاولات للتعاون، لعدم وجود اتفاق سياسي يضع حدًا للاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والجولان السورية، وحتى وإن أصبح السلام حقيقة فى المستقبل القريب، فلا يمكن للدول أن تدخر فى إدارة أكثر واقعية، لأن أزمة المياه لا تنتظر .

في الوقت الحالي، قطاع الزراعة يستخدم ٦٢٪ من المياه فى إسرائيل ٦٤٪ بالضفة الغربية وقطاع غزة وأكثر من ٧٠٪ فى الأردن، وكلما قلت مصادر المياه كلما زادت الضغوط على قطاع الزراعة على اعتبار أن هذا القطاع يشكل ٥٪ من ناتج الدخل القومي وحتى فى إسرائيل التي تعد من الدول المتقدمة تقنيًا سيتحتم عليها إجادة استخدام الري فبخلاف ما هو شائع فإن الزراعة الإسرائيلية ليست اقتصادية فى استخدامها للمياه، بالرغم من استخدامها للتقنية الحديثة مثل التنقيط والرش الآلي .

مثل كل البلاد الأخرى فى المنطقة، هناك دعم كبير فى إسرائيل للمياه، وهو ما لا يساعد على الاقتصاد فى المياه، وعلاوة على ذلك، فإن الزراعة تتطلب

مستوى عاليا من المنتجات العضوية والمقومات الكيمائية الذي يؤدى بالضرورة إلى تدهور نوعية المياه الجوفية ولهذا السبب فإن المناقشة تدور الآن فى إسرائيل حول دور الزراعة فى الاقتصاد القومي، ومنذ البداية والحركة الصهيونية تنادى بالعودة إلى الأرض، والأرض تجد الآن لها منافسين لاحتياجات أخرى، مياه صالحة للشرب للمدن، استخدام سياحي، حدائق مائية، جولف، فنادق، ...إلخ) وللاستخدام الصناعي أيضا بالطبع الأولوية الآن هي للمياه المنزلية للمدن والتي تصبح فى بعض الأحيان عواصم ضخمة يصعب إدارتها مثل القاهرة، وبيروت ودمشق وعمان، والصعوبة لا تأتى فقط من نمو السكان فى المدن، ولكن أيضا بسبب نمط الحياة، فإن المدني يستخدم المياه أكثر من الريفي. وفي كثير من الأحيان، البنية التحتية لإمداد المياه تكون غير كافية لهذه المدن لعدم وجود استثمارات وتصاب أنابيب المياه، وفي بعض الأحيان تصل نسبة تسرب المياه إلى ٥٠٪ كما يحدث فى بيروت إن مظاهر التبذير فى المياه فى الشرق الأوسط كثيرة، بمعنى إن إدارة المياه فى المدن ستشكل رهانا صعبا فى السنوات القادمة، هناك أحداث شغب ومظاهرات ضد العطش حدثت فى فلسطين وإيران والجزائر لتذكرنا بالخاصية الحيوية لهذا الموضوع

صيف العام ٢٠٠٧م تميز فى مصر بمجموعة من المظاهرات والاعتصام من قبل مصريين محرومين من المياه عبر البلاد هؤلاء العطاشي كما يسمون فى وسائل الإعلام كان عليهم الحصول على إمدادات مياه عن طريق عربات نقل المياه والتي تكلفهم غاليا، وأصبح سوق المياه هذا معروفا فى الدول العربية التي تعانى من نقص فى المياه وهناك ما هو أسوأ من ذلك فليس فقط مشكلة توزيع المياه وإنما أيضا هناك نقص فى وسائل تنقية المياه، والتي إن وجدت فإنها تقلل من كمية المياه المتوفرة. والتخلص من المياه المستعملة فى الأوساط الطبيعية (البحار ... الأنهار.. الخ) بدون معالجة يعد مصدرا خطيرا للتلوث ففي مصر على سبيل المثال ليس هناك غير ٦٠٪ من المدن وأقل من ٤٪ من القرى المجهزة بالبنية التحتية لتقنية المياه، وقع مثل هذا

النقص على الصحة العامة يعتبر كارثة. العراق كان يملك فى السبعينيات أفضل تجهيزات مائية فى الشرق الأوسط، فقد أقام صدام حسين ثلاث شبكات للمياه فى بغداد : لمياه الشرب، للمياه المستعملة، وثالثة للأحياء والمناطق المجاورة وكان هذا نوع من التقدم فى البنية التحتية لم يكن حتى موجودًا فى أوروبا فى تلك الفترة! ثلاثة حروب وعشرة أعوام من الحصار منذ ذلك الحين أصبحت هذه التجهيزات فى وضع بائس، فلم تعد هناك استثمارات أو صيانة وأصبحت المياه المستخدمة تخلط فى بعض الأحيان بمياه الشرب، والنتيجة جاءت سريعًا فوفقًا لخبراء منظمة الصحة العالمية فإن الكوليرا بدأت فى الظهور فى العراق .

من بين الدول العربية التي من الممكن أن تتفاخر بمستوى الأداء فيما يخص تنقية المياه هي تونس، وهنا يجب القول إن نقص الموارد المائية واتجاهات سياستها الاقتصادية نحو السياحة الصحية جعلها تقيم إجراءات مشددة لترشيد استخدام المياه وتنقيتها، وعلى العكس فقد فضلت المغرب إمداد السكان بمياه الشرب وهم أكثر عددًا، مفضلة ذلك على تنقية المياه المستعملة التي يذهب معظمها إلى البحر فى مواجهة الارتفاع الحاد على طلب المياه، يجب إيجاد مصادر جديدة للحصول على الماء، إحدى الاختيارات الواعدة والتي من الممكن أن تنتج كميات معتبرة من المياه هو إعادة استخدام المياه ومعالجتها وفقًا لمعايير لا تضع صحة الإنسان فى خطر، هذه المياه التي يعاد استخدامها تتوافق تمامًا مع الاستخدامات مثل ري أراضي لعبة الجولف، تنظيف الطرق، نافورات، حدائق .. إلخ) ويري البعض أنواعًا من الزراعة، المشكلة الوحيدة أن أرض المسلمين هذه تعانى من حكم مسبق وبخاصة عقائدي ومتعلقة "بالطهارة" ويتردد المزارعون فى استخدامها. ولكن هناك تجارب واعدة تمت فى إسرائيل وفي تونس .

إن تحلية مياه البحر يعد أيضًا من بين تقنيات المستقبل وهي تقنية تستخدم بطريقة واسعة فى الخليج العربي. إن إتقان تقنية الترشيح (ترشيح المياه عبر الأغشية المخاطية) سمح فعلا بإشباع احتياجات كثيرة، حتى إن كانت القدرة

الإنتاجية ما تزال محدودة ومكلفة وهي إحدى الحلول التي يتم دراستها بالنسبة لقطاع غزة حيث إن هناك مشروع لإقامة مصنعين لتحلية المياه فليس هناك أي اختيار آخر. إن كل المسئولين فى الشرق الأوسط مدركون تماما لخطورة أزمة المياه هذه، والتي تأخذ أهمية أكثر فأكثر محليًا تظهر صراعات لاستخدام المياه فى الإنتاج (الطماطم والموز) أو هل يستخدم فى التجمعات السياحية وفي إقامة أراضي للعبة الجولف ؟ على المستوى المحلى هذا النوع من التحكيم يؤدى إلى خلافات كثيرة، فالرهان هو اقتصادي أيضًا وليس فقط سياسيًا واجتماعيًا، وحتى إن وضعنا المظاهر البيئية على جنب. إن الصورة السياسية فى المنطقة ما تزال غير مستقرة، وكذلك تكاليف إقامة مشاريع جديدة أو تقنيات جديدة تعد العقبتين الأساسيتين التي يجب التغلب عليهما ولكن الأكثر خطورة هو اختيار المجتمع، خفض كمية المياه المستخدمة فى الزراعة، تقنين استخدام المياه، رفع أسعار المياه، كل هذه التعاملات يتم تجنبها غالبًا لأسباب سياسية واجتماعية ولكن إلى متى ؟ إنه السؤال المطروح .

الفصل السادس

البترول عطاء للإسلاميين

ربما هناك من يتذكر ما قاله الملك ابن سعود فى العام ١٩٣٦ للجيولوجي الذي يعمل لحساب شركة " استاندر اويل اووف كاليفورنيا " حين جاء يبشر الملك باكتشافهم للبترول : " كان من الأفضل أن تجدوا الماء " .

في هذه الفترة كانت السعودية عبارة عن مدن وقري صغيرة، ومنذ الستينيات وبخاصة فى السبعينيات حين ارتفع سعر البترول أربعة أضعاف فى ١٩٧٣، وبدأت تظهر مدن كبيرة، الرياض وجدة على سبيل المثال حين تم إزاحة البدو الذين لا يمثلون غير ٤٪ من تعداد السكان. وبدأت شبه الجزيرة تغطى بالطرق السريعة وناطحات السحاب والجامعات والمستشفيات الملاعب، ومصانع تحلية المياه، فى بضع سنوات، سمح الذهب الأسود للسعودية ببناء بنية تحتية تعادل ما يوجد فى البلدان المتقدمة، ولكن كان هناك سوء فى الإدارة – فالمواطن لا يدفع شيئا وحتى لا يدفع ضرائب، تأمينات اجتماعية، مدارس، ماء كل شئ يقع على عاتق الحكومة ووفقا للمثل (من لا يدفع ليس له أن يطلب) أصبحت هذه العملة هي المتداولة فى المملكة الوهابية. فحين لا نساهم فى الميزانية الوطنية لا يمكننا إلا الصمت. اليوم حيث إن السلطة تتمركز فى يد أربعة أو خمسة أفراد من الأسرة المالكة، ويمتلكون ثروة تقدر بـــ ٧٤٠ مليار دولار، وإذا أرادوا الذهاب إلى فرنسا للتسوق فقد يمكنهم شراء (غاز فرنسا) أكبر الشركات فيها، أو بنك ب.ت.ب.، أو سوستيه جنرال، أو كارفور أو توتال / اثنتان أو ثلاث من الصناعات العسكرية، وكل هذا لن يكلفهم أكثر من نصف ثروتهم! هناك نوع من تقديس المال عبر

البترول. هذا البترول الذي كان من الممكن أن يساهم فى بناء دولة وطنية يستخدم الآن وفي أحسن الأحوال لبناء مجموعة من الأفراد مؤمنين وغالبًا ما يكونون إسلاميين .؟

والثراء من الغاز أعطى نفس الأثر قطر والتي لم يعد لديها إلا السنوات من احتياطيات البترول تجد نفسها الآن على رأس ثروة تعطى الأمير الرغبة فى جمع جيرانه. الشعب لا يستفيد شيئًا، كل ما هو على الأرض وكل ما هو تحت الأرض يعود للأسرة المالكة. المملكة العربية السعودية هي البلد الوحيد فى العالم التي تحمل اسم العائلة المالكة أو اسم قبيلة، ومع كل هذا المال ١٠ مليون برميل يوميًا، ما يعنى مئات الملايين من الدولارات يوميًا تدخل فى الخزينة السعودية – عائلة واحدة تجد نفسها تملك بنوكًا دولية، ومجموعة من العقارات فى أنحاء العالم، أيضًا الجهاز الإنتاجي فى بلدها .

علي المستوى الداخلي، هناك مدن منفصلة، ليست هناك صناعات أو صناعة أحادية، وقليل من الوظائف للسكان الأصليين.... فماذا يفيد البترول ؟ غير وضع البدو والرحل فى مدن مجهزة بأحدث المعدات وجعل الفرد لا يجد نفسه إلا فى الانتماء إلى مجموعة إسلامية ؟ ما هو مستقبل شاب سعودى اليوم ؟

إن البترول يساهم فى تدهور هذه البلاد على المستوى المالي والتجاري على العكس ولكن بمفهوم الانغلاق، إن الفوائد المستخلصة من هذه المصادر الطبيعية لم تسخر لتطوير البنية التحتية أو التكنولوجيا الحديثة، أو فى الاستثمارات الصناعية، وإنما على العكس فالدول العربية الفقيرة مثل المغرب وتونس وفلسطين وبعض المواضع المصرية هي التي تطلق المشاريع وتهتم بالاختراعات التكنولوجية. البترول فى إيران لم يساعد إلا فى خفض مديونيتها إلى ٧ مليارات دولار، فى العراق البترول يسمح لصدام حسين بتمويل أحلام العظمة والثراء الشخصي، ولكن أيضًا بتنويع اقتصاد بلاده، ولكونه علمانيًا فقد شجع نقل المعرفة إلى شعبه (أفضل المهندسين فى العالم العربي كانوا العراقيين واللبنانيين)، وهذا لا يعطى عذرًا بأية

حال من الأحوال لوسائله الدموية والديكتاتورية وانعدام الحرية الفردية والعامة. البترول العراقي سمح أيضًا لصدام حسين بالتدخل فى شئون الدول الأخرى، وهو ما تفعله الآن العربية السعودية .

الإمارات تستخدم فى بعض الأحيان إمكانيتها الهائلة لمساعدة بعض الدول لتنفيذ بعض المشاريع، تمويل الجيش اللبناني فى مناسبة أو أخرى، وأيضًا الجماعات الإسلامية! البترول والغاز أعطيا لدولة قطر وزنا سياسيًا جعلها تلعب فى السنوات الأخيرة كوسيط فى الأزمة اللبنانية والصراع بين الفصائل الفلسطينية وأيضًا فى إنهاء ملف الممرضات البلغاريات فى ليبيا .

بعض من هذه الدول ينادى بتقاسم المياه، هل وافقوا بنفس القدر على تقسيم البترول ؟ اليوم هناك مشكله حقيقية فى إدارة البترول أو على الأقل إدارة ثروة البترول.

إن المديرين لأسواق البترول فى الخليج عليهم أن يتذكروا حين كان لا أحد يهتم بصحرائهم غير بعض أصحاب الشركات الذين يجيئون لبيعهم بعض الأشياء البسيطة، والتي تبدأ من المشاريع العقارية أو دبابات للحرب وبعض الطائرات الحربية، فى هذا الوقت لم تكن وسائل الإعلام تهتم بالمواطن السعودي، ولا الكويتي ولا الآخرين. إن الكنز الرائع الذي أثرى هذه المنطقة يصعب عليه إخفاؤه للحقيقة : هذه الدول التي ما تزال تحت حماية الغرب، هي نفسها التي تغذى الإرهاب الإسلامي، والذي يعتبر الغرب هدفه الأول فى كل دول الخليج، الإسلام هو دين دولة، والضمان هو الدستور والقانون الإسلامي، والشريعة تأخذ مكان القانون المدني وقانون العقوبات، وإن كانت الشعوب فى مجملها مؤمنة فلا يمكننا قول نفس الشيء على القيادات. باستثناء سلطنة عمان، إن الشباب العربي فى شبه الجزيرة يستفيد من أية مناسبة ليغادر الرياض، أبو ظبي، والكويت أو جده أو المنامة، .... فى نوع من التواطؤ والنفاق التام، النساء معظمهن من صغيرات السن، يذهبن إلى دورات المياه بالطائرة فى الساعات الأولى من الرحلة، ليتخلصن من ملابسهن السوداء ليخرجن بالملابس الأوروبية القصيرة، إنها حقيقة بأنهن

يشعرن بعودتهن إلى الحياة، لأنهن من النادر أن يغادرن منازلهن خوفاً من متابعة الشرطة الدينية النشطة بشكل غريب. الملك فهد (١٩٢٢م-٢٠٠٥م) نفسه لم يكن مثلاً يحتذى به للتقوى الإسلامية، فقبل اعتلائه العرش كان معروفاً بشغفه لموائد القمار، ومازال الناس يتحدثون عن تلك الليلة التي خسر فيها ٦٤ مليون فرنك فى إحدى نوادي القمار فى مدينة كان الفرنسية، وطائرات لبنات الهوى يتم استئجارها من أوروبا ليخته الراسي فى موانئ أوروبا أو محل إقامته فى ماربلا فى إسبانيا، وفي ظل هذه الأوضاع كان من الصعب عليه أن يتشدد مع تجاوزات الشرطة الدينية عندما كانت تأتى إليه الشكوى المتكررة من السفارات الغربية : هؤلاء الحراس على الدين يعتدون أيضًا على النساء الغربيات اللواتي يظهرن بعضا من شعورهن من خلال (الطرحة) ... وفي زمن حرب الخليج الأولى فى العام ١٩٩١ كان لازمًا أن تحدث ردود فعل قوية من المجندات الأمريكيات النساء حتى تهدأ عصبية حاملي العصا !! .

من الممكن إذا أن نفهم هجرة السكان الأصليين نحو آفاق أخرى للخروج من الوجود الذي يسيطر عليه الملل والإجبار، وحتى حرب الخليج الأولي كان السعوديون والكويتيون يذهبون بلا عقاب إلى البصرة أكبر مدن جنوب العراق أو البحرين عبر الجسر الذي يربط السعودية بتلك الجزيرة، للاستمتاع باللذة والخمر. لقد تم إنشاء مستشفي خصيصًا لذلك تقريبًا، حتى يستعيد هؤلاء الزوار وعيهم، لأن الغالبية كانوا ينهون عطلة نهاية الأسبوع الإسلامي، الجمعة مساءً، فى حالة سكر عارم .

ومنذ ذلك الحين، وبعد أن مر الإسلام المتطرف من هناك، وحتى المنامة والتي كانت تأمل فى جذب الزوار بفضل وجود نوع من التساهل أصبحت تشدد على كل شئ. اليوم الطبقة الحاكمة أو رجال الأعمال الأثرياء فى شبه الجزيرة يفضلون الشاطئ الغربي الأمريكي ليحتفظوا بنوع من السرية، والطبقة المتوسطة تكتفي، إذا استطعنا القول، بلندن وباريس وجنيف، حتى وإن قالوا، إن المجتمعات العربية أصبحت كثيرة وتحرمهم من الهدوء والعزلة. إنهم ومنذ ١١ سبتمبر

أصبحوا أكثر فأكثر يفضلون الذهاب إلى البلاد العربية لأنهم يشعرون بأنهم (أناس غير مرغوب فيهم) فى البلاد الغربية وبالذات فى الولايات المتحدة .

المغرب، ومنذ زمن بعيد كانت وما تزال الجهة المفضلة لقضاء العطلات عند العرب، لقربها من البلاد الغربية، بدون شك، ولكن أيضًا بسبب السلوك غير العدواني للشباب المغربي، والذين يرون فى الدلائل الرنانة والإغراءات لرجال الأعمال من شبه الجزيرة العربية، طريقة سهلة وسريعة للخروج من أوضاع اقتصادية غالبًا ما تكون صعبة، ولكن من يأتون هم غالبًا من يكونون المدافعين عن الإسلام فى بلادهم، والذين يؤدون الزكاة هذه الضريبية الدينية، بدون معرفة لمن تذهب هذه الأموال ولأي صندوق أو أي منظمة، وهم أيضًا العاشقون للشباب الصغير أو يطلق عليه فى المغرب (الغلام) وهو ما يعرف فى الغرب (الشذوذ الجنسي). ولم نزل نتذكر تلك الفضيحة التي قامت السلطات المغربية بالتغطية عليها سريعًا، والتي تورط فيها أحد المسئولين الكويتيين والذي يعتبر من كبار الإسلاميين فى بلده! والذي دفع ثمن خدمات شاب مغربي صغير، حين أراد والداه اللذان قبلا مبلغًا من المال تعويضًا عن خدمات الابن، وعادوا فى منتصف الليل للبحث عن ابنهما فى إحدى الفنادق الكبرى فى مدينة فاس، وجدا الصبي فى سرير الكويتي، ولكن هؤلاء المتحذلقين بالإسلام فى بلادهم لا يجرؤن على المغامرة فى دبي ليتسوقوا جنسيًا خوفًا من أن يتم التعرف عليهم. فى الواقع وإن كانت السعودية تسعى لتكون محطة خدمات هائلة، وإذا كانت السلطات فى دبي تريد أن تحولها إلى هونج كونج الشرق الأوسط، هذه الإمارة التي تعد عضوًا فى اتحاد الإمارات العربية، أصبحت اليوم لا تتعدى كونها بيت دعارة لشبة الجزيرة العربية. فعلاوة على الغربيين، يأتي إليها الكويتيون والسعوديون وأبناء الإمارات والقطريون والإيرانيون، إما لقضاء بضعة أيام، وإما لإقامة شركات تجعلهم يتهربون من دفع الضرائب فى بلادهم، بمعنى تنظيم هادئ للتهرب الضريبي / وبما أن الجسم ينادى بالإشباع، فهم ينتهزون الفرصة لملأ وحدة لياليهم بالذهاب إلى الحانات فى دبي،

والتي تمثل نوعًا من سوق الماشية! حيث يمكننا الاختيار بدون النطق بكلمة واحدة أو الدخول فى مناقشة، شريكة للحظات، روسية أو أوكرانية من روسيا البيضاء حيث تؤخذ طبعًا فى فندق خمس نجوم فى بلد تدعي أنها إسلامية، ولكن كيف يتحول هؤلاء القادة ورجال الأعمال، الناجحين جدًا مهنيًا، والمنافسين لزملائهم الغربيين، والذين وافقوا على الدخول إلى عالم حديث يخلوا من أيه تحفظ عقائدي، إلى انفصالية مرضية للإسلام ؟ كيف وصلوا غداة أحداث سبتمبر مبررين أن الإرهاب هو سلاح الفقراء وأن بن لادن هو "روبن هود " العصر الحديث ؟

لاشك أن يحدث هذا فى ظل الحمى التي طغت على العالم الإسلامي والتصاعد الحاد فى الحركات الإسلامية فى هذه المنطقة، ولكن تحديدًا بسبب السعودية حيث التأثير الإسلامي لم يزل يسبب المصائب: كل المنطقة اعتقدت أنه يجب عليها التحول إلى التطرف الإسلامي المبالغ فيه. فحين كان الملك فيصل لا يزال الأمير الوارث للعرش فى العام ١٩٦٠ نظم مع المساعدة الفعالة من الولايات المتحدة، النظام الإسلامي، والذي كان بلا شك للكفاح ضد النفوذ الناصري فى العالم العربي والإسلامي. وكان هذا الكفاح يعد بصورة رسمية باسم الوهابيين. ولكن ما هي هذه الوهابية ؟ هذا المذهب السني، وبعد أكثر من قرنين من الزمان على استقراره فى السعودية هل أصبح يمثل إحدى التيارات الأكثر أهمية والأكثر تطرفًا فى العصر الحديث؟ محمد بن عبد الوهاب، مؤسس الحركة الوهابية، ندد بـــ (الاختراعات المنكرة) وحرم أشياء بسيطة مثل استخدام التبغ أو المسبحة، وأقام مبدأ تحريم كل ما جاء بعد نزول الوحي، تحريم كل شئ. وقد رافقه المؤسسون الأوائل للمملكة العربية السعودية الأخوان، والذين رافقوه فى استعادة الفتوحات، ولكنهم لاموا عليه فى العام ١٩٢٦، استخدامه للهاتف والسيارة وحتى التلغراف، . وقمة النفاق : هو نفس المبرر الذى تبنى عليه السلطات السعودية اليوم حكمها على الأقمار الصناعية والتليفزيون. تأثير كل ما هو جديد فى الحياة وحتى على أخلاق المسلمين يجب أن تتم دراسته بعناية فائقة: كل تغيير هو بالنسبة للوهابيين يؤثر فى

الاستقرار الكائن. وتزمتهم يذهب حتى إلى أبعد من ذلك، بحجة أنه من المحرمات رسم أو تصوير أو تخيل لصورة الرسول، ومن المحرمات أيضًا عند الوهابيين الاجتماع لقراءة سيرة محمد، فهو ينادى بالتطبيق الحرفي للقانون الإسلامي، والشريعة حتى فى القانون الجنائي

(قطع الأيدي للسارقين، الرجم بالحجارة للزانيين)، وتتجمع الدروس الوهابية فى ثلاثة نصوص أهمها كتاب الوحدة والذي يشدد على عزلة المرأة، والالتزام بالصلاة الجماعية، والالتزام بالتضحية بالحيوانات بعد أداء شرائع الحج..

أحد الموضوعات الأساسية عند الوهابيين هو موضوع الهجرة، مثل ما جاء فى القرآن، ومثل ما قام بتفسيره ابن حنبل. لقد أعطى القرآن لهجرة الرسول من مكة إلى المدينة معنى رمزيًا، وهو انتقال المسلمين الأوائل من حالة الجاهلية إلى الإسلام. ابن حنبل فسر هذا الانتقال كواجب على كل مسلم (طالما لم يقتل الكفرة، وحبست أصواتهم وتوقفت أفعالهم) .

إن ظهور الإسلام المتطرف الذي جاء من باكستان وبخاصة من مصر مع الإخوان المسلمين فى الستينيات بدأ يقلق السعوديين. كيف يمكن القبول فى بلد كبلدهم حراس الأماكان المقدسة، المزايدة على الإسلام، هذه المزايدة التي تشكك فى شرعيتهم ؟ الحل الوحيد لتجنب المخاطرة : هو التحكم ومحاولة حجم هذه الحركات. وبفضل البترو دولار، وضعت السعودية نظامًا قويًا والذي يعد اليوم من أهم الشبكات الاقتصادية للإسلاميين. وفي مواجهة تعددية الحركات الإسلامية وتمادى قوة هذه الحركات قرر السعوديون أن (يدفعوا)! أليس هم الأكثر إسلامًا وأفضل المسلمين ؟ فعلي كل مسلم أن يتبع الخط السعودي، ومن جانب الحركات الإسلامية فى العالم العربي والإسلامي فقد استفادت من هذا العطاء المالي، وقد ذهب طموح السعوديين حتى إلى درجة التحكم فى استوديوهات السينما المصرية لفرض القيم الأخلاقية. لم يعد هناك مجال لرؤية أفلام الستينيات، ونساء ظهورها عارية شاربات كأس من الشمبانيا أو مدخنات لسيجارة .

الملك الفيصل والذي كان معجبًا بالدبلوماسيين الغربيين، وفي شراكة عريضة جمع الكويتين وبعدهم بقليل الإماراتيين ووضع آلة حربية تتمحور حول خمسة محاور :

في المقام الأول (الرابطة الإسلامية العالمية) هذه المنظمة غير الحكومية تم إنشاؤها فى مكة فى العام ١٩٦٢م تحت وصاية الأمير فيصل بن عبد العزيز. فى ذلك الوقت كان العالم العربي فى أوج الحقبة الناصرية وكانت تسعى العائلة المالكة السعودية لخلق قوة مضادة عبر هيئة تتكفل بمحاربة (المؤتمرات الخطيرة التي يحاول من خلالها أعداء الإسلام حث المسلمين على الثورة ضد الدين، وتحطيم وحدتهم وأخويتهم) (الفصل الثاني من الميثاق المكون لهذه الرابطة والذي نشر فى العام ١٩٦٣). وكان من أهداف هذه الرابطة هو الدفاع عن الأقليات المسلمة فى البلدان غير المسلمة. لقد كانت آله حقيقية، تم تنظيمها بطريقة فعالة : أمين عام بمركز كل النشاطات فى مكة، ويحاط بـــ ٥٣ مستشارًا جاءوا من كل البلاد الإسلامية يجتمعون مرة كل عام، ويجب القول هنا أن الأمين العام هو دائمًا بالضرورة سعوديًا. وله كل السلطات. يعين المستشارين الإسلاميين فى كل المناطق وجميع القارات .

المستشار فى أوروبا مركزه لندن، وكما الآخر كل نشاطاته وجمعياته يتم دعمها من الرابطة. الأمين العام يقوم أيضًا بتعيين أعضاء المستشارين الدوليين للمساجد، والذي يعول عليه التنسيق والإدارة والتمويل لبناء أماكن العبادة والمركز الأوروبي يوجد فى بروكسل، ثم يتم إقامة مكتب للمنظمة الإسلامية العالمية فى كل بلد .. وعبر هذه الشبكة التي تم نسجها منذ أكثر من أربعين عامًا، تمول المملكة السعودية كل المنظمات الإسلامية عبر أوروبا .

هذه الرابطة أو المنظمات التي تتبعها، أقامت عدة مشاريع هامة : المركز الإسلامي فى بروكسل، مسجد العاصمة الإسبانية مدريد، مسجد روما فى إيطاليا، مسجد كوبنهاجن فى العاصمة الدانمركية، مسجد " مانت لاجولى " فى باريس،

ومسجد أيفري والذي ظهر أنه فجوة مالية وكلف الرابطة أموالاً كثيرة (أكثر من ٣٠ مليون فرنك)

وقد حدث أن أراد مسلمو "أفري " منذ عدة سنوات تغيير إمام المسجد الذي قدم للمحكمة أوراق ملكية المسجد باسم الرابطة واضطر المسلمون فى مدينة أفري القبول باستمراره كإمام. وهنا يجب أن نشير إلى عدم الخلط بين الرابطة ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي تمثل المحور الثاني لتغلغل الإسلاميين السعوديين. هذه المنظمة الدولية، نوع من الأمم المتحدة للعالم الإسلامي والتي تم إنشاؤها بعد الرابطة بعدة سنوات ودائمًا بمبادرة من الملك فيصل، وهي تمثل الدول الإسلامية

المحور الثالث، وهو البنك الإسلامي للتنمية والذي تم إنشاؤه فى العام ١٩٧٣م وأيضًا كان الملك فيصل وراء إنشائه، وهو من حيث المبدأ يمول مشاريع البنية التحتية فى البلاد الإسلامية. ولكن معظم المساهمين فى هذا البنك هم سعوديون وتعاملاته فى البورصة تعمل بسهولة فى صالح الرابطة .

ويذهب الملك فيصل إلى إشراك، ليس فقط حكومات شبه الجزيرة العربية التي تخشى بقوة السعودية فى مشاريعه هذه، وإنما أيضًا عائلات التجار، والذين منذ القرن العشرين أقاموا مجموعة غاية فى القوة والتي توجه تبرعاتها الإجبارية لتغذية هذا الإسلام العنيف لقد اغتيل الملك فيصل فى العام ١٩٧٥، وأخذ ابنه تركي رئيس المخابرات فى المملكة مكانه. وجاءت حرب أفغانستان لتعطيه الفرصة لإتمام عمل أبيه. لمساعدة " المجاهدين الأفغان فى النضال ضد الاجتياح السوفيتي " وأقام الكتائب الإسلامية الأفغانية، من نيوجيرسي إلى الفلبين، والتي تجند الإخوان المسلمين من سوريا ومصر والأردن وفلسطين وأيضًا من باكستان والأتراك والأكراد ... وبدون أن ينسوا بعض الفرنسيين من الجيل الثاني من أصول عربية. هؤلاء المقاتلون استقروا فى بيشاور فى باكستان، وبغرض الفاعلية فى الأداء تعاون تركي مع زملائه الباكستانيين من رجال المخابرات فى إسلام أباد. منذ العام ١٩٧٧ أصبحت باكستان دولة إسلامية، وبمساعدة السعودية تم بناء

الجامعة الإسلامية فى إسلام أباد والتي تقوم بدور الإشراف العقائدي على هؤلاء المحاربين باسم الإيمان. ولكن فى نفس الوقت كان تركي يعمل بطريقة وثيقة مع الأمريكيين، وفي إطار هذا التعاون قدم للــ "سى أي إيه " أو جهاز المخابرات الأمريكية الرجل المستعد لوضع شركاته فى خدمة الولايات المتحدة، والتي تسعى لإعطاء أسلحة غير تقليدية مثل صواريخ ستنجر الشهيرة للمقاومين الأفغان، هذا الرجل الذي كان يحظى بثقة تامة من تركي ليس إلا أسامة بن لادن. كل هذا كان مرتفع التكليف، الرابطة الإسلامية، والمنظمة الإسلامية العالمية دفعوا الكثير فى العام ١٩٨١ وبموازاة المؤتمر الإسلامي بالطائف، تجمع العديد من المستثمرين جاءوا من الكويت والبحرين والإمارات العربية المتحدة وقطر واجتمع بهم محمد أبن فيصل، الأخ الأصغر لتركي وأطلقوا بنكا إسلاميًا خاصًا {دار المال الإسلامي} ومركزه جنيف. وساعد محمد أخاه فى تمويل الشبكات الأفغانية وأتباعها فى أوروبا وبدا وكأنه ليس الوحيد الذي يفعل ذلك .

فقد اعتلى العرش الملك فهد عام ١٩٨٢م، وكان وحتى هذه اللحظة مثيرًا لضجات حول مغامراته فى الساحل الأزردي وخسارته الفادحة فى نوادي القمار. وعندما أصبح ملكًا أراد أن يشتري عذرية جديدة. فقام بتكليف صديقه، رجل الأعمال صالح كامل بإنشاء بنك إسلامي (دلة البركة) والذي أصبح اليوم كتلة ضخمة تشارك فى الكثير من المشاريع الصناعية والشركات فى أوروبا وأمريكا.

هذان البنكان يكونان المحور الخامس لتمويل الإسلاميين : الشبكات الخاصة، وبفضل هذه المنشآت البنكية استطاع تركي مع الرابطة الإسلامية والمنظمة العالمية وضع أكثر من عشرين منظمة غير حكومية تمركزت فى باكستان مع مكاتب لها فى أوروبا والولايات المتحدة، ومن أكثرها أهمية هي المنظمة العالمية للوضوح الإسلامي، ومكتب الوضوح الإسلامي. هذه المنظمات غير الحكومية تجمع الأموال من رجال الأعمال المسلمين، عائلات التجار السعوديين والكويتيين وترسلها إلى أفغانستان، والبوسنة وأيضًا إلى أوروبا حيث

تلعب لندن همزة الوصل مع البعثة الإسلامية فى المملكة المتحدة، تحول من السعودية وتدار بواسطة رجلين هامين من رجال المخابرات التابعين للأمير تركي بن فيصل .

المعاهد الدينية لها طريقة أخرى للتمويل من الباطن. لإدارة الإسلاميين. فعلاوة على الجامعة الإسلامية فى إسلام أباد، فقد رأينا مع تركي فى العام ١٩٨٠، إنشاء مدارس كثيرة بغرض استقبال المجاهدين العرب. الرابطة الإسلامية العالمية كانت هي إذن منشأ الهيئات التعليمية للأئمة فى أوروبا وقد تمركزت فى مدينة (سانت أتين ديه فورجية) وأعطيت للإخوان المسلمين بمنظمة الوحدة الإسلامية فى فرنسا. وبفضل هذه الشبكات، تمكن المسئولون فى دول شبه الجزيرة، مع رجال الأعمال الذين تعتمد أعمالهم على هؤلاء المسئولين، وكذلك كل هؤلاء الوجهاء المسلمين، قد نجحوا فى تمويل، خلال خمسة وعشرين عامًا، كل الحركات الوطنية الإسلامية مثل حماس فى فلسطين، والجبهة الإسلامية للخلاص فى الجزائر والتي تحولت إلى جماعات إسلامية مسلحة، والإخوان المسلمين فى سوريا والأردن، وشبكات الدعوة والأئمة السعوديين، الباكستانيين، والمغاربة والذين يمثلون أكبر عدد فى فرنسا ولكنهم دعموا، وربما بغير علم منهم، التطرف فى الإسلام للآلاف من الشبان المسلمين والذين يمثلون أرضية دون سابق للإرهاب بفضل الذهب الأسود .

الفصل السابع

الإسلاميون المتربصون

الإسلاميون الذين يعدون آفة فى العالم الإسلامي، يهدفون فى المقام الأول إبعاد كل فكرة عن التجديد، أو التقدم أو الحداثة وذلك على المستوى العقائدي. ومن إحدى خصائصه الملفتة للنظر هي عالميته واستمراريته، وزعمه العودة إلى الأصول والاجتهاد، فى تفسير القرآن ولكن بمفاهيم القرن السابع، وهذا ما يفسر عدوانية الإسلاميين تجاه المسلمين الآخرين : فهم يعطون الإسلام خاصية الشمولية الفاعل الأساسي للوعي بحياة المسلم فى جميع أركان حياته، وبهذا ومنذ صغره، يتم تهيئة الطفل، وفي سن المراهقة، وبحجة أنه يدخل عالم الرجال يتم وضعه فى إطار : حياته تتمركز حول آداب الإسلام والتي يتم غرسها فى حياته اليومية، وعلى عتبة البلوغ يتم تأهيله ليقوم بالمشاركة فى نشر الوعي الإسلامي فى المحيط الذي يعيش فيه قبل أن يكون مسلمًا حقيقيًا بالعمل ابتداء من العشرين من عمره .

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يعد خطرًا فى نظر الدول الغربية، بالنسبة لبعض الدول المستقبلة للهجرة المسلمة، فالإسلاميون لا يقبلون مطلقًا بأن تدار شئونهم من قبل غير المسلم، أيضا لا يمكنهم القبول بأن قوانين الإنسان هي أعلى من قوانين الله.

الإسلاميون، الأصولية فى الإسلام، تعتبر أيديولوجية سياسية دينية والتي تسعى لإقامة دولة تحكمها الشريعة وإعادة وحدة الأمة، المجتمع الإسلامي بلا حدود.

هذا التعريف والذي فى ظاهره يبدو بسيطًا، فهو يخبئ الكثير من التعقيدات، والحقائق التي تتباين من مجتمع لآخر وعلي اختلاف أيديولوجيتها .

إن التطرف الإسلامي ليس جديدًا فهو ولد مع الإسلام، فمنذ الحقبة التي عاشها النبي فى المدينة، لم يفرق الرسول بين القانون العقائدي أو الديني وبين القانون المتوارث : القانون الديني هو الشريعة، يجب أن تطبق على جميع العناصر ونشأت أربعة مدارس للفقه تعترف بها السنة، غير أن الوحيد ابن حنبل؟ الحياة، والفقهاء يستوحونها من خلال أربعة مصادر : القرآن، السنة، التوافق والإجماع، وأخيرًا الحكم بالمقارنة .

(مات عام ٨٥٠) الذي لا يقبل بأي اجتهاد، فبعد النبي لا يمكن أن يوجد جديد، مؤكدًا على أن الأحاديث النبوية هي أهم من تفسير الحكماء، بمعنى غلق باب الاجتهاد، والتفسير للقرآن فى نهاية القرن الحادي عشر، وكذلك إلغاء الخلافة منذ عام ١٩٢٤، كل هذا أعطى الشكل النهائي للفكر السني. والفكر الحنبلي هو مصدر الوحي للإسلاميين المتشددين اليوم فهم ينادون به، وبكل المفسرين الذين خلفوه فى هذا الفكر : السوري ابن تيمية فى القرن الرابع عشر، فى السعودية محمد ابن عبد الوهاب فى القرن الثامن عشر، والذي كان مصدر الوهابية ومصر حسن البنا مؤسس رابطة الإخوان المسلمين فى العام ١٩٢٨.

لا يجب الخلط بين الإسلام والإسلاميين، ولكن التيار المتطرف نجح فى نشر فكره عقيدة تحد بشكل كبير من الحريات العامة، ونجح فى ذلك بإقناع بعض المسلمين بموقفه على أنه يعد التيار النقي الحقيقي، والبعيد عن الإسلام التابع للحكومات المرتشية وبذلك فإن الإسلاميين أثبتوا وجودهم على أنهم الاختيار البديل للسلطة القائمة، والمتمسكون بقيم أخلاقية قوية، والمنتقدون لممارسات الطبقات السياسية الموجودة، وكل حديثهم مبنى على الدين، وقد تمكن الإسلاميون بهذه الطريقة من الحصول على السلطة داخل مجتمعات المؤمنين، وحتى وإن لم ينجحوا كليًا فى كسب القلوب، فهم على الأقل قاموا بنشر نوع من الخلط فى العقول بين

الإسلام والإسلامية، ناشرين بذلك فكرة الديانة المتشددة. فى حين أن المسلمين الذين يؤمنون بتيار إسلامي آخر أكثر تحررًا بمعنى الغالبية من المسلمين يجدون أنفسهم داخل هذا المظهر الطاغي. ولهذا السبب فإن الكثيرين من المفكرين المسلمين ينادون بفتح أبواب التفسير والاجتهاد، فإن الإسلاميين يرون فى الدين قاعدة للحياة، رافضين بذلك السور التي جاءت فى القرآن وتنادى بالانفتاح على الغير : (لا إكراه فى الدين) والذي علمنا إياها الرسول، وقول الله على لسانه " (وخلقناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا ..) هذه التعددية تختفي عند القراءة الحرفية للقرآن، وكذلك حقيقة كونك حرًا فى اعتقادك دون أي إكراه، وأيضا فالإسلامية نبض الادعاء بالعلاقة الحرة بين المؤمن وخالقه بدون وسطاء، متيحًا للفرد علاقة ذاتية وحديثا مباشرًا مع الله. ثم فى النهاية فالتيار الإسلامي ينكر أيضا مفهوم التساوي بين البشر فى الإسلام (كلكم سواسية كأسنان المشط) والذي تعبر عنه شعائر الحج : المؤمنون عريا تحت غطاء أبيض وليس هناك أي فرق بين الغنى والفقير، ابن قيصر أو ابن لاشيء!

الإسلامية تنفي خصوصية ديانة ثورية مقارنة مع الفكر الأول للإسلام، والتي تتجدد باستمرار هذا الشكل من التطور نراه بوضوح فى الفكر الشيعي والذي ترك الباب مفتوحًا أمام الاجتهاد .

إن مثل الجهاد هو مؤشر على استخدام الدين الإسلامي كأداة من قبل الإسلاميين ؟، والآن الاستخدام الشائع هو " الحرب المقدسة " فى حين أن الجهاد له معنى مخالف تمامًا للحقيقة فأصل كلمة الجهاد هو جهد، وهذا يعنى للمؤمنين بذل مجهود لتكون مسلمًا صالحًا. وهو الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر هو ما يقدمه المسلم من جهد فى سبيل محيطه الذي يؤمن بمفاهيم الإسلام ،والجهاد فى آخر استثناء له يسمح بالقتال، ولكن فقط حين يكون المؤمنون مهددين وفي حالة الدفاع عن النفس .

وهذا الاستثناء الأخير هو ما تم عزله من قبل الإسلاميين ليبرروا كفاحهم ليس فقط ضد الغرب وإنما أيضًا ضد المسلمين الآخرين. وهم يعتبرون أن المسلمين مضطهدون فى كل مكان فى التشتشن، فى فلسطين، فى العراق، فى البوسنة، وفي أفغانستان .. إلخ.

في الواقع أن هذا التيار يحاول الحصول على السلطة فى قلوب المؤمنين ويستخدم الدين لتحقيق هذا الهدف، ويتبني مفهومًا تم استئصاله من عناصره ليتقدم بأفكار مبسطة لأفراد باحثين عن هوية لأن له كل مظاهر الدين. وعلى جهل الناس بصورة عامة، يضاف جهل المسلمين أنفسهم. فى البلاد العربية يعتبر ثقل الإسلاميين، وانخفاض نسبة التعليم بصورة عامة يجعل من الصعب تعليم الإسلام الحقيقي ووجوهه المختلفة بداية بالأكثر تحررًا.

في العالم الغربي تختلف الصورة: فالسكان من أصول مسلمة وغالبًا بطريقة متعمدة، أهملوا هذه المعارف لتشجيع اندماج الأجيال الجديدة. ولم تتوارث المعارف. فى الحالات الأخرى تعليم الدين تم عن الطريق الأكثر راديكاليه وتطرف كرد فعل على العدوانية الموجهة للطبقات الفقيرة (أن أظهر بمظهر المتطرف) هو رد فعل، هو لتأكيد وجودي، هو أن اقرض نفسى على من ينفي وجودي والجهاد فى هذا الإطار هو مفهوم واعد .

هذا الطرح لمعنى الجهاد هو بلا شك إدارة ذكية لما يمارسه الإسلاميون! فالاستحواذ على الصورة العدوانية للإسلام يسمح لهم باحتواء كل المعالجات الإعلامية للموضوع : على اعتبار أن الصحفيين يفضلون القطار الذي لا يصل فى موعده، وليس لهم هم آخر غير البيع وجماهير المستمعين والمشاهدين. هذه المعالجة الإعلامية الرخيصة تعطى للإسلاميين سلاحين : الأول هو اعتراف السلطات العامة للدولة المستقلة بهؤلاء المسلحين، واعتراف من قبل مجتمعاتهم نفسها، ثم ومع غياب الخليفة منذ عام ١٩٢٤، لم يعد هناك من يحق له التحدث عن الإسلام، ولكن كل مؤمن له الحق فى الحديث بصفته مؤمنًا ومن خلال هذه النقطة

بالذات فقد نجح الإسلاميون فى فرض رؤيتهم، والذين يدعون أنهم الوحيدون المؤهلون للتعبير عن مفهوم الجهاد وكل المواضيع الأخرى. وبدون شك فإن هذه الإدارة للأمور جعلت الإسلاميين أساتذة فى ممارسة الإشاعات : المسلم الذي يدعو للانفتاح والحوار و التعددية يشار إليه بطريقة منتظمة على أنه "مسلم سيء " أو حتى كافر. وهذا يكفي ليجعل منه محل شك من قبل مجتمعه، وهذا النهج يعتبر نهجًا إجراميًا حين يستهدف المجتمع الإسلامي وهو ما تشهد عليه الكتب المدرسية التي تصل بكثافة من للبلاد العربية وبالتحديد :السعودية والتي يغلب عليها المعلومات الخاطئة. ويذكر على سبيل المثال مدرس الرياضيات الذي يؤكد لتلاميذه أن خطين متوازيين لا يلتقيان أبدًا ... إذا أراد الله! ويستندون إلى الحديث، عبر دروس المراجع الإسلامية فى الصف الثالث والذي ينص على " تحريم التشبه بغير المؤمنين من اليهود والمسيحيين والديانات الأخرى فى مظهرهم وملابسهم ... فقد لوحظ أن بعض الشباب المسلم من الصبيان والبنات، يقلدون غير المسلمين أصحاب الخطيئة من المشاهير فى تحركهم وسلوكهم وهو ما يسمى " الموضة "، وهي تعتبر ضعفًا دينيًا انحلالاً للشخصية المسلمة ... "

في الواقع فإنهم بمحاولتهم إعادة أسلمة الشعوب ذات الثقافة الإسلامية، وفرض نظرة إسلامية جديدة، يحاولون التحكم فى السلطة داخل المؤسسات الإسلامية حتى يصبحوا فى نظر الآخرين كما لو كانوا الممثلين الوحيدين للإسلام

وبخلاف هذه النقاط المشتركة للإسلاميين، فإنهم لا يشكلون أسرة متجانسة. فدراسة التيارات المختلفة توضح أن هناك تنوعات كثيرة بمعنى ظهور الكثير من الإسلاميين. فالمقصود هو تيارات فكرية وليسس بحركات. وبخلاف التيار العثماني وهو التركي الحقيقي، هناك الحركات الآسيوية، والتي تأخذ مرجعيتها من واحدة أو أكثر من هذه التيارات الفكرية. التي تميز الإسلاميين فى العالم. الحركات الآسيوية مثل تلك (" كسين يانج فى طائفة الأويجور فى الصين حيث الإسلامية هو نوع من التأكيد على الذات والمطالبة بالاستقلال بالنسبة للسلطة المركزية فى الصين وهؤلاء

إسلاميون جنوب شرق آسيا (أندونيسيا وماليزيا) أو التي بدأت فى الظهور خلال السنوات الأخيرة فى القارة الأفريقية، والتي تتخذ مرجعتيها الأصولية القديمة، التيارات الأكثر قدمًا والأكثر أهمية وهي ما يطلق عليها الإخوان المسلمون .

ولكن كيف، وفي كل العالم العربي، يعرف الإسلاميون نجاحًا لا يمكن إنكاره فى كل انتخابات حرة ؟ فى فلسطين، حماس حصلت على الأغلبية المطلقة فى الانتخابات التشريعية فى العام ٢٠٠٦ فى مصر، حقق الإخوان المسلمون ثغرة لا سابق لها فى مجلس الشعب المصري، حيث حصلوا على خمس مقاعد، حتى فى السعودية فاز الإسلاميون فى الانتخابات المحلية فى مايو ٢٠٠٥م، الانتخابات الأولى التي تنظم فى المملكة. فى البحرين وقطر والكويت كان لهم نجاحات أيضًا. فهل يعنى ذلك أن شعوب كل هذه البلاد توافق وبلا تحفظ على أن يفرض عليهم تطبيق الشريعة فى الحقول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؟ لأن ذلك هو بالفعل معنى الإسلامية اليوم .

وماذا يجعل الدول الغربية تشعر بالخوف ؟

أولاً : وقبل كل شئ يجب محو الفكرة المسبقة والتي تقول إن الإسلاميين ظهروا فى القرن العشرين فمثلاً فى العام ١٩١٠م، سقط بطرس غالي، (جد الأمين العام للأمم المتحدة السابق بطرس غالي) تحت وطأة رصاص أحد المتطرفين الإسلاميين، وهو فى منصب رئيس الوزراء المصري. فى تاريخ الإسلام المليء بالأحداث والاغتيالات تتكرر باسم الله والديانة، ومن كانوا يسمون بالحشاشين، هؤلاء المقاتلون الانتحاريون الذين يتم إرسالهم إلى المهمة بعد تخديرهم ليقتلوا أعداء السلطان والوزير الأول، مقتنعين بأن عملهم هذا يفتح لهم باب الجنة.

الاغتيالات السياسية كانت تستخدم بطريقة شرعية. فمنذ ظهور الإسلام كان هناك مفكرون (علماء) أو فقهاء يعطون رؤية للإنسان والعالم استنادًا إلى تفسير ضيق للإسلام ولكن فى بداية القرن العشرين، وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ

يظهر هذا التيار الأصولي المتطرف وبدأ فى تنظيم نفسه، وبدأ هذا التيار فى اكتساب نظرية وحشد إمكانياته للدعوة، وفي بعض الأحيان بالعنف والعدوان، بفضل تنظيم وتسلسل قيادي جيد، وعلي وجه الخصوص فكرة سياسية، مشروع بهدف الحصول على السلطة .

كانت فى البداية تتمحور فى طبقات الأقلية فى المجتمع، وبدأت ظاهرة الإسلاميين تسيطر على العالم العربي والإسلامي فى الستينيات والسبعينيات. وجاءت القطيعة مع حركات التحرر : يظل الغرب مثلاً يقلد حتى وفي بعض الأحيان بطريقة كاريكاتورية. الدول المسلمة التي تتمسك بالنظام الحر أو بالتجربة الاشتراكية، مقاومة فى الأوقات الأولى للضغوط : تحديث المجتمع، مدنية سريعة، تعميم التعليم، ولكن التحكم بالسلطة من قبل الأنظمة، والركود الاقتصادي، مصاحب لنمو سريع فى تعداد السكان وبطالة للشباب، وبخاصة محاولة البحث عن هوية وثقافة كل هذا جعل الشعوب تدير ظهرها للنظم الغربية المستوردة .

العامل الديني يظل فى هذه البلاد، عاملاً ثقافيا سائدًا وأحد المبادئ التي تبنى عليه شرعية المجتمعات. وهنا تستغل الحركات الإسلامية فشل التطوير فى المجتمع ودخلت فى الحقل السياسي، فهي ليست أحزاب كالأحزاب الأخرى، فكل حركة سياسية تقليدية ترتكز على قاعدة شعبية، على خلفية برنامج محدد وخطاب مبنى على أساس ويعتمد الإسلاميون على هذا المحيط الثقافي السائد، حيث الرجوع إلى الدين يلاقى أذانا صاغية. فهم ليسوا بحاجة إلى برنامج، والبرنامج الوحيد لديهم هو التطبيق الحرفي لتعاليم القرآن وكلام الله، فهم ليس بحاجة حتى للحديث، فالحديث الوحيد المقبول هو حديث القرآن، ليست هناك حاجة حتى لمنبر سياسي محدد، فالحياة اليومية هي حياتهم، فمشاكل الحياة اليومية تنتهي عندما نعتمد الحل الإسلامي.

لكل الإسلاميين على الأرض، هدف واحد : إعادة أسلمة المجتمع بتطبيق الشريعة وفرض الرجوع إلى الأصولية للقرآن، وتختلف الوسائل فى الوصول إلى ذلك، البعض يريد العمل من القاعدة، مفضلين أسلمة المجتمع عبر العمل الاجتماعي،

والتعليم، وفي بعض الأحيان النقابات، وهذا فى نظرهم السبيل الوحيد لإصلاح المسلم، والبعض الآخر يريد البدء فى تغيير الدولة نفسها بالعمل السياسي وبالتالي السيطرة على الدولة الموجودة. (الإسلام الحزبي) يسعى للدخول فى الجهاز السياسي الوطني بهدف التسرب فى أجهزة النظام لتكوين أحزاب سياسية.

بين هذين التيارين توجد التنمية الإصلاحية والتي تتألق داخل الإطار الحكومي، من أصول مستقلة، والمؤمنون بأن إصلاح الوضع القائم عبر أسلمة هادئة للمجتمع سوف تتيح الفرصة لاحتواء المعارضة الدينية من جهة، والقضاء على المعارضة اليسارية بمنعها من أخذ صفة العالمية، وأيًا كان الموجه للحركات الإسلامية، فهم جميعًا متعلمون، حكماء أو على الأقل مجاهدون أناس سخروا أوقاتهم للدراسة والتفسير لما هو مكتوب. ويتم تجنيدهم من داخل الجامعة بين الأساتذة والطلبة من الأقسام العلمية .

لقد عبرت الإسلامية البحر المتوسط بطريقة خجولة فى بداية الثمانينيات الجانب الغربي لأوربا. والسبب بسيط، القمع فى البلاد الأصلية. وفي فرنسا على سبيل المثال الشبكات الأصولية تستفيد من جهل السلطات العامة، وبالحريات التي يحققها القانون (لعام ١٩٨٢م) حول المؤسسات الاجتماعية .

منذ الثورة الإيرانية وهي تعانى هذه الظاهرة من خلط كبير، كل التبسيطات الممكنة والتي تؤكد على الصورة السلبية التي تربط بين كره الأجانب والخوف من الآخر، خلف كل مسلم يختبئ إسلامي متطرف، وخلف كل إسلامي إرهابي قادر. هذه الأفكار المسبقة مازالت حية والتي جاءت من الذاكرة الاستعمارية والاقتناع التام بأننا نواجه إسلامًا وإسلاميين متناغمين ويمثلان كتلة واحدة .

في بريطانيا، المسلمون فى معظمهم من الباكستانيين والهنود، فى ألمانيا معظمهم تركي، فى فرنسا معظمهم مغاربة حتى قبل أن تظهر هذه الظاهرة الإسلامية المتطرفة، الهوية الإسلامية يتم إدراكها فى أوروبا القديمة كخطر قائم،

كنوع من الاستفزاز، قطيعة بين الحداثة ومع التقاليد القديمة جدًا (المسيحية اليهودية)، وهذا ما أشار إليه إمام جامع جنيف الشيخ محمد عبد الستار هذه الصورة جاءت من العلاقات القائمة بين المسلمين فى الخارج وبلادهم الأصلية والطريقة التي يحياها هذا الإسلام فى البلاد المستقبلة للهجرة. إن الإسلام الخفي فى الخمسينيات أصبح إسلامًا مرئيًا .

في المقابل، منذ حرب الخليج، الممرات بين التيارات الإسلامية ظهرت للوجود وتعددت، الخطاب الجديد يدخل أوروبا فى التشكيل الإسلامي ومحاولات البناء على أرض القارة القديمة، تنظيم يتخطى الجنسيات ويعبر التيارات بطريقة أكثر جدية. هدف لتحقيق (إسلامية دولية) كانت حلمًا حتى الأمس القريب ولكنها قد تصبح حقيقة فى القريب : الشبكات يتم بناؤها على الأرض، كل بلد عربي تبنى استراتيجية خاصة به لإدارة متطرفيها الإسلاميين. سوريا العلمانية والبعثية اختارت القضاء عليهم. الإخوان المسلمون يتم قمعهم بشدة كما حدث فى حماه عام ١٩٨٢، الانتماء إلى الإخوان يعاقب بالإعدام. ومنذ وصول بشار الأسد، أصبحت هذه السياسة أقل وضوحا فالدولة السورية تستخدم أيضًا المشاعر الدينية، والذي يعبر عنه بزيادة كبيرة فى البرامج الدينية أو السماح (للقباسيات) حركة نسائية تطالب بتعميم الحجاب الإسلامي. مصر كان لها دائمًا سياسات بأبعاد مختلفة فى مواجهة الإخوان المسلمين، تحت حكم عبد الناصر تم ضربهم بقوة بعد محاولة اغتيال عبد الناصر فى الإسكندرية فى العام ١٩٥٤، خليفته أنور السادات أفرج عنهم وسمح لهم بالاندماج فى الحركة السياسية لإضعاف الشيوعيين والقوميين والناصريين. وبعد اغتيال السادات جاء حسني مبارك بالجزرة والعصا وبخاصة العصا. يتم سجن الإخوان بطريقة منتظمة وغالبًا ما يتم تعذيبهم، بالإهانة القصوى، بإلباسهم ملابس النساء وعرضهم على المساجين الآخرين. ولكن ثقل الإخوان المسلمين كبير على ضفاف النيل. إن السلطات المصرية تسمح لهم فقط بإدارة المؤسسات الدينية وأعمال الخير، ولكن تمنعهم من إقامة حزب سياسي.

في الأردن، مولد منظمة الإخوان المسلمين هو أقدم من نشأة الدولة نفسها، وخلال حكم الملك حسين تم إشراكهم فى الحكم وهم يمثلون جزءًا من المؤسسة السياسية. وقد وضع الملك خطوطاً حمراء: احترام العرش، الوحدة الوطنية، ووحدة الجيش، وتم ترك الحقل الاجتماعي تمامًا لهم / يتحكمون فى الجامعات، يديرون شبكة من المستشفيات، والمؤسسات الخيرية. ومنذ توقيع معاهدة السلام بين المملكة وإسرائيل، بدأت العلاقات بين القصر والإسلاميين فى التوتر، ومع وصول الملك عبد الله إلى العرش، بدأت مشاعر الخطر تخيم على هذه العلاقات. الملك الذي يطمع فى تحديث البلاد، ولا يحمل الملتحين فى قلبه. فالإسلاميون من جانبهم يرون أن الملك يساند الأمريكيين الذين يساندون إسرائيل، وكذلك فهو يبتعد عن الخلق الإسلامي.

في ليبيا، سحب العقيد القذافي البساط من تحت أقدام الإسلاميين، سمح نظامه بالتعبير عن المشاعر الدينية للشعب : الخمور ممنوعة، ليس هناك تضييق على بناء المساجد، وفي كتابه الأخضر، الرجل الأول يعتبر أن ثورة الجماهير لا تتعارض مع الدين، ولكن فى المقابل فهو لم يتردد فى القضاء على الإسلاميين الذين يهددون سلطته. اليوم الخطر الإسلامي هو شبحه المقلق، أجهزته الأمنية تخشى التسلل عن طريق مصر وبخاصة من صحراء الجنوب حيث توجد عناصر من القاعدة تنشط فى بلاد المغرب .

على كل الحكام العرب مواجهة هذه الموجة العارمة التي تجتاح المجتمعات، ويجدون أنفسهم أمام عاملين: الغرب يضغط لتحويل النظم إلى ديمقراطيات، وإذا تم السماح بانتخابات حرة فقد يصل الإسلاميون إلى السلطة فى بعض الحالات. فى العام ١٩٩٢، لم يكن غير الجيش الذي سد عليهم الطريق. فى العام ٢٠٠٦ حماس فازت بالانتخابات التشريعية فى غزة وكلفت منظمة فتح هزيمة تاريخية. هذه المرة على المجتمع الدولي أن يدرك هذا النصر المكتسب عبر صناديق الانتخابات أو من الأفضل الإسراع بإسقاط النظم عن طريق الحركات المسلحة ؟

هو حوار أبعد ما يكون عن نهايته.

الفصل الثامن

ابن لادن خيال المآتة !

في صباح الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م، اخترقت طائرتان مختطفتان البرجين التوأمين لمركز التجارة العالمية فى نيويورك، الرمز الاقتصادي لأقوى دولة فى العالم، وطائرة ثالثة تتحطم فى واشنطن فوق البنتاجون أو وزارة الدفاع، رمز القوة العسكرية الأمريكية، ورابعة كانت فى الغالب موجهة إلى البيت الأبيض والتي انتهى مسارها فى بنسلفانيا، حيث تدخل المسافرون على متن الطائرة ضد الخاطفين ومنعوهم من تحقيق هدفهم .

العناصر الأولى للتحقيق أشارت إلى الملياردير السعودي أسامة بن لادن. وهو شخصية معروفة وهو متهم من قبل بمسئولية هجمات ضد السفارة الأمريكية فى تنزانيا وفي كينيا، والبحث النشط جارى عنه فى الولايات المتحدة التي تتهمه أيضًا بضلوعه فى ١٨ هجومًا آخر ومنها مذبحة الأقصر فى مصر فى العام ١٩٩٧م.

كيف أن رجلاً واحدًا، (محصورًا) فى خندق فى قندهار أو ملاجئه أسفل الجبال فى خوست الأفغانية استطاع أن يعد هذه الآلة الجهنمية ؟ والد أسامة، محمد ابن لادن كان من أصل يمنى والذي انتقل إلى جده فى بداية القرن العشرين ،وبعد ممارسته لعدة مهن بدأ العمل فى أعمال المقاولات منذ ولادة المملكة السعودية، وغداة الحرب العالمية الثانية كان قد كون ثروته. ثم أصبح الممثل العام لكل المنطقة التي تتركز فيها كل الشركات الأمريكية العملاقة. وكما أنه كان صديقًا للملك فيصل مما أتاح له حصرية بناء وتجديد كل دور العبادة فى البلاد. وقد كان لمحمد بن لادن الكثير من الأبناء، حيث يختلف العدد وفقًا للمصدر. أسامة هو طفل وحيد من أم سورية ولد فى العام ١٩٥٧ والخامس عشر من الأبناء الذكور. وبعد

دراسته فى الاقتصاد و الإدارة فى السعودية بدأ أسامة فى الاشتراك فى أعمال الأسرة، وحين توفي والده فى حادث طائرة فى العام ١٩٦٧ ،أخذ مكانه ابنه بكر الابن البكري. وتحولت مجموعة بن لادن إلى مجموعة دولية، فى البداية فى بلاد الخليج ثم فى العالم العربي بشكل عام. وعبر أحد الوسطاء الماليين من العائلة (حيدر) قامت مجموعة بن لادن بامتلاك ١٠٪ من الشركة اللبنانية التي تولت إعادة بناء مركز بيروت، ولكن العائلة حاضرة أيضًا فى أوروبا وفي الولايات المتحدة. الأخ الأصغر على يقيم فى فرنسا مع العديد من أخواته، حيث قام بشراء شقتين مع ابنه محمد فى (جراس والكاب) وأقام مصنعًا لتصنيع الأنابيب اللازمة لعمليات البناء. ويعمل لدية أكثر من خمسة عشر موظفًا، وله دار للنشر لا تعمل منذ عام ١٩٩٩، تم نقل مقرها من شارع أرتواز فى باريس إلى جنوب فرنسا. ومع على هناك مشاركون بحصص، ابنه محمد وبعض أخواته : الهام ولينا وسحر وسيما – وزبيدة، ولكن فى الواقع (الأخوة بن لادن) يقيمون أكثر فى سويسرا وفي لندن ومعظمهم أقاموا مكاتبهم الخاصة فى أوروبا. ويدير " بسام " شركات مالية فى جنيف ليوجانو. الأكثر قربًا من أسامة هو بلا شك يحيى وهو معروف أيضًا بمشاعره الدينية. وقد ترعرع مثل أسامة فى ظل تعليم " وهابى حازم ". وبالطبع فإنه فى هذا الإطار الديني قام الأمير تركي بن فيصل رئيس المخابرات الخارجية بالاتصال بأسامة بن لادن لتجنيد المجاهدين فى فرقة عسكرية إسلامية من البلاد العربية للنضال ضد الاجتياح السوفيتي لأفغانستان. السعودية والأجهزة الباكستانية وبالطبع الأمريكان ساندوا المقاومة ضد الجيش الأحمر ومن هذا الواقع حين أصاب العالم الإسلامي الحمى من هذا الغزو، بدأ أسامة فى تجنيد المئات من المقاتلين العرب منذ العام ١٩٨٠ عن طريق مؤسسته دار الأنصار، وبسرعة اكتسب المقاتلون مكانتهم فى قلب المقاومة الأفغانية، فهم مدربون ومنظمون وممولون ماديًا، ومسلحون من الأجهزة الأمريكية والتي تزود المقاتلين بالصاروخ الشهير " ستنجر" والذي سبب خسائر جسيمة للطيران السوفيتي فى العام ١٩٨٧م. أنشأ ابن لادن منظمته الخاصة " القاعدة " والتي أصبحت الإطار الطبيعي للمجاهدين العرب

وهنا بدأ التعرف على رفقائه فى الجهاد : عبد الله عزام المسئول الفلسطيني المكلف بالتعليم الديني، والذي قتل فى العام ١٩٨٩م فى باكستان عن طريق سيارة مفخخة، والعراقي محمد سعد الذي كان مهندسًا فى الأصل ومكلفًا بتأمين الإمدادات. ولكن أسامه وجد رفاقه فى القتال من بين المصريين، ومن أنصار الجماعة الإسلامية والجهاد، أيمن الظواهري الذي طور الجناح العسكري للجهاد مع طلائع الفتح غداة حرب الخليج الأولى ١٩٩٠م- ١٩٩١م. وقد كان أيمن الظواهري طبيبًا، عضوًا سابقًا فى الجماعة الإسلامية والذي يعتبر من دائرة أسامة بن لادن الأولى ،وكان قد اتهم بضلوعه فى اغتيال أنور السادات .

وفي هذه الفترة أيضًا كان انزعاج أسامة بن لادن من الصراعات التي ظهرت وسط المجاهدين الأفغان وبعد أن فشل فى محاولته لحل هذه الصراعات، ركز بن لادن على تنظيم المجاهدين العرب وابتعد عن زعماء الحروب الأفغان رباني، ومسعود وحكمت يار، وأهتم بإدارة أعماله الخاصة خارج السعودية، فى السودان وفي أفغانستان، شركة فى الخرطوم والتي كان لها حصريًا إنشاء طريق بطول ١٤٠٠ كم، وأصبحت هذه الشركة أكبر شركة مقاولات فى السودان، ثم أنشأ بن لادن بنكًا يسمى التقوى، وهنا لا يجب الخلط بين هذا البنك وبنك التقوى الذي أقامه الإخوان المسلمون فى مصر ،. وقد أقام ابن لادن مشروعًا زراعيًا ضخمًا فى محيط مدينة الخرطوم.

بعد هزيمة الاتحاد السوفيتي، وتبعه حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفيتي، عاد أسامة بن لادن إلى أفغانستان وتحالف مع حركة طالبان التي كانت كالآلة الضاغطة وتسيطر على جزء كبير من الأرض الأفغانية، وقامت باكستان بتقديم المساعدة لطالبان حيث كان يتم استقبالها فى البداية كحركة تحررية. ووصلت العلاقة بين ابن لادن ومحمد عمر المرشد الديني لحركة طالبان إلى حد التناسب، فقد تزوج ابن المولى عمر إحدى بنات بن لادن ويقال أيضًا إن أسامة بن لادن قد تزوج إحدى بنات المولى عمر .

ولكن هناك شيئًا قد تغير فى سلوكه وفي أحاديثه : فهو حمل الأمريكان مسئولية الوحل الذي توجد فيه أفغانستان، وصب غضبه على السعوديين، الذين سمحوا للكفار الأمريكان بتدنيس أرض السعودية المقدسة حيث تمركزت قواتهم منذ حرب الخليج. فى الأيدلوجية الوهابية، فإن كامل الأراضي السعودية تعتبر أراضي دينية مقدسة وليس فقط الحجاز التي تضم الأماكن المقدسة مكة والمدينة. وفي هذه الفترة تحولت المشاعر العدائية التي يحملها ابن لادن لصدام حسين إلى نوع من المصالحة وبدأ فى تمويل الإسلاميين المصريين واليمنيين وبدأ معركته من جميع المناطق فى العالم ضد الشيطان الأكبر و تم الإسقاط الرسمي لجنسيته السعودية فى العام ١٩٩٣م، بسبب عدائه للنظام فى الرياض وتحالفه مع أمريكا وأعلنت أسرته على الملأ أنها قطعت كل العلاقات معه ولكن هل ننسى المثل العربي القائل (أنا وأخويا على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب) ؟

في العام ١٩٩٥م، وعلى وقع الهجوم على الجنود الأمريكيين فى الخبر، اتجهت أصابع الاتهام إلى ابن لادن، وفي العام التالي وقع الاعتداء على القاعدة الأمريكية، هجوم أدى إلى مقتل ٢٤ جنديًا، وهو أيضا من يتهم بالوقوف وراء مجزرة الأقصر فى العام ١٩٩٧م، ولم يعد أسامة بن لادن فى حاجة إلى الإعلان عن عملياته، فهو أصبح المسئول بصورة منتظمة عن كل اعتداء موجه ضد الولايات المتحدة. وقد قامت هذه الأخيرة برفع مذكرة توقيف فى حق الملياردير السعودي وعرضت مكافأة كبيرة للقبض عليه. وقد وجد الأمريكيون حرجًا كبيرًا فى تبرير المساعدة التي تم تقديمها إلى ابن لادن فى أفغانستان، الرجل الذي أصبح فى نظر واشنطن عدو أمريكا الأول ". وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها مغلقة فى إطار دائرة : حلفاؤها فى المنطقة، السعودية وباكستان يساندان نظام طالبان الأفغاني، وهذا النظام بدوره يحمى ابن لادن، والذي كان هو نفسه وعلي مدى عشر سنوات يتم مساعدته من طرف الأجهزة الاستخباراتيه الأمريكية ... وهنا يجب الذكر أنه لم يكن هناك غير ثلاث دول فى العالم هي التي فتحت سفارات لطالبان فى بلادها : الإمارات العربية – المملكة السعودية وباكستان .

هذا التناقض يمكن شرحه، إذا عدنا إلى التاريخ، فقد رأينا الدور الذي لعبته القوى الاستعمارية حين فرضَ على المحيط العربي الإسلامي التقسيمات الحدودية، وعند بداية حركات الاستقلال كان هناك مفهومان متعارضان الأول وهو مفهوم الأمة العربية ومفهوم الأمة الإسلامية، الأول كان بقيادة جمال عبد الناصر، والذي اتخذ الغرب كنموذج، وكان يدعو للعلمانية أو على الأقل لدولة قديمة يعود جذورها إلى آلاف السنين. وينادى بالوحدة العربية على أساس وحدة اللغة والثقافة والمصير، المفهوم الثاني وتقوده السعودية والتي تتجاهل الحدود وتدعو للإسلام العالمي وفقًا للطقوس الوهابية الممارسة فى البلدان التي يكون فيها القرآن هو الدستور فى غداة حرب السويس فى العام ١٩٥٦م، ترك الفرنسيون والإنجليز الساحة للأمريكان والسوفيت، الدولتان العظميان الجديدتان فى هذا العالم. وعلى غير المتوقع، انضمت فرنسا وانجلترا إلى أمريكا فى تحالفها مع السعودية والأمة الإسلامية. بالنسبة للولايات المتحدة كان هناك البعد الاقتصادي واحتياطيات البترول فى السعودية والبعد الأيديولوجي على اعتبار أن الإسلام هو أفضل الموانع ضد الشيوعية ولكن هذه المساندة الغربية جعلت الخط العلماني يتراجع ويتخذ موقفًا دفاعيًا وجعل الإسلاميين يحققون نجاحات متتالية. وكانت قمة النجاح وصول الخميني إلى السلطة فى إيران وانطلاق حرب أفغانستان حيث نجد ابن لادن وعملياته العسكرية التي تحقق انتصارات على السوفييت .

إن ابن لادن لم ينفِ لجوءه إلى العنف، وليس له مطالب غير تحرير الأماكن المقدسة للمسلمين (المملكة السعودية) من الاحتلال الأجنبي (الأمريكان) وتحرير القدس وإطلاق سراح الشيخ عبد الرحمن المسجون فى الولايات المتحدة بسبب الهجوم الأول على مركز التجارة العالمي، والتجنيد كان دائمًا يتم فى الأوساط المتعلمة وبخاصة العلميين الذين يؤمنون باستخدام العنف ضد أعداء الإسلام .

وقد انضم إلى ابن لادن المهندسون والأطباء والأساتذة الذين لديهم وعى سياسي وكان البعضُ منهم قد أصيب بالإحباط عندما لجأوا إلى الحركات الوطنية فى بلادهم .

إن الشبكات التي أقامها ابن لادن منذ خمسة وعشرين عامًا، بجانب أربعة إلى خمسة آلاف مقاتل والذي يمكنه الاعتماد عليهم فى أفغانستان، هذه الشبكات جزء منها فعال وجزء نائم وهي تتكون أساسًا من المجاهدين العرب الذين عادوا من أفغانستان إلى بلادهم الأصلية، أو إلى أوروبا أو أمريكا الشمالية، وهؤلاء لديهم حياتهم الخاصة الهادئة، يكونون أسرًا ويعملون، ويشغلون أوقات فراغهم ... حتى يتم تفعيلهم، ومن الواضح أن ابن لادن يمتلك من الإمكانيات البشرية واللوجيستية والعسكرية "بفضل مساعدة أبو المصري" المادية على وجه التحديد. وإن لم يستخدم ابن لادن إمكانياته المادية الشخصية في بداية الحرب فى أفغانستان لأن الولايات المتحدة كانت الممول الحقيقي لهذه المقاومة، فإنه اليوم يمتلك العديد من المصادر المالية، أولاً أعماله الشخصية والتي تركها تحت رعاية مساعديه، وتقدر ثروته الشخصية ما بين ٣٧٠ إلى ٧٠٠ مليون دولار، ثم ضرائب الحرب المقدسة والتي تأتى أساسًا من العطاءات المهمة التي يدفعها عائلات كبار التجار فى شبه الجزيرة العربية. وهناك أحاديث عن أن الإمارات العربية المتحدة تدفع " ضرائب الثورة " فى مقابل عدم المساس بما يتم فعله فى دبي وأسواقها الحرة، ثم هناك تجارة الأفيون والتي توارثها من خلال علاقته المتميزة مع أمير طالبان المولى عمر. ويقال بدون تردد إذا كان الغربيون يريدون أن يتعاطوا المخدرات فلا بأس عليهم "! .

كل من قابل ابن لادن فى الثمانينيات يقول إنه رجل متواضع، كان هذا فى الوقت الذي أراد فيه رفيق الحريري إعادة بناء لبنان من خلال الاستثمارات الخاصة ومن بين المستثمرين عائلة بن لادن فقد كان بن لادن يعاتب المتحدثين معه والذين يشعرون بالقلق على فلسطين التي لم تتخذ من الحركات الإسلامية سلاحًا لها، بان الإسلام لا يتوقف على فلسطين، وبهدوء يعرض النظرية الوهابية : لا حدود ولكن قومية واحدة هذه النظرية، إسلامية أكيدًا، ولكنها غير عنيفة .

وكل من رأى ابن لادن فى التسعينيات، وبالذات فى الخرطوم، حين اجتمعت المنظمات المعادية لاتفاق أوسلو، يقولون إنهم وجدوه رجلاً آخر، معتنقًا

لأيدلوجية الإخوان المسلمين، وهنا يجب ألا ننسى أن ابن لادن قد اعتنق العنف على يد عبد الله عزام الفلسطيني الرجل الذي أصبح مرشدًا لابن لادن وكان من الإخوان المسلمين فى الأردن والذي كان يعتبر بن لادن معتدلاً جدًا وليس هجوميًا بما فيه الكفاية ضد السلطة فى الأردن، وقد غادر عبد الله عزام الأردن متجهًا إلى أفغانستان ليمارس الجهاد المسلح ضد السوفيت فى أفغانستان .

ما بين ١٩٨٩م، ١٩٩٢م، أخذ أيمن الظواهري مكان عبد الله عزام بعد اغتياله فى بيشاور. والظواهري يعتبر رجلاً حاد الذكاء وكان هو أيضًا ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، وبدون أن يتركها رسميًا أسس حركة الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية. هذا المنظم الحقيقي تمت إدانته فى عملية اغتيال السادات. باختصار لقد تغير أسلوب ابن لادن وأصبح أكثر عنفًا. ومنذ العام ١٩٩٣ أصبحت السعودية فى قلب خطبه وأفكاره حول الجيد والسيء، ونسى ثروته وثروة عائلته وثروة السعودية ودخل فى المنطق الجديد : ٩٠٪ من ثروة العالم ترجع إلى ١٠٪ من السكان، وهذه ١٠٪ تستغل الآخرين وهم فى معظمهم مسلمون، هذا الحديث بدأ ينمى لديه الرغبة فى معادة النظم القائمة السعودية أو المصرية والحصول على السلطة فى قلب العالم الإسلامي.

فقطيعته مع الوهابيين لها أصل آخر. فقد عرض ابن لادن على الملك فهد فى العام ١٩٩٠، باعتباره القائد لعدة آلاف من المقاتلين المدربين، بالدفاع عن المملكة السعودية وتحرير الكويت، ولكن الملك فهد رفض هذا العرض، ولم يتحمل ابن لادن هذا الرفض والإقصاء الذي اعتبره كنوع من الإهانة وهو الذي يعتبر فارس الجهاد يتم إقصاؤه من قبل أسرة مالكة مرتشية والأكثر من ذلك أنها سمحت بدخول قوات أجنبيه إلى المملكة .

إن مسار ابن لادن النفسي أيضًا ذات أهمية، لمحاولة فهم حوافزه فما قيل من خلال شهادة هؤلاء الذين عملوا معه فى بداية الثمانينيات فى الشركة العائلية " ابن لادن للمقاولات " وكان عمر بن لادن فى ذلك الوقت خمسة وعشرين عامًا،

وكان يعرف بأنه رئيس ممتاز فى مواقع العمل، جاد جدًا، يعد البرنامج فى موقع العمل منذ السادسة صباحًا، وكان محل تقدير من كل المهندسين، وأكثر من ذلك، فى عائلة ابن لادن، مثل ما هو فى معظم عائلات التجار فى السعودية، حين يموت الأب، التركة لا يتم تقسيمها، والابن الأكبر يصبح رئيس للعائلة ومسئول عن كل أفرادها وعليه أن يأخذ القيادة. وفي نهاية كل عام، يعطى نسبة الأرباح لكل فرد، ولكن لا أحد يحق له أن يسحب نصيبه من رأسمال العائلة. وبالتالي فإن أسامة بن لادن لم يحصل على كل ثروته، وإنما على الأرباح فقط. ولكنه لم يبد انزعاجًا لذلك، وبالإضافة فالهجمات التي ينفذها، أو التي يوجهها أو التي يأمر بها لا تكلف كثيرًا. إن هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ لم تكلف فى مجملها عدة عشرات الآلاف من الدولارات، لتحقيق هجوم لا يلزم إلا أربعة خلايا : خلية للإعداد، خلية لتوفير المتطلبات المادية للعملية، وواحدة للتنفيذ، واحدة أخيرة للتنفيذ فى الموقع، ومن الممكن ألا يكون هناك اتصال بين هذه الخلايا، وفي معظم الأحيان لا يعرف أحدهم الآخر .

لقد تبنى ابن لادن مبدأ الخير ضد الشر معتقدًا أنه يمثل الخير، وهذا المبدأ يساعده على التعبئة الجماهيرية، على عكس اعتقاد خاطئ سائد، فإنه ليس الرئيس .

العقل المدبر هو أيمن الظواهري وابن لادن المتحدث الرسمي باسم القاعدة.

في هذه المنظمة المركزة، الدوائر قد تتقطع فى بعض الأحيان. ولكنها بسرعة تعود إلى اللامركزية : القاعدة أوروبا، القاعدة المغرب، القاعدة مصر، القاعدة الشرق الأوسط ،.. الخ وكل وحدة تظل مستقلة .

وهناك حول ابن لادن والظواهري مجموعة استشارية " مجلس شورى" للمواضيع الأيديولوجية أو العقائدية، وأيضًا للمواضيع الاستراتيجية والتنفيذية. من الممكن أن لا يعطى أوامر، أو على العكس، كما حدث مع الظواهري فى رسائله إلى المجموعات السلفية والأصولية، مثل المنظمة السلفية للدعوة والجهاد " نحن

نزودكم بالسلاح، ولكن فى نفس الوقت، نحن نطلب منكم الاهتمام بفرنسا والفرنسيين " الهدف الأول هو زَعزعة استقرار النظم العربية، والنظم الملكية فى السعودية وغيرها كالمغرب والأردن. تأتى بعد ذلك النظم الجمهورية، والولايات المتحدة وحلفاؤها (كندا – أستراليا – نيوزيلاند) وأخيرًا شرق آسيا، وبالتحديد أند ونسيا. الهدف الثاني هو الحصول على السلطة فى الدول العربية للوصول للهدف النهائي هو زعزعة الغرب .

وبالرغم من سياسة الرعب التي تصدم الرأي العام العالمي، فالغالبية العظمى من المسلمين يرون أن منظمة ابن لادن وصلت إلى طريق استراتيجي مسدود. برغم هجماته الدموية لم تصل أبدًا لقلب نظام عربي، الأردن أو السعودية مثلاً، ولا زعزعة ديمقراطية غربية، الملجأ فى أفغانستان لم يعد مؤمنًا جدًا، العديد من مساعديه تمت تصفيتهم مثل أبو ليث الليبي فى ٢٠٠٨م، والأسوأ هو أن الجيل الجديد لا يحمل نفس الإعجاب له أو للمولى عمر. فى العراق عرفت القاعدة نكسات كثيرة، القبائل السنة فى الغرب تسلحت وتحالفت حتى مع الأمريكان لمقاتلة المجاهدين من القاعدة، الذين تراجعوا إلى الشمال الغربي وبالتحديد فى ديالا وكركوك والموصل. فى فلسطين التي تعد أرض الجهاد، لم ينجح أبدًا فى وضع شبكة كما فعل فى بلاد عربية أخرى. فى الضفة الغربية وغزة، الإسلاميون هم من الإخوان المسلمين، مثل حماس والجهاد، ظهروا فى فلسطين منذ زمن بعيد، ولكن ليس بينهم الجهاد الشمولي بدون حدود. وفيما يخص الإسلاميين الفلسطينيين، الحرب المقدسة هي أولاً معركة لتحرير الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل وليس صراعا مع الشيطان الأكبر أمريكا فهو جهاد وطني. فى المغرب تبنت القاعدة الجماعة السلفية للدعوة والجهاد والتي تحولت إلى القاعدة فى المغرب الإسلامي. بمعنى فرع محلى يحاول أن يزعزع النظم القائمة ... بدون نجاح. هل هذا يعنى أن منظمة بن لادن فى طريقها إلى التراجع ؟ ربما جزئيًا، حتى وإن احتفظت بالقدرة على الضرب عن طريق الخلايا القائمة. ولكن الأكثر إزعاجا هو أن

التنظيمات الأخرى والجماعات الصغيرة بدأت فى الانتشار فى ظل القاعدة، والتي لا تحتكر العنف الإسلامي. فهي قد شكلت نموذجًا يغرى الكثير من الشباب المسلم الباحث عن هدف سام للتمسك به، بما فى ذلك الغرب. ومن جهة أخرى فإن القاعدة كانت دائمًا تجد الأرض المناسبة لتزدهر فى الصراعات التي لم يتم حلها أو التي تظهر. العراق، دارفور، الصومال، وفلسطين يعدون بؤرا تساعد على التعبئة الأيدلوجية لحركة ابن لادن. إن أية صدام بين إيران والغرب سيكون من هذا المنطلق هو بمثابة الخبز المبارك للقاعدة .

الفصل التاسع

جيل (الجزيرة)

بعد الزيارة التي قام بها الرئيس المصري حسنى مبارك لمركز قناة الجزيرة فى قطر فى العام ٢٠٠٠. علق بإعجاب (كل هذه الضجة تأتى من علبة الكبريت هذه !) فمكاتب هذا التليفزيون الذي أصبح يشكل (الشعرة المزعجة) للنظم العربية، كانت متواضعة وربما هزلية بالمقارنة للوقع والشعبية لهذه القناة التلفزيونية بين الشعوب العربية والرأي العام العربي ومنذ نجاحها أصبحت استوديوهاتها على أحدث طراز وتبدو التجهيزات قد كلفت أكثر من ١٢ مليون دولار، وأماكن التصوير والإنارة فيها تتنوع طبقًا للإنارة الخارجية (الجزيرة) إنها ثورة إعلامية خاطفة، لقد تم إطلاق هذه القناة التلفزيونية فى العام ١٩٩٦ بالدوحة، بناء على رغبة أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة الثاني : إنها " سى. إن. إن " للعالم العربي، وحررت كلامًا كان مكتومًا لزمن طويل. فى الأصل كان مشروع قناة تليفزيونية إخبارية متواصلة وقد كان من المفترض أن تولد منذ عدة سنوات سابقة فى السعودية، بالتعاون مع الجهاز العربي فى (البى بى سى) ولكن فى المملكة الوهابية، صوت التليفزيون الصغير يسبب القلق. حرية الصحافة وبالذات المسموعة والمرئية لا تتفق مع التشدد المتعصب للنظام ... وماتت سريعًا وسط عدم مبالاة .

وكان الشيخ حمد فى انتظار الفرصة السانحة لإثارة الجار السعودي فقام باستخدام المفهوم الإعلامي لهذه القناة، واحتفظ بالطاقم العامل فى القناة التي تم إغلاقها وولدت الجزيرة .

وقد أدرك الشيخ حمد، المنحدر من أصول بدوية عريقة، وقبل كل زملائه العرب الفائدة التي يمكن أن يجنيها من قناة الجزيرة. قطر، هذا اللسان الرملي الصغير فى الخليج العربي الفارسي تلك الإمارة الجالسة على الكثير من الذهب : الاحتياطي العالمي الثالث فى العالم والذي تشاركها فيه إيران، وكما كل الأسر المالكة فى الخليج، فإن الأمير كان قد صدم لغزو العراق للكويت فى العام ١٩٩٠، سكان هذه الإمارة لا يتخطى ٨٠٠ ألف نسمة، منهم ٢٠٠ ألف مواطن قطري، ولديها جيش صغير، وهي تعرف أنها لا يمكنها مقاومة جيرانها العمالقة إيران والسعودية. ولإثبات وجودها، فهي فى حاجة إلى تأمين على الحياة، ومع قناة الجزيرة أصبحت قطر بلدًا إعلاميا والهدف : وضع قطر على الخريطة العربية والدولية والحصول على الاعتراف بها. وبعد عشر سنوات على إنشائها الهدف تم الوصول إليه وبسخاء، حتى وإن كانت البداية صادفت الكثير من الصعوبات، وهى معادية للأمريكيين بصورة واضحة، وضد إسرائيل، تاركة الشتائم تنهال على الزعماء العرب ناشرة أحاديث ابن لادن، وقد أجادت إشباع الظمأ للمعلومات الذي يعانى منه العالم العربي والشعوب التي ملت القنوات الوطنية، ونشير إلى أن التغطية المباشرة والحصرية لأحداث الشرق الأوسط بفضل شبكة مراسلين غزيرة جدًا، وموقفها المساند لفلسطين هما من عوامل قصة النجاح هذه .

ومع ذلك فقد دفعت الجزيرة الثمن الغالي فى بحثها عن " السكوب "، أو الخبر الرنان أو اللافت : فقد قامت القوات الأمريكية عند غزوها لأفغانستان، بضرب مكاتبها، وقد نجا بأعجوبة أحد صحفييها المشهورين تيسير علونى، والذي سبق وأن تم الحكم عليه فى اسبانيا بسبب علاقته الافتراضية بأسامة بن لادن. فى حملة العراق عام ٢٠٠٣، أطلق سلاح الجو الأمريكي صاروخًا على مبنى كان يتم فيه البث المباشر للقناة، ومات طارق أيوب. أعطيت إحداثيات المكان للقيادة الأمريكية المتمركزة فى الدوحة، هذا الخطأ لم يكن مصادفة، فالجزيرة كانت تزعج إدارة بوش والتي يقال إنها عرضت على تونى بلير تدمير القناة التليفزيونية .

ويتم إغلاق مكاتب الجزيرة بصورة منتظمة، فى الأردن والسعودية ومصر والعراق، متهمين إياها بإثارة العنف، مكتبها فى العراق كان يطلق عليه مكتب الفالوجا نسبة لتلك المدينة التي تمثل قلب المقاومة السنية، وقد حرمت من مدخولتها الإعلانية بسبب مقاطعة الدوائر الحكومية السعودية، ولكن ومهما كان الأمر، فإن الجمهور العربي يعيش أحداث الشرق الأوسط بصورة مباشرة على قناة الجزيرة : الانتفاضة الفلسطينية، الحرب فى العراق، الأزمة اللبنانية، وبطريقة منظمة، تتفوق فرق المراسلين الخصوصيين لقناة الجزيرة على كل المنافسات الإعلامية : لقد كانت القناة التليفزيونية الوحيدة التي لها مراسلون فى أفغانستان تحت حكم طالبان.

أثناء حرب صيف ٢٠٠٦م بين حزب الله وإسرائيل، شاهد الجمهور العربي مناظر مدهشة : مراسل الجزيرة فى بيروت يأتيه اتصال من حزب الله يخبره فيه بإطلاق صورايخ وسمع صفارات الإنذار خلفه. وبدأت قناة الجزيرة فى التعقل منذ عدة سنوات، أصبحت أقل سياسة وأكثر تجارة فالأرباح تفرض نفسها. وهدفها التوسع فى اتجاه الشباب والذي يمثل أكثر من نصف الشعوب العربية مع قناة للأطفال، وواحدة للرياضة، وأخرى وثائقية وأخيرة باللغة الإنجليزية. وتحولت الجزيرة إلى مجموعة إعلامية معترف بها على المستوى العالمي مع أكثر من ٤٠ مليون مشاهد. ودائمًا يكون شعارها (الرأي والرأي الآخر !). هل الجزيرة تعد صوتًا للإسلاميين؟ يجيب مدير قناة الجزيرة على هذا السؤال بالقول : (ليس نحن الذين خلقنا الإسلاميين، إننا لا نبالغ فى أهميتهم، ولكنهم جزء من الواقع السياسي فى العالم العربي. نحن نعمل بمهنية، ولا أدرى بأي حق يجب علينا ألا نعطيهم الكلمة) هل الجزيرة هي المتحدث الرسمي لابن لادن ؟ ويجيب المدير العام للقناة التليفزيونية: (علي العكس إعطاؤه الكلمة يسمح برفع الغموض عنه، وإظهار أنه يختار الطريق الخطأ أمام المشاهدين فإننا لا يمكننا القول إنه غير موجود وحين يصلنا شريط مسجل فهو (سكوب) بالنسبة للجزيرة ولكننا لا نبثه أبدا بصورة كاملة ،فقط الأجزاء التي نراها مهمة، وأخيرًا فهذه انتقادات خاطئة التي توجه إلينا ... قناة سى إن إن أيضًا أجرت مقابلة مع ابن لادن فى السابق) .

ومثل العالم العربي مجلس تحرير الجزيرة منقسم بين إسلاميين وعلمانيين، والإسلاميون بدأوا يأخذون الغلبة وفقًا لمصدر داخلي. ولكنهم أوفياء للخط الذى تنتهجه القناة التليفزيونية، فهي تعطى الحديث لجميع الأطراف، والمسئولون الأمريكان والاسرائيليون يتم استجوابهم بصورة مباشرة من واشنطن ومن تل أبيب، والعلاقة بين الدولة العبرية وقناة الجزيرة هي علاقة معقدة للغاية. فقناة الجزيرة تساند الانتفاضة الفلسطينية وتحتفظ بنفس الوقت بعلاقات جيدة مع الإسرائيليين. فى الدوحة المكتب الإسرائيلي للتمثيل التجاري والذي يعد سفارة فى واقع الأمر، يعطى وبصورة منتظمة تأشيرات دخول للفرق الإعلامية من الجزيرة ولمن يرغب فى الدخول إلى فلسطين أو إسرائيل. هناك قصة صغيرة حدثت أثناء الانسحاب الإسرائيلي من غزة فى العام ٢٠٠٥. فريق مراسلين من الجزيرة وصل أثناء الليل عند نقطة العبور عند ممر " هارتيز " والذي كان مغلقًا بطبيعة الحال ... وبعد عدة اتصالات تليفونية .. تم رفع الحواجز للمراسلين القادمين من قطر! هذه القصة الصغيرة تلخص بصورة جيدة السياسة الملتوية لهذه الإمارة : عدم خلق أعداء يسمح باللعب على جميع الاتجاهات .

قطر، التي استقبلت مركز قيادة الجيش الأمريكي أثناء حرب العراق فى العام ٢٠٠٣، وتقوم على أرضها أيضًا القاعدة الجوية (العواريد) وهي ملجأ للمقربين السابقين لصدام حسين مثل سعيدة زوجة الديكتاتور السابق، وناجى صبري الوزير السابق للخارجية العراقية، وشخصيات مثل عباس مدني زعيم الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الجزائر، والرئيس الموريتاني المخلوع ولد طايع والذي تمت الإطاحة به فى العام ٢٠٠٦م ... الجزيرة تسير على نفس الخط .

إن النجاح الساحق لقناة الجزيرة هو تناسب عكسي للفقر الإعلامي على القنوات العربية العامة، والتي تخضع دائمًا لرقابة الحكومة: والتلفزيونات الوطنية تجد صعوبة فى التطور فليس هناك مجال لنقد الزعماء فى السلطة، أو إعطاء الكلمة للمعارضة. نشرات الأخبار، تتعامل بصورة لا تتغير، كل فعل وكل كلمة للرئيس أو الملك لها الأولوية.

وفي عشية الانتخابات التشريعية المغربية فى سبتمبر ٢٠٠٧م، افتتح التلفزيون الرسمي المغربي جريدته المسائية الكبرى ليس على نتائج الانتخابات، والتي تعتبرها السلطة تاريخية، وإنما بعشر دقائق مسخرة للملك محمد السادس الذي يستقبل عمر بونجو! هل هي زيارة رسمية ذات أهمية كبيرة على مستوى العلاقات الثنائية ؟ لا، الرئيس الجابوني كان مارًا بالمملكة ... فى زيارة خاصة!

ونظرًا لنجاح الجزيرة، قنوات تلفزيونية أخرى حاولت تقليدها ولكن بدون جدوى. السعوديون أطلقوا " العربية "، وأطلق الأمريكيون " الحرة " ، " ولقد لاقت هذه الأخيرة فشلاً سريعًا، والتي كان قد تم افتتاحها بزخم بالغ فى عام ٢٠٠٤، والتي كان من المفترض أن تنافس القنوات الفضائية العربية، ونشر رسالة الحرية والديمقراطية فى العالم العربي " صولجان إدارة بوش رسائلها، منحازة للأمريكيين والغربيين، ما أدى إلى مقاطعة المشاهدين لها نسبة المشاهدين لهذه القناة التليفزيونية لم تصل إلى ٥٪ وكان الأمريكيون قد أقاموها على غرار راديو أوروبا الحر الذي كان يذيع فى اتجاه بلدان المعسكر الشيوعي فى زمن الحرب الباردة، برامج رديئة لحد كبير فلم يعد الرأي العام العربي مستعدًا لسماع هذه الأنواع من الدعايات .

وبعد ثورة الجزيرة، التى تظل ملكية للشيخ حمد بن خليفة الثاني، الشكل الإعلامي العربي يظل وبصورة كبيرة تحت سيطرة الدولة. من بين حوالي ١٢٠ قناة فضائية للعالم العربي، أكثر من الثلثين تخضع رسميًا لرقابة الحكومات .

وعلي مر السنين أصبحت السعودية اللاعب الوطني الأكثر أهمية على المسرح الإعلامي العربي متخطية بذلك لبنان ومصر. المملكة الوهابية إضافة إلى مساهمتها فى القنوات الفضائية مثل (إم. بي. سي) أو العربية، فهي تسيطر على الجريديتن اليوميتين الأساسيتين الحياة والشرق الأوسط اللتين تصدران فى لندن. وتعود الاستراتيجية الإعلامية السعودية إلى السبعينيات، وبفضل البتر ودولار

كانت تستثمر فى الصحافة لمواجهة الرعاية الناصرية والتى تثبت عبر صوت العرب فى القاهرة. جريدة الشرق الأوسط تم إنشاؤها العام ١٩٧٨، وأسسها شقيقان سعوديان هشام ومحمد على حافظ بالاشتراك مع كامل أدهم وتركي الفيصل، والذي كان وعلي مدى طويل المسئول عن جهاز المخابرات السعودي. وفى الأصل كانت جريدة الحياة هى جريدة لبنانية أنشأها كامل مروه فى العام ١٩٤٦ والذي كان قد اغتيل فى العام ١٩٦٦. وعاش الاسم بعد موت صاحب الجريدة، ولكن كان عليها الإغلاق أثناء الحرب الأهلية اللبنانية. ابن كمال جميل مروه أعاد نشر الجريدة فى نهاية الثمانينيات بفضل المساعدة التي تلقاها من الأمير السعودي خالد بن سلطان، ابن وزير الدفاع والذي أصبح صاحبها فيما بعد. هاتان الصحيفتان يقرأن فى الغالب من الطبقات العربية المتعلقة والمميزة اقتصاديًا أو ماديًا. بالنظر إلى نسبة الأمية (أكثر من ٥٠٪ فى المغرب)، فإن قراءة الشعوب العربية للصحف تعد محدودة وفقًا للإحصائيات الدولية فإن هناك ٥٣ صحيفة تصدر يوميًا لكل ١٠٠٠ فرد فى العالم العربي، فى مقابل ٢٥٨ صحيفة فى البلاد المتقدمة والصحف الخاصة أو المستقلة تجد صعوبة فى الحياة، التشريعات والرقابة تحد من الحريات. فكونك صحفيًا فى بلد عربي يعرضك للمخاطر : إن حق الحصول على المعلومات ونشرها لم يتم ذكرها رسميًا فى قوانين البلاد العربية بخلاف خمس دول (مصر – الجزائر– الأردن – السودان – اليمن) بالرغم من أن البلاد العربية لها تاريخ قديم فى الحوار والمناقشة عبر الصحف. فى مصر أول قانون ينظم النشر صدر فى العام ١٨٨١، فى الوقت الذي كانت فيه فرنسا تحت الجمهورية الثالثة ولها تشريعات حرة. والصحيفة الأكثر انتشارًا هي جريدة الأهرام التي يعود تاريخها إلى هذه الفترة وتطبع اليوم أكثر من مليون نسخة يوميًا .

قبل ثورة الضباط فى العام ١٩٥٢م، كانت الصحف متفاعلة ومتعددة. تحت حكم عبدا لناصر انطفأت شيئًا فشيئًا وبالتحديد بعد تأميم الصحف .

كان هناك عضو شرف أمنى فى مجالس التحرير للصحف إلى أن ألغاها أنور السادات. اليوم يصرح للصحف الخاصة ولكن الحكومة تحتفظ باحتكار الطبع والتوزيع. فى الحقيقة فإن قوانين الطوارئ السارية منذ اغتيال السادات، والتي يتم تمديديها كل فترة، تعتبر سيفًا مسلطًا على رقاب رؤساء التحرير فى الصحف الخاصة والعامة. والقانون الجديد حول الصحافة والنشر، والذي تم تعديله فى العام ١٩٩٦، تمنع نقد رئيس الجمهورية والشخصيات الرسمية "أن الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها جورج بوش والتي تضم إليها مصر تشجع الانحرافات الأمنية ضد الصحافة، وهى انحرافات واضحة خلال السنوات الأخيرة الحديث عن صحة الرئيس يعد أمرًا محرمًا. فى ٢٠٠٧م و ٢٠٠٨م تم عرض العديد من الصحفيين أمام المحاكم لأنهم تجرؤوا وتحدثوا فى الموضوع. السلطة فى مصر تستخدم البند ١٨٨ من قانون العقوبات، والذي يعاقب بالسجن لمدة عام كحد أقصى وغرامة "لكل من ينشر وبنية سيئة أخبارًا خاطئة أو إشاعات قد تؤدى إلى اضطراب للأمن العام .

في المغرب، السلطة أيضا تنتقد الصحافة، وليس هناك أي مجال للمس بشخصية الملك محمد السادس وقد عاش هذه التجربة أحمد بن شامي، مدير مجلة "تل كل ونيشان". حين أصدر مقالة ساخرة تمس بشخصية الملك والتي أدت إلى محاكمته، وفي المملكة يتم الحكم على الصحفيين بأحكام مبالغ فيها عندما يخص الأمر المساس بالملك، والوطن وسلامة الأراضي وأيضا الله والإسلام. وبالرغم من وجود الصحافة تحت الضغط، الرأي العام العربي أصبح يهتم بالسياسه ويتابع الأخبار عن طريق قناة الجزيرة وحتى عن طريق الإنترنت وهى الوسيلة الوحيدة للبقاء على أخبار العالم من غزة إلى بغداد تفتح محلات للإنترنت فى العراق فى عهد صدام حسين لم يكن هناك من يستخدم الإنترنت غير الجامعيين والعسكريين وهى الفئات المميزة فى المجتمع. وكان هناك فى القصر سلمان عبد المجيد، أحد المترجمين الخاصين لصدام حسين، كان يتابع مقالات الصحف عبر شبكة

الإنترنت. وبعد سقوط النظام، فتحت الكثير من مقاهي الإنترنت فى بغداد لتعويض التخلف المتراكم عبر السنين. ونفس الظاهرة توجد أيضًا فى سوريا، وقد حاول النظام التحكم فى شبكة الإنترنت، هناك مواقع كثيرة تقع تحت الرقابة، وأخرى تم غلقها مثل تلك التي كان يديرها أيمن عبد النور من المعارضين المعتدلين، ولكن المتعاملين مع شبكة الإنترنت يتخيلون حلولاً ويتمكنون دائما من الخروج من تحت المراقبة .

في فلسطين / حق التجول، والحد من الحركة والعنف كلها تشكل الحياة اليومية للشعب، والإنترنت هي وسيلة تسمح بالاتصال بالعالم الخارجي، وسيلة تستخدم أيضًا فى التعليم (تم وضع نظام الدراسة عن بعد بين عدة جامعات فلسطين ومعاهد أوروبية)، وفي الدفاع عن الحقوق فى السعودية، المرأة هي أول من استفاد بثورة المعلومات، فهي غالبًا ما تنتظر بالمنزل، بعض منهن يستخدمن الإنترنت للمراهنة فى البورصة أو لإنشاء شركات! بفضل الإنترنت تحتل المرأة أماكن عامة لا يمكنها الوصول إليها من قراءة المطبوعات من الكتب أو الصحف فقط. ظاهرة " البلوج " بدأت تنتشر فى الخليج، فهي وسيلة عند الشباب للتعبير والمطالبة بالحقوق السياسية والحرية المدنية وأيضًا التعبير عن الحرمان المتتالي بسبب القيود الاجتماعية والإسلامية. ويقدر المستخدمون للبلوج فى المنطقة بالآلاف، منهم على الأقل ٣٠٠ فى المملكة السعودية. عند الصراع فى صيف ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل، الكثير من اللبنانين أطلقوا سراح غضبهم وعبروا عن معاناتهم من فظاعة القصف وعلي مدى الشهر الذي استغرقته الحرب كان محيط البلوج منفذًا للتعبير عن المشاعر .

هناك أيضًا قصة (سلام باكس)، هذا العراقي الذي أقام جريدة حول حرب العراق فى ٢٠٠٣م يمثل رغبة الشباب العربي فى المشاركة فى حياة العالم وعدم الانتظار بعيدًا عن الأحداث. ولكن عصا النظام دائمًا تكون قريبة. فمن الممكن أن يواجه المتاعب كل من يمارس البلوج. طالب من الإسكندرية، عبد الكريم

سليمان تم القبض عليه ومحاكمته بالسجن أربع سنوات! للمرة الأولى فى مصر. جريمته "نشر إشاعات تهدد الأمن العام، إهانة لشخص رئيس الجمهورية، الدعوة لقلب نظام الحكم، الدعوة لكراهية الدين الإسلامي، نشر أفكار تسئ لمصر >>. فى حين أن صحيفته على الإنترنت تثير التساؤلات عن وضع المرأة فى الإسلام، والاعتداء على الأقباط، والمطالبة بحرية أكثر وبالرغم من التقدم الذي حدث، لايزال هناك تخلف واضح مع تقنية المعلومات. معدل من يحصلون على الإنترنت فى العالم العربي هو الأكثر انخفاضًا فى العالم ١,٦٪ من مجموع السكان الكلى، وعلى نفس المستوى هناك ١٨ حاسبًا آليًا لكل ١٠٠٠ فرد فى مقابل متوسط عالمي يعادل ٧٨.

هناك مؤشر آخر أكثر درامية على التخلف العربي فى المجال الثقافي : إنتاج الكتب، فالعرب يمثلون ٥٪ من تعداد السكان فى العالم ولكنهم لا ينتجون إلا ١٪ من الكتب، وجزء كبير منها سخر للديانة، وهذا ما يمكن لأي زائر أن يراه فى معرض الكتاب الدولي فى القاهرة وهو الأكبر فى العالم العربي. هذا التخلف الثقافي يلاحظ أيضًا فى الترجمات، والتي لها الأهمية القصوى فى نقل المعرفة، فالترجمات فى العالم العربي أكثر ندرة من أي ترجمات فى أي منطقة فى العالم مقارنة بمعدل مستوى الأمية. وفقًا لبعض الدراسات، لقد تم ترجمة عشرة آلاف كتاب إلى اللغة العربية خلال القرن العشرين وهو ما يعادل الكتب المترجمة إلى اللغة الأسبانية كل عام .

بالنسبة للشباب والذي يمثل أكثر من نصف العالم العربي، ليس أمامه خيارات كثيرة للحياة مشكله الزواج وعدم وجود الإمكانيات المادية، فإن تراجع سن الزواج لا يتوقف .

وعندما أدرك الإسلاميون ذلك بدعوا فى تنظيم الزواج الجماعي مثل ما يحدث فى الأردن وغزة، هذا الزواج الذي يسمح للزوجين بإقامة أسرة. الحصول على وظيفة هي الأخرى مشكلة معقدة " الواسطة " تعد رياضة وطنية! فى البلاد

العربية، ومن ليس له "واسطة" يظل على جانب فى آخر السلم الجماعي، دون إمكانية الصعود لا يوجد حشد اجتماعي أو قليل جدًا إن وجد النتيجة الكثير من الشباب يبحث عن الهجرة، إما إلى الخليج العربي حيث الطفـــرة الاقتصاديـــة أو الهجرة إلى الغرب. واتسعت بذلك الهوة بين الأغنياء والفقراء. فنرى فى المدن العربية، من الرباط إلى القاهرة ومن عمان لبيروت، الثراء الفاحش بجانب الفقر والبؤس الشديد. إن التميز الاجتماعي يعد قنبلة موقوتة. بين الفيلات الميسرة فى عمان الغربية والفقر فى عمان الشرقية، هناك عالمان يواجه أحدهما الآخر دون أن يتقابلوا أبدًا فى القاهرة، هذه الظاهرة تأخذ شكل الواحات للأثرياء على الشكل الأمريكي للقرى المحاطة بالأسوار ومكاتب للأمن وحراس تحرس فيلات بعدة ملايين من الدولارات. كما هو ممكن الأثرياء من الطبقات الشعبية. هناك فى القاهرة يسكن منذ زمن طويل الفقراء فى المقابر، أو يعيشون فوق تلال من المخلفات التي يقوم بفرزها هؤلاء الفقراء على تلال جبل المقطم " كان دائما هناك فروق اجتماعية ولكنها تتسع يومًا بعد يوم وهو ما يميز العلاقات الاجتماعية فى المجتمع المصري" هذا ما أشارت إليه الكاتبة المصرية الأمريكية سامية سراج الدين. فى مدينة كازابلانكا المغربية ،يعيش أكثر من نصف مليون مواطن من بين مجموع السكان الذي يبلغ خمسة ملايين، فى ٤٥٠ مدينة عشوائية رغم النمو الاقتصادى السريع هذه التجمعات الهائلة من الفقر تظل جروحًا غائرة. العديد من الانتحاريين فى انفجارات ٢٠٠٣ و ٢٠٠٧ جاءوا من تلك المدن العشوائية فى سيدي مؤمن، فى هذه الأماكن القذرة حيث تمر مياه الصرف غير المغطاة، تكون فرص الخروج منه شبه معدومة " عندما يعرف صاحب العمل أننا من سيدي مؤمن يتم إقصاؤنا عن العمل مباشرة " تلك هي شكوى شاب من هذا الحي المنبوذ. هذا الإقصاء نجده فى كل العالم العربي. لقد علق أحد المسئولين عن المنظمات غير الحكومية للدفاع عن حقوق الإنسان على هذه الظاهرة ذات مرة بالقول : "الاختيار يتلخص عادة فى المخدرات أو الإسلام! فأنا أسمع دائمًا نفس الحديث : لماذا ندرس فى المدارس والجامعات حتى نصل إلى البطالة إننا بدون مستقبل" فى الكثير من

البلاد العربية، يتزايد بشكل محسوس استهلاك المخدرات، مصر التي تعد الممر الجغرافي بين إفريقيا وأسيا وأوروبا، أصبحت على مر السنين مركزًا للتهريب الداخلي والدولي للمخدرات .

إن مصادرة المخدرات وبخاصة الحشيش في ارتفاع متزايد في شبه جزيرة سيناء التي تعد أرضا تقليدية للتهريب

في العراق و تحت حكم صدام حسين كان التهريب هامشيًا والمهربون يتم معاقبتهم بشدة فقد كان صدام حسين يخشى من أن تذهب أموال المخدرات إلى معارضيه ليشتروا السلاح، وكان القبض على المهربين وبخاصة على الحدود الإيرانية يعني تنفيذ حكم الإعدام فيهم في نفس المكان. ولكن منذ سقوط نظام صدام حسين، عاد ظهور الاتجار بالمخدرات التي تأتي من إيران، جزء من استيراد المخدرات يأتي عن طريق شبكات إجرامية، والجزء الثاني يأتي عن طريق الحجاج الإيرانيين والذين يأتون بمئات الآلاف للحج الكبير في كربلاء والنجف .

إن المجتمعات العربية خضعت لتغيرات كبيرة وعميقة وأكثرها وضوحًا هو ظهور قناة الجزيرة التي تعد حقيقية للوجه الإعلامي. فهناك من هم مغرمون بالغرب ومنجذبون للإسلاميين، فهم غالبًا ما يكونون مثلاً يحتذى به ولكن أيضًا نموذجًا للحكم الذي يضع من ضمن أولوياته محاربة الرشوة. في تقرير عن التطور البشرى في العالم العربي يعود لعام ٢٠٠٢، هناك توقع لثلاث تغيرات ممكنة في العالم العربي : أن يظل على حاله، أن يزدهر، أو يصبح بين بين!. إن سيناريو الاحتفاظ على الوضع كما هو عليه يعد سيناريو كارثيا، فهذا لن يؤدى إلا إلى تدهور الأوضاع. ويلاحظ التقرير أن " التاريخ المعاصر يظهر أن الاستمرار على الوضع الحالي يمكن أن يؤدى إلى انتفاضة مدمرة والتي من الممكن أن تؤدى إلى تغيير النظام في البلاد العربية " ولكن الثمن سيكون العنف المسلح والخسارة في الأرواح، وهذا السيناريو من الممكن أن يساعد الإسلاميين ويصنع فجوة دائمة مع بقية العالم بصورة عامة ومع الغرب بصورة خاصة .

سيناريو الازدهار ؟ إنه الاختيار المتفائل، ووفقًا للتقرير نفسه " مسار تفاوضي سلمى لإعادة توزيع السلطة فى البلاد العربية يعد أفضل وسيلة ممكنة كفترة انتقالية نحو حكم جيد " وينتهي التقرير بالقول " إنه النظام الوحيد الذي يستطيع معالجة الظلم ويضمن استقرارًا سياسيًا وترابطًا اجتماعيًا ".

الحل الوسط ؟ من الممكن أن يسمح بإصلاحات معتدلة وتدريجية، ولكن مع خطورة أن تتخطاها الأحداث على الأرض .

السلطات تحد من الحرية لأنها هي أيضًا تواجه الإرهاب، هذا ما خرج به وزراء الداخلية العرب فى العام ٢٠٠٣. الأولوية للاستقرار والأمن، ويساندهم فى ذلك الولايات المتحدة وأوروبا، وبذلك فلم يعد هناك أي تردد فى إغلاق الحياة العامه باسم الحرب على الإرهاب، ويعبر عن هذه الضغوط فى الأردن على سبيل المثال عبر التعيينات لمناصب فى الجامعات والإدارة، حيث يجب الاعتماد على رجال موثوق بهم فالمخابرات العامة، وجهاز الاستخبارات حاضرة بقوة داخل المجتمع الأردني، وكل التعيينات تمر عبر هذا الجهاز الذي يوجد فى كل مكان وحتى فى الصحافه. بعض النظم العربية مثل سوريا تحاول تقوية شرعيتها بظهورها بمظهر أقل الشرين أو على أنها خط الدفاع ضد الخطر من الأصوليين الإسلاميين. إن حزب البعث فى دمشق يعلن على الملأ : " إن تحليلاً جاء على لسان عمر أميرلاى، كاتب سيناريو معارض للنظام. والرسالة التى يرسلها السوريون إلى الأمريكان هي ما يلي : " إذا هددتم نظامنا، نحن أو الفوضى

" إنها الورقة التي يلعبها النظام السوري اليوم .

فيجب أن تستعدوا لمواجهة آفة أكبر بكثير وهى خطر الإسلاميين ". إن الدليل التي تشير إليه السلطة فى سوريا هو ما يحدث فى العراق من عنف بين القوميات، ويعلق أحد الباحثين السوريين بأن : " الوضع فى المنطقة غير ملائم للتغيرات مع ما يحدث فى فلسطين، والعراق، ولبنان الحركة الديمقراطية و التحررية تتراجع ".

أوضاع مماثلة فى مصر حيث تقوم السلطة بقمع الإخوان المسلمين بطريقة علانية، ولكن أيضا الديمقراطيين والمدافعين عن حقوق الإنسان، مع مباركة البلاد الغربية .

ماذا سيفعل الغرب فى السنوات القادمة ؟ أو بطرح آخر للسؤال : هل ستكون مستعدة، كل من الولايات المتحدة وبلدان الاتحاد الأوروبي بالاعتراف بالإسلاميين أكانوا متطرفين أو لا؟. لقد دفعت الجزائر عشر سنوات دامية بسياستها فى سحق الحركات الإسلامية .

منذ هجمة ١١ من سبتمبر ٢٠٠١م، أصبح العالم يخاف الإسلاميين، ولكن ألن يؤدى هذا النوع من الخلط إلى خلق أوضاع المواجهة ؟ حتى الآن فقد فضلت البلاد الغربية مساندة النظم المرتشية والقمعية فى المشرق والمغرب فهل يستمر على هذا النهج ؟ إن الرهان على ذلك فيه الكثير من المخاطر إن محاولة اقتلاع حركة لها جذور مثل حماس فى فلسطين ـ أو الإخوان المسلمين فى مصر أو حزب الله فى لبنان تعد فى الحقيقة خطرًا كبيرًا ولن تؤدى إلا إلى توترات أعمق فمن المؤكد أننا لا نعنى سلوكا ملائكيا أو تنازلات فى مواجهة هذه المنظمات، وإنما نعنى الواقعية المؤثرة، فإذا أردنا أو لم نرد فهم جزء من الصورة ويمثلون قطاعات عريضة من مجتمعات الشرق الأوسط وأن من المناسب اليوم التعامل مع هذه الحركات، أو بالتحديد مع الجماعات التي لم تستخدم العنف، مع الحرص والالتزام بمبادئ الديمقراطية العالمية، بلا عقد وبلا أولويات .

الفصل العاشر

الطائفة الشيعية ... إيران

لقد دق الملك عبد الله ناقوس الخطر فى ديسمبر ٢٠٠٤م عندما صرح : إن الشرق الأوسط مهدد بظهور (الهلال الشيعي) قوس الدائرة الذى تديره طهران والذي يعبر من الخليج إلى العراق وسوريا ولبنان، هذا الوصف أثار صدمة، ضخمها الرئيس المصري حسنى مبارك فى العام ٢٠٠٦ فى مقابلة له مع قناة العربية بقوله " إن الشيعة العرب ولاؤهم كان دائمًا لإيران وليس للدول التي يعيشون فيها ". بمعنى آخر (خط خامس) لحساب إيران لإضعاف البلاد العربية السنية. هل هذه حقيقة ؟ هل هذا تخيل ؟ أو ادعاءات ؟ حقيقة كانت أم خطأ فإن الدول العربية تنظر إلى مواطنيها من الشيعة على أنهم يشكلون خطرًا ما هذا النقد جاء من الرياض والقاهرة وعمان ضد حزب الله فى بداية الحرب مع إسرائيل فى صيف ٢٠٠٦م وهذا مؤشر على نوع من التوتر أمام صحوة العالم الشيعي وحيويته. بالرغم من أن هذه الصحوة لم تبدأ اليوم. منذ الثورة الإسلامية الإيرانية فى العام ١٩٧٩م، يتصارع السنة والشيعة بطريقة علنية على النفوذ فى الشرق الأوسط. حرب العراق مع إيران (١٩٨٠م – ١٩٨٨م) عرقلت هذه الحيوية الشيعية. فى هذا الوقت كانت العراق تحت نظام صدام حسين ويسانده الغرب وبلاد الخليج والتي كانت تحد من النشاط الشيعي الذي كان يهدف إلى تصدير الثورة المنتصرة فى طهران. اليوم الشكل الجديد للمنطقة قد ولد من الغزو الأمريكي البريطاني للعراق. فى مارس ٢٠٠٣، الذي أيقظ صراعات قديمة بين الشيعة والسنة والتي تعود إلى مئات السنين، وبخاصة الآن حيث تسعى إيران لامتلاك السلاح النووي. إن السنة والشيعة هم الأخوة الأعداء فى الإسلام، فرعان لا يمكن

أن يتم التوافق بينهما. هناك فعلاً صراع على الخلافة، ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك حين توفى الرسول فى عام ٦٣٢، تصارع المسلمون الأوائل على من يخلفه، الخلفاء الأوائل كانوا من أتباع الرسول، وكان معظم المؤمنين يرون أن الخلافة تذهب لأحد مقربيه وفقا لتقاليد المنطقة : الأكثر كبرياء، الأكثر شجاعة، والأكثر قدرة على إدارة القبيلة، ولكن كان هناك أقلية معارضة مفضلون مساندة على ابن عم النبي والذي يعد " من أهل البيت "ولكن قتل على فى عام ٦٦١، واغتصب معاوية الخلافة هناك على وقع الانقلاب وأقام خلافته فى دمشق لتبدأ الخلافة المعاوية. اختلاف على طبيعة الحكم فى الإسلام: على ثوري ضد معاوية رجل الدولة والذي خرق القواعد المتعارف عليها فى ذلك الوقت وأقام الخلافة العائلية. هذا الخلاف الأصلي تولد عنه شيعة على أو المؤمنون بعلي، والذين لم يقبلوا أبدا الخلافة التي فرضها معاوية. وقد حاول الحسين الابن الأكبر لعلى استعادة السلطة التي فقدها والده ولكنه لم ينجح فى ذلك حتى جاء العام ٩٨٠ حيث قام رجال الخليفة بمحاصرة الحسين مع ٧٢ من أتباعه، وقتلوهم. وبذلك فإن الوعي الجماعي الشيعي (الشهيد) هو قمة المقاومة والتضحية والمثل الأعلى. وهو مثل يحتذى به من قبل كل المؤمنين هذا الصراع على الخلافة ضاعف الفارق بين العقيدتين وعلي خلاف السنة، الطائفة الشيعية لا تعترف بالحديث النبوي، ولا السنة وبداية من عدم الاعتراف هذا، تعتبر السنة الفكر الشيعي كنوع من الانحراف والكفر. فى إطار الحرب الطائفية فى العراق، لا يتردد الأئمة فى المساجد السنية بوصف الشيعة بالمرتضيين هناك فرق آخر : فى الإسلام السني لا توجد مرجعيات دينية مثل ما توجد عند الشيعة، وفي الديانة المسيحية. الإمام فى الديانة السنية يقيم الصلاة، ولكن فى الديانة الشيعية الإمام هو مرشد وله سلطة واحترام من قبل المؤمنين الشيعة ولكن الفرق الأكثر أهمية من كل ذلك يظل فى " الاجتهاد " بمعنى المسار الفكري للذين يملكون المعرفة، دكاترة القانون، العلماء، والمتعلمين....الخ والذين وجهوا الأمة من خلال تفسيرهم للقرآن.

هذا الاجتهاد تم إيقافه عند الطائفة السنية منذ القرن الحادي عشر، ولكنه لم يتوقف عند الشيعة الذين يمثلون الآن الأكثرية فى إيران والعراق والبحرين ،ويمثلون أكبر طائفة فى لبنان، ويوجد الكثير منهم فى كل دول الخليج : الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، اليمن) ويوجد منهم فى أفغانستان حيث يمثلون ١٠٪ من مجمل تعداد السكان. ويمكن إضافة طوائف جانبية أخرى مثل العلويين فى سوريا، والألفيين فى تركيا، والدروز المتفرقين فى اتحاد الشرق الأوسط .

في المجموع الطائفة الشيعية تحتوى على ما يعادل ٢٠٠ مليون شيعي أي ما يعادل ١٥٪ من المسلمين وبالتالي فإن الشيعية هى واقع سياسي مركزي شامل أجواء ثقافية مختلفة : عربية تركية فارسية وهندية .

كانت الطائفة السنية والتي تمثل الأغلبية المسلمة تهمش وترفض الطائفة الشيعية على مدى التاريخ، على اعتبار أنهم اعترضوا على شرعية السلطات المسلمة منذ مقتل على، وكان زعماؤهم الدينيون يطالبون منذ قرون بعدم تدخل الدين فى السلطة، وهو الطريق الذي كان يتبعه آية الله على السستانى أعلى سلطة دينية فى العراق بالنسبة للشيعة .

ولكن فى العام١٩٧٩ آية الله الخميني تخلى عن هذا التقليد المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية قرر صهر السلطة الدينية والسياسية فى مفهوم " ولاية الفقيه" "في انتظار عودة الإمام الخفي" والذي سيأتي ليحقق العدالة ويكون على علماء الدين إرشاد وتنظيم حياة المؤمنين.

إنه تغيير تاريخي فوزهم فى إيران، جعل رجال الدين الشيعة يطالبون بالسلطة وممارستها.وتداخلت الديانة مع السياسة وأقيمت الجمهورية الإسلامية .

في العراق الشيعة هم أكثر المستفيدين من سقوط صدام حسين على يد الأمريكان، فهم يمثلون غالبية السكان وقد عانوا من قمع صدام حسين وبخاصة بعد حرب الخليج الأولي فى العام ١٩٩١، حيث تم اغتيال مرشديهم الدينيين أو نفيهم إلى الخارج .

منذ مارس. الشيعيون أخذوا ثأرهم بفضل صناديق الاقتراع، فقد أصبحوا يتحكمون فى البرلمان ويديرون الحكومة ويحتفظون بمناصب وزارية هامة مثل الداخلية والصحة .

أخذ الشيعيون إدارة مدينة النجف المقدسة حيث يوجد قبر علي. وهى مركز المرجعية الدينية والقيادة الشيعية العليا، حيث توجد أكثر من عشرين مؤسسة تعليمية دينية التي تستقبل آلافا من طلاب الدراسات الدينية الشيعية. فى ظل هذا الوضع الفوضوي فى العراق "ما بعد صدام حسين"، حيث يظل مجلس العلماء السلطة الوحيدة المعترف بها والتي يتم احترامها بين الشيعة. آراؤهم وتوجيهاتهم يتم احترامها حرفيًا من قبل المؤمنين الشيعة .

عقب سقوط بغداد أمرت المرجعية الدينية بمدينة النجف بأن يتم تغيير اسم مدينة صدام إلى مدينة الصدر نسبة أية الله الصدر والذي يقال إنه تم اغتياله على يد البعثيين، فى هذه المدينة الفقيرة، يتكدس مليون مواطن فى ظروف صحية سيئة الخدمات من ماء وكهرباء وصيانة الطرق وجمع القمامة شبه معدومة، ليس هناك صرف صحي، فقط حفرت قنوات لتصريف المياه المستخدمة من السكان، وتبلغ درجة الحرارة ما يقرب من ٥٠ درجة مئوية خلال فصل الصيف، ومعها تصبح الروائح حيوانية .

وبعد أن تم الاحتفال بوصول المدرعات الأمريكية، ثارت مدينة الصدر، تغيير النظام ونهاية صدام حسين لم يغير شيئًا من الأوضاع المزرية لسكانها. وأصبحت المدينة معقلاً لأتباع مقتضى الصدر، ابن شقيق آية الله الكبير محمد بكر الصدر والذي يعد أهم مرجع شيعي فى القرن العشرين الذي تم نفيه ثم اغتياله على يد أجهزة صدام حسين فى العام ١٩٨٠م.

لم يستطع الأمريكيون أن يكسبوا القلوب والأرواح: لقد فضلوا مواجهة جزء من الشيعة التي سعت لإحضارهم إلى السلطة.

في المواجهات الطائفية والتي تعصف بالعراق، وبعيدًا عن أن يمثلوا كتلة متجانسة، الطائفة الشيعية يمر بها العديد من الفوارق العرقية والسياسية والاجتماعية والقبائلية وهذه تعد نقطة ضعف لديهم. التعاون أو عدم التعاون مع الأمريكيين يمثل وجهًا للاختلاف.

وحتى إن مثلت الأقلية، فلا ينبغي أن ننسي أن هناك جزءًا من الشيعة من العلمانيين على المستوى السياسي، مقتضى الصدر يمثل الخط الشيعي العربي العراقي والذي يتغنى بالوطنية وله أتباع من الفقراء والشباب، وقد نجح هذا التيار فى معارضة آية الله سيستانى الذي يعد أعلى مرجع شيعي فى العراق، أثناء محاصرة النجف فى أغسطس ٢٠٠٤، ويقال أيضًا أن له يدًا فى اغتيال أية الله عبد المجيد الخوى عند عودته من منفاه فى لندن، لأنه موالى لشيعة إيران من الناحية اللاهوتية. ومقتضى الصدر يأخذ مرجعيته من أية الله الكبير كاظم الحسيني الحريري والمقيم فى مدينة قم الإيرانية المقدسة، ولكن فى السياسة يعتبر الشيخ حسن نصر الله، المرشد العام لحزب الله مثالاً يحتذى به وقد قامت بينهما علاقات وثيقة. وقد أرسل حزب الله اللبناني معدات وخبراء لإقامة إذاعته الناصرية، وخبراء عسكريين متخصصين فى حرب العصابات لتدريب ميلشياته التي تسمى بجيش المهدي .

أما الزعماء الشيعيون الآخرون، والذين يمثلون المحافظين والطبقة المتوسطة والتجار فهم موالون لإيران مثل عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية العراقية، والذي عاش فى المنفى لسنوات عديدة فى إيران، إبراهيم الجعفري رئيس حزب الدعوة إحدى أقدم الأحزاب السياسية فى العراق مع الحزب الشيوعي. عائلة آية الله سيستانى نفسها من أصل إيراني .

في هذه التنوعية الشيعية. كل يعمل لحسابه الخاص " ومن بين المراهنات للتحكم فى الطائفة الشيعية رهان المال" هذا ما همس به أحد المراقبين الموالين لحزب الله. كل قائد روحي له مدرسة فكرية وأتباع ونجاحه يعنى" الخمس " هذا

العطاء الديني المفروض على كل مؤمن والذي يفترض إعطاء خمس الدخل السنوي للإمام، كنز حقيقي يثير اللعاب والذي يوضح الحساسيات بين الشيعة. وقد استفادت إيران من هذا الإطار التنافسي وانعدام الأمن العام وقدمت عساكرها على رقعة الشطرنج وتقوم إيران على سبيل المثال بتحويل بناء مطار الإمام على فى النجف، وهو موقع استراتيجي لأنه يهدف لخدمة قلب البلاد الشيعية وربط إيران بالعالم الخارجي دون المرور ببغداد ويذكر أحد المحللين الإيرانيين أن "الأمريكيين يحتلون، والإيرانيون لهم النفوذ ". فى الواقع فإن نفوذ إيران فى جنوب العراق أصبح واضحًا جدًا. فنحن نشاهد صورًا آية الله الخميني على أعمدة الإضاءة فى كل مكان فى البصرة. قرب الحدود والتي لا تتعدى عشرين كيلو متر تسهل دخول الإيراني حيث يجدون مجتمعًا شيعيًا تمامًا، والتعاطف مع نظام طهران هو حقيقة وإن كانت مشاعر الشارع أكثر تعقيدًا .

البصرة هي المدينة التي تعرضت للقصف الإيراني على مدى ٨ سنوات فى الحرب بين إيران والعراق ومن المؤكد أن الشيعة العراقيين كانوا يجدون الملجأ فى إيران وبخاصة بعد قمع صدام حسين لانتفاضة الشيعة فى عام ١٩٩١، ولكن لم ينس أيضًا الشيعة العراقيون المعاملة السيئة التي تحملوها فى السجون الإيرانية، أن الصراع القديم بين الفرس والعرب مازال حيًا .

تحت وصاية المجلس الإسلامي الأعلى وحزب الدعوة، تم تحويل مدينة البصرة للنظام الإسلامي بعد أن كانت فى السبعينيات والثمانينيات "مدينة الخطيئة " حيث كان الخليجيون يأتون لقضاء سهراتهم بين النوادي الليلية وصالات القمار. أصبحت البصرة الآن مدينة جافة، شرب الخمر أو بيعه أصبح محرمًا. تم اغتيال كل من يبيع الخمر، ومن لم يتم اغتياله غادر المدينة وبخاصة المسيحيون الذي لجأوا إلى قرى كردستان. وبعد كل هذه السنوات من القمع والحرب، عادت الديانة لتصبح الملجأ بالنسبة للكثيرين من العراقيين، وتخضع المدينة لقانون الميليشيات الإسلامية ورجال العصابات المحليين، حيث ينتشر تهريب البنزين فى اتجاه إيران

التي تعانى عجزًا فى الوقود بسبب العجز فى التكرير بسبب الحصار الأمريكي. يتم اختلاس الزيت البترولي من العراق وينقل إلى إيران، وهو ما ينتج عنه سيوله نقدية كبيرة لصالح أمراء الحرب المحليين، هذا التهريب المربح والذي يقدر بعدة مليارات من الدولارات يسبب فى بعض الأحيان قتالاً عنيفا، تحاول القوات البريطانية المتمركزة فى البصرة، التدخل لوقف هذا القتال. إنه صراع بين الشيعة تحت بصر الجارة الفارسية. فقد أصبحت إيران تتدخل فى ملفات الشرق الأوسط بداية من موضوع لبنان الشائك .

هل يعتبر حزب الله مجرد أداة بث بسيطة لطهران ؟ الحقيقة هي أكثر تعقيدًا من ذلك، من المؤكد أن حزب الله هو حزب إسلامي ومرجعه الإيراني هو

"حراس الثورة " والذي يعتبر جوهر تكوينه، وقد بدأ ظهوره على الساحة اللبنانية فى الثمانينيات، ويعود ظهوره لحادثين كونا عنصر تلاحم : الثورة الإسلامية الإيرانية فى العام ١٩٧٩م والاجتياح الإسرائيلي للبنان فى العام ١٩٨٢م. قام الإيرانيون بتمويل وتدريب وتسليح حزب الله لمقاتلة إسرائيل، على اعتبارها الخط الأمامي للغرب فى الشرق الأوسط، وفى نفس الوقت بدأت الحركة فى تأصلها فى المجتمع الشيعي، المهمش بصورة عامة مقارنة بالمجتمعات اللبنانية الأخرى من السنة والمسيحيين والدروز. لقد تم إزاحتهم إلى أطراف الدولة، : فى الجنوب على الحدود مع إسرائيل، فى سهل البقاع فى الشرق والضاحية الجنوبية لبيروت. سياسيًا فى لبنان كانت الطائفة الشيعية دائمًا مستبعدة، وتحت الوصايا العثمانية لم تكن لهم أية حقوق، حتى العام ١٩٢٦ تاريخ تأسيس أول دستور لبناني والذي يتعرف بهم كطائفة عاد الكثير من العلماء الشيعة اللبنانيين الذين أتموا دراستهم الدينية فى النجف العراقية أو مدينة قم الإيرانية، وبدءوا فى تفعيل هذا الشعب الفقير فى لبنان. وكان من أهم الشخصيات البارزة بين هؤلاء العلماء الإمام موسى الصدر الذي أنشأ حركة المحرومين لإخراج الشيعة من تخلفهم الاقتصادي والاجتماعي المزمن. وكان هذا أول بناء سياسي اجتماعي قوى منذ سقوط

الإمبراطورية العثمانية، وهى الحبة الأولى التي أنبتت حزب الله. ويقول عباس بيدون صحفي وكاتب فى جريدة السفير " إن حزب الله اليوم هو حزب طائفي ويمثل الطائفة الشيعية التي كانت مهملة على مدى طويل. فهذه الطائفة تلتف حول حزب الله الذي يعطيها الهوية ويعطيها القوة والآن قد حانت ساعة الثأر"!

بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، ضاعفت الدولة اللبنانية من وعودها لإعادة الاستثمار، بدون أي تحقيق لهذه الوعود، الشئ الذي أدى إلى مشاعر الحرمان لدى سكان هذه المنطقة. " ماذا تفعل الدولة ؟ " كان هذا هو المحرك للقرويين فى هذه المنطقة على الحدود مع إسرائيل بعد حرب صيف ٢٠٠٦م، أعطى حزب الله ما يعادل ١٠ آلاف دولار لأصحاب المنازل التي تحطمت منازلهم بفعل الحرب. فى هذه المساحة التي تركتها الدولة جرداء ؛ عرف حزب الله أن يبنى شبكة من التضامن الاجتماعي، ويقيم مؤسسات اجتماعية، يساعد أسر الشهداء الذين سقطوا فى المعركة، فى الأحياء يدير المستشفيات والمدارس والمساجد، ويتحمل الحزب تكاليف الانتقال للمسافرين الذاهبين لتأدية فريضة الحج، ويعطى كوبونات البنزين ومنحًا للطلبة .

علي المستوى العسكري، نجح حزب الله فى بناء بنية تحتية للمواجهة فى الجنوب بمساعدة إيران. ويعتمد النموذج الجيفارى أو الفيتنامي بناء خلايا من المقاتلين، وجماعات تعيش وسط السكان، ولكنها تقوم بعمليات هجوم على العدو والاختفاء بعد ذلك .

لقد قامت الدول الغربية بدارسة حرب صيف ٢٠٠٦م تحت المجهر، ضباط الجيش الفرنسي فوجئوا بتنظيم المقاتلين الشيعة "لقد خطط حزب الله عملياته واضعًا فى الحسبان إمكانية انقطاع الاتصال بالقيادة، كل مجموعة كان لديها خط سير تعرف ما عليها أن تفعله. الإيرانيون أرسلوا فقط مستشارين ولم يرسلوا أفرادًا من حراس الثورة الإيرانية " يحصل حزب الله على مساعدات من إيران تقدر بحوالي ٥٠ مليون دولار شهريًا " وأكثر بكثير بعد حرب صيف ٢٠٠٦ " هذا ما صرح به

أحد الوزراء اللبنانيين. ويأتيه المال أيضًا من "الخمس" النسبة الشرعية المفروضة على الطائفة الشيعية، وكذلك هناك التبرعات التي يرسلها المهاجرون الشيعة فى إفريقيا.

إن عمل القيادة فى حزب الله يظل لغزًا غامضًا. على رأس الهرم يوجد سكرتيرها العام الشيخ حسن نصر الله والذي يعد بطلاً حقيقيًا فى الشارع العربي، إنه أول من لبنن الحزب معطيًا إياه الخط " الإسلامي الوطني "، ونجح فى التقريب بين الشيعة الإيرانيين والشيعة العرب، وهو معارض شديد للقاعدة والذي يعتبر أفكارها تكفيرية وفوضوية ويقال إنه فى أحد الاجتماعات قال " إن من خلفي أسوأ منى بكثير "! مشيرًا إلى القاعدة. لقد ولد نصر الله فى العام ١٩٦٠ فى برج العمود فى بيروت، وهو ابن بائع للفواكه والخضروات لديه تسعة أبناء. وعندما اندلعت الحرب الأهلية فى العام ١٩٧٥، انتقل حسن الصغير مع عائلته من تنير إلى جنوب لبنان. وبعدأن التحق بحركة أمل، سافر للدراسة اللاهوتية فى النجف فى العراق. وفى سن السادسة عشرة قابل الرجل الذي غير مجرى حياته السيد عباس الموساوى والذي أصبح كما يقول حسن نصر الله بنفسه "صديقًا، وأخًا، ومعلمًا، ورفيقًا " فى العام ١٩٧٨ أطلق صدام حسين حمله ضد الشيوعيين فى العراق والأكراد والأشراف من الشيعة، وعاد نصر الله إلى لبنان والتي كانت تحت أول احتلال إسرائيلي. ثم انفصل حسن نصرا لله عن حركة أمل وأنشأ مع معلمه عباس موساوى حزب الله ،علي أساس إيراني وأيدلوجية خمينية. والإيرانيون لا يثقون بنبيه برى زعيم حركة أمل والذي يقيم علاقات مع بشير الجميل الزعيم المسيحي وحليف إسرائيل.

إيران تبحث عن حزب يمكن توجيهه عن بعد وتكون قيادته فى أيدي رجال الدين، حركة أكثر تطرفًا فى مواجهة إسرائيل. وقد قتل موساوى بصاروخ إسرائيلي وهذا الذي أدى إلى قيادة حسن نصر الله لحزب الله فى العام ١٩٩٢م. وقد كان لحسن نصر الله رؤية استراتيجية وشخصية قوية، فهو من نظم المقاومة

ضد الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وبدلاً من أن يقوم بعمليات هجومية فى المواجهة، وهى دائمًا تكون مرتفعة التكاليف فى الأرواح، أصبح يطلق عمليات مركزة ومحدودة ويتم تصديرها بغرض الدعاية، وفي إحدى هذه الغارات فى العام ١٩٩٧ استشهد نجله الأكبر ناجى، هذا ما أعطاه شرعية واحترام فى الطبقة السياسية اللبنانية. وبفضل المساعدة الإيرانية، مقاتلو حزب الله أصبحوا خبراء فى زرع الألغام على الطريق والتحكم فيها عن بعد، وهذا ما أدى إلى خسائر فادحة فى جيش لبنان الجنوبي، الميليشية اللبنانية المكملة للجيش الإسرائيلي، وحتى الجيش الإسرائيلي نفسه كان يتكبد الخسائر وقد أرسل حزب الله بعضًا من خبرائه إلى العراق بعد سقوط صدام حسين فى عام ٢٠٠٣م لتدريب المليشيات الشيعية على استخدام المتفجرات. وبالطبع فإن حسن نصر الله يتمتع بحماية وإجراءات أمنية مشددة كما فى حالة ياسر عرفات الذي كانت تتعقبه أجهزة المخابرات الإسرائيلية الموساد، أصبح نصر الله الشخص المطلوب قتله من قبل الإسرائيليين وهو ليس الوحيد. واتخاذ القرارات فى حزب الله يتم عن طريق مجلس الشورى وهو مجلسه الاستشاري، وهناك أيضًا قيادة عسكرية سرية برئاسة عماد مغنية حتى ١٢ فبراير ٢٠٠٨م والذي تم اغتياله فى ذلك اليوم فى دمشق .

هناك أيضًا ثلاثة اتجاهات فى داخل حزب الله تتعايش : الموالون لإيران، الموالون لسوريا والموالون للخط اللبناني، هذا الاختلاط يؤدى إلى صعوبة قراءة اتجاهات حزب الله، فعليه أن يتعامل مع العديد من المواضيع والتي تكون متناقضة فى بعض الأحيان. إن هدف حزب الله ليس إقامة دولة إسلامية، ولكن الحصول على مكانة بين القوى الطائفية اللبنانية، هذه الشراكة تمثل عاملاً من عوامل التوتر مع الدروز والسنة على الأرض. ويقول أحد الصحفيين الموالين لحزب الله ." إن الشيعة اللبنانيين يشترون الأراضي والطرق لربط المناطق الشيعية يبعضها وتحديدا لمحاولة ربط الجنوب بسهل البقاع، طريق يحاصر مناطق الدروز، والهدف أيضًا هو خلق ممر بين منطقة هرمل فى الشمال بمنطقة بيروت. وبذلك تصبح بلاد الشيعة على بعد ثلاثة أرباع الساعة من طرابلس ــ "أكبر المناطق السنية فى الشمال" .

وتقول الخبيرة فى الطب النفسي أنيسة الأمين مرسى " إن سلاح حزب الله هو للدفاع عن المصالح الشيعية فالشيعة يخشون جديًا إبعادهم عن النظام. السلاح هو للقول لبقية اللبنانيين نحن هنا ونشكل جزءًا من هذا الوطن، إن الرهان هو مكان الشيعة بجانب القوى الطائفية الأخرى فى لبنان، ولذلك فكلمة " المقاومة"تعد أساسية فى مفهوم حزب الله، ليس فقط مقاومة إسرائيل، ولكن المقاومة ضد كل نوع من التهميش والإبعاد وهو الرفض للتقليل من شأن الشيعيين " على كل حال فإن حرب ٢٠٠٦ ومن بعدها أحداث أبريل – مايو ٢٠٠٨، أظهرت قوة حزب الله العسكرية والتنظيمية .

ماذا سيفعل حزب الله بهذا النجاح العسكري ؟ هل سيختارأن يتحول إلى حزب كالأحزاب الأخرى ويلقى بسلاحه ؟ كما فعلت كل المليشيات القديمة ؟ هل سيستمر على مواقفه ؟

إن لحزب الله مصالح لبنانية لا يفكر فى التخلي عنها، ولكن اتجاهاته الاستراتيجية المستقبلية تعتمد كثيرًا على إيران التي تتطلع أن تصبح قوة نووية. ويقول جان كلود كوسران، أحد الدبلوماسيين الخبراء فى شئون المنطقة : "إن إيران، الأب الروحي لحزب الله لا يخفى دوره فى لبنان، وعندما التقى برسميين إيرانيين فى طهران، فهم يتدخلون أحيانا فى الحديث قائلين " أنتم الفرنسيون حماة المسيحيين المارونيين، ويجب عليكم أن تفهموا أننا حماة الشيعة ولذلك نعتقد أن بإمكاننا التفاهم معكم " .

وأعتقد أن على الإيرانيين تقديم الشكر لجورج بوش، فبفضله قام الجيش الأمريكي بالقضاء على أعدائهم الأكثر قسوة : فى الشرق، فى أفغانستان كان هناك نظام طالبان، فى الغرب العراق ونظام صدام حسين، وتورط الأمريكيين وحلفائهم فى هذين البلدين أمد إيران بمناسبة تاريخية لتفرض نفسها على أنها قوة مسيطرة فى الشرق الأوسط، ولا توجد اليوم أي دولة عربية يمكن أن تعترض على زعامة إيران، وتحتاج إيران إلى اعتراف نهائي بتفوقها من خلال السلاح النووي، أو على

الأقل القدرة على إنتاجه. والهدف الأول هو حماية الأراضي الإيرانية وحماية النظام. ويقول محمد رضا جيلانى، الأستاذ فى الهيئة الجامعية العليا للدراسات الدولية فى جينيف : " إن رؤية طهران هي أن الأمريكيين دخلوا العراق بحجة أن لديها قنبلة ذرية، ولكن العراق لم تكن تمتلكها، وإذا كانت العراق تمتلك هذه القنبلة الذرية لما خاطر الأمريكيين بمهاجمتها ". وبالنسبة للإيرانيين إن حالة كوريا الشمالية هي خير دليل على ذلك .

إن الوضع الجغرافي الاستراتيجي المعقد يتطور مع الوقت : كان لإيران حدود مشتركة مع خمس دول فى العام ١٩١٩، ومع ١٥ دولة منذ العام ١٩٩١، والآن أصبح لها حدود مع ١٧ دولة.

" إذا أخذنا فى حساباتنا الوجود الأمريكي والبريطاني فى العراق اليوم ". وهذا ما يصرح به متهكمًا أحد الدبلوماسيين الإيرانيين أن الجغرافيا الاستراتيجية الإيرانية كان قد تم وضعها على شكل سلسلة من الدوائر المتشابكة: دائرة إيرانية، دائرة شيعية، دائرة عربية مسلمة. العديد من دوائر النفوذ التي تفرض شكل السياسة الخارجية الإيرانية .

لا يتمتع الجيش الإيراني فى الوقت الحالي بالمستوى الفني المرتفع مقارنة بالمملكة العربية السعودية أو إسرائيل. و الطاقة الذرية تسمح لطهران بتحقيق قفزة نوعية خارقة. إن هذه الطموحات ليست بجديدة فهي تعود إلى عهد الشاه مع توقيعه على معاهدة عدم انتشار الأسلحة الذرية فى العام ١٩٦٩، وبداية التعاون مع الولايات المتحدة لبناء معمل أبحاث، وبالتأكيد كان المعنى هنا هو الاستخدام المدني للذرة. وقد أدت الثورة الإسلامية التي أسقطت شاه إيران فى العام ١٩٧٩ إلى توقف هذا البرنامج. والباحثون المتعاملون مع النظام قاموا بمغادرة البلاد، مثل الدكتور إكرام اعتماد والد البرنامج النووي الإيراني والذي لجأ إلى فرنسا. النظام الجديد يمقت الحداثة والتكنولوجيا، التي تمثل الاختراق الشيطاني للغرب والذرة تدخل ضمن هذه النوعية، ولكن آيات الله غيروا من مواقفهم بعد حرب العراق.

فكان صدام حسين يحصل على التكنولوجيا والسلاح من الغرب وبالذات الفرنسية مثل طائرات السوبر أتندر وَصواريخ اكسوست، والتي سببت للإيرانيين الكثير من الخسائر فى صفوف الجيش، وهنا ظهرت فكرة الذرة على السطح، ونعرف ما حدث بعد ذلك. حتى وإن كان النظام ينكر ذلك، فمن الواضح أنه يسعى للحصول على القنبلة الذرية أو على الأقل القدرة على إنتاجها. وأن القنبلة الذرية بالنسبة لإيران لا تعنى، كما يصرح أحمدي نجاد " لمحو إسرائيل من الخريطة "، ولكن هذه البلاغة تهدف لجمع المسلمين فى العالم حول النظرية الإيرانية : أن الدوائر الحاكمة فى طهران تعلم جيدًا إن أية محاولة لإطلاق النار على إسرائيل سيقابلها مباشرة ردود فعل شديدة من جانب الولايات المتحدة، كما كان يقول الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك ' إن الخطر ليس فى القنبلة التي تسعى إيران لامتلاكها، والتي لن تخدمها فى شيء، إلى أين سترسل طهران هذه القنبلة ؟ إلى إسرائيل ؟ أن هذه القنبلة لن تبتعد أكثر من ٢٠٠متر فى الفضاء قبل أن يتم سحق إيران " ولكن هذه القنبلة هي بالنسبة للإيرانيين الضمان الحقيقي للحصول على الاحترام .

السفير الإيراني السابق فى باريس، وهو من متحدثي الفرنسية صادق خرازاى، ويعد من الجناح الإصلاحي فى النظام كان يأمل بتطبيع العلاقات مع واشنطن، بالرغم من أن استعراض القوة لإدارة بوش لا تخيفه " حيث يقول : إذا هاجمنا الأمريكيون، سيعبئ الشعب الإيراني وسوف يرد، ونحن نملك الوسائل لزعزعة المنطقة كلها، لبنان وفلسطين والعراق. هل الأمريكيون مستعدون لخسارة ١٠٠٠جندى فى اليوم فى العراق ؟ وأن يجدوا سعر برميل البترول ٢٠٠ دولار ؟ إننا لسنا خائفين من الحصار الاقتصادي، ليس لدينا ديون خارجية ونحن نملك مصادر طبيعية مهمة." إيران ليست العراق "، وأفضل من ذلك فإيران أصبحت المفتاح الأساسي لاستقرار المنطقة أو عدم استقرارها " !

ويقول محمد البرادعى، المدير العام لهيئة الطاقة الذرية العالمية. إن المشكلة هي ليست فى معرفة إن كانت طهران ستحصل على القنبلة، فى خلال، ثلاث، خمس، أو عشر سنوات " فلا يمكننا إيقاف المعرفة" السؤال هو هل ستحصل إيران على القنبلة الذرية من خلال موافقة أم عدم موافقة المجتمع الدولي؟ إنه الرهان الذي تلعبه إيران والنظام الإيراني مع القوى العظمى إن الملف النووي الإيراني له وزن ثقيل فى حسابات الجغرافيا الاستراتيجية لممالك البترول فى الخليج " فهم يشعرون بأن القنبلة الذرية الإيرانية شئ واقع ولا يمكن تجنبه، وهذا ما لاحظه أحد المراقبين الغربيين فى الدوحة. وقد قال عبد الرحمن العطية، السكرتير العام لمجلس التعاون الخليجي، بمناسبة الإعداد للقمة فى ٢٠٠٦م : "نحن لا نريد أن نرى منطقتنا تسقط تحت سباق للتسلح النووي، وبخاصة أن المفاعل النووي الإيراني يقع على بعد عدة كيلومترات من حدودنا" ويضيف بأن دول المنطقة تنادى بإخلاء المنطقة من السلاح النووي .

فإمارات الخليج تخشى كارثة مماثلة لكارثة تشرنوبيل والمخاطر التى من الممكن أن تتعرض لها .

وتدرك أيضاً كل هذه الإمارات بأنها ستصبح فى الخط الأول لأي مواجهة بين إيران والمجتمع الدولي وسوف تتعرض لخسائر جانبية إذا تدهورت الأحوال. ويعلق أحد المحللين العسكريين الغربيين فى الدوحة بقوله " إن بلدًا مثل قطر تعد من الأهداف المثالية لهجوم إيراني إذا أرادت طهران أن تستعرض قوتها، فالمخاطر ليست كبيرة، وتعداد السكان قليل، وهناك قاعدة عسكرية أمريكية من الممكن أن تكون مستهدفة .. إن القطريين مدركون تمامًا لهذا الواقع".

وإذا تصاعدت الأمور، فدول الخليج تشعر بالتهديد بدون القدرة على الرد فجيوشهم لا يمكنها التصدي للقوة العسكرية الإيرانية .

هناك سيناريو آخر، فالإيرانيون يمكنهم إعاقة وصول البترول للاقتصاد الغربي بالهجوم على المنشآت البترولية أو حاملات البترول مع المخاطرة بتلوث بحري ضخم. إن المسئولين القطريين يدركون تمامًا إمكانية حدوث هذا السيناريو، ويمكن للإيرانيين أيضًا أن يحركوا الشيعة فى الخليج. فى البحرين يمثل أتباع على فيها ما يقرب من ٧٠٪ من السكان، والإمارات العربية المتحدة كانت تعد حتى عام ١٩٧١ كمحافظة إيرانية فالعلاقات العائلية والاقتصادية على ضفتي الخليج تعود لزمن بعيد. الكثير من الطلبة يذهبون للدراسة فى قم وهى تعد أهم مركز للتعليم الديني فى إيران .

لقد وصل الشيخ حمد بن عيسى الخليفة إلى العرش فى البحرين فى العام ١٩٩٩م، وبدأ بنشر الديمقراطية فى بلاده قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فاقر دستورًا جديدًا للبلاد وقام بالعفو عن المساجين السياسيين وسمح بعودة المنفيين، وأصبح البرلمان منتخبًا من الشعب، وآخر يقوم هو تبعبينه، وقد اعتقد أن المسار سيتوقف عند ذلك، ولكن الشيعة يطالبون بمزيد من السلطة " الديمقراطية هي قانون الأغلبية " هذا ما كان ينادى به الشيعة. وحتى هذه اللحظة جهاز الأمن يقع كليًا فى أيدي السنة، ومن أجل نوعًا من الانفتاح اقترحت السلطة نوعًا من الشرطة المحلية غير مسلحة من الشيعة، خطوة صغيرة تعكس مدى الخوف من فقدان السلطة يومًا ما .

ويعلق أحد الدبلوماسيين الغربيين بأن هناك مشكله شيعة فى البحرين إن أردنا أو أبينا، ويكفى أن نشاهد كيف يعيش الشيعة فى البحرين فى حالة من الفقر، مبعدين فى قرى بائسة على أطراف مدينة المنامة، ويتمرد الشيعه بصورة منتظمة بإحراق السيارات للفت الأنظار إليهم، وحتى وإن كانت الأغلبية تفضل الاختيار التوافقي لآيات الله سستانى .

في فبراير ٢٠٠٦م حين تم تفجير المسجد الشيعي فى "سامراء " فى العراق والذي يعتبر أحد العوامل التي أدت إلى شبه حرب أهلية فى البحرين حين نزل الشيعة فى الشوارع بالآلاف للتعبير عن غضبهم. على هذه الخليفة فمن السهل على

إيران أن تخلق الإضرابات. وينظر إلى البحرين من قبل المملكة السعودية ودول الخليج على أنها معمل سياسي و اجتماعي فى مواجهة الشيعيين، ويوجد منهم الكثيرون فى شرق المملكة السعودية، هناك حيث آبار البترول الرئيسية. هذه البيئة التي ينظر إليها ملوك البترول على أنها مصدر خطر من ناحية إمكانية حدوث ردود أفعال لما يحدث فى العراق، ومن ناحية أخرى النفوذ المتزايد لإيران والتي قررت أن تصبح القوة المسيطرة فى المنطقة بجانب تركيا وإسرائيل .

الفصل الحادي عشر

الفخ العراقي

كان هناك ما يقرب من خمسين زعيم قبيلة، ووفقًا للطقوس الموروثة فى داخل المضيفة جالسين فى صفوف، مرتدين الجلابيب التقليدية وعلي رؤوسهم الكوفيات المغطاة باللون الأبيض والأحمر، ويتناقشون فى الأوضاع السياسية ويتبادلون آخر الأخبار حول فنجان من القهوة. بعضهم يحمل الهواتف الفضائية، البعض الآخر الكلاشينكوف وخزائن الذخيرة. وينتمي كل هذا الجمع إلى (الدوليميين) وهى قبيلة قوية تضم ما يقرب من ٧٥٠ ألف فرد. هذه الصورة كانت فى مدينة الرمادي قلب بلاد السنة، على بعد حوالي ١٠٠كجم من الشمال الغربي لبغداد، وبعد عشرات الأيام فقط من سقوط نظام صدام حسين فى أبريل ٢٠٠٣. ورئيس هذه القبيلة هو ماجد أبو رزاق على سليمان، وهو من كان يقوم بالمفاوضة مع القوات الأمريكية لتسليم المدينة لتجنب حمامات الدم، وكان الضامن الشخصي لكل الترتيبات التي اتخذت، وتم هذا على الطريقة التقليدية البدوية حيث الكلمة التي تعطى هي كلمة مقدسة. وكان ماجد أبو رزاق يقول " إننا نرحب بالأمريكان وليس لنا معهم مشاكل، ونعتقد أنهم يجب أن يبقوا فى العراق حتى يتم تشكيل حكومة مستقرة ويعود النظام إلى البلاد " .

ويضيف هذا البدوي والابتسامة على شفتيه "هل تعرفون أن أجدادي كانوا يتعاملون مع الإنجليز فى العشرينات!".. وبعكس مدن كثيرة فى العراق، الرمادي لم يحدث فيها نهب على مستوى كبير والمعروف أن القيم التقليدية والأخلاقية فى الرمادي قوية جدًا، وحتى أثناء الحرب، استمرت الشرطة فى عملها دون تغيير، لم تكن هناك عطلات للسلطة، والآلة الإدارية لم تتوقف / واستمر الموظفون فى

مناصبهم، ولم تتوقف الكهرباء أو التليفون. أكثر من ذلك فإن العشائر كانت تشارك فى حفظ النظام وتدور فى دوريات مع الشرطة. لقد قدم الدوليميون عشرات الآلاف من رجال الشرطة والجيش فى زمن النظام السابق لصدام حسين. وفي مقابل ولائهم كانوا يدللون من جانب السلطة البعثية التي كانت تزودهم بالسلاح والسيارات وامتيازات أخرى. ومع ذلك ورغم سخاء السلطة، زعماء العشائر تبدلوا سريعًا بمجرد أن دخلت الدبابات الأمريكية بغداد وبلا عقد نفسية! منذ قديم الأزل والولاء العشائري يعد مفهومًا نسبيًا يمكن التفاوض عليه مقابل المال. العشائر تقوم بتأجير خدماتها لمن يدفع أكثر وأصبح البدو محترفين لفن تقدير موازين القوى وخلال أربع سنوات أراد الأمريكيون التخلي عن خدمات هؤلاء العشائر مفضلين معاقبتهم على خدماتهم التي قدمت لصدام حسين، ومن هنا كانت المقاومة العامة فى المناطق السنية. واشتعلت الرمادي والفالوجا وأصبحت معقل المتمردين. ولكن منذ العام ٢٠٠٧م أدرك الأمريكيون الخطأ وبدءوا فى تجنيد هذه العشائر السنية فى مقابل المال والسلاح للتخلص من القاعدة ولكن قبل الوصول إلى ذلك كم من الأخطاء ارتكبت وكم من الوقت ضاع! .

لقد اعتقد لأمريكيون أنهم على أرض مكتسبة، واعتقدوا بأنهم سيقابلون كمحررين بالزهور ورشات من حبوب الأرز. وقد أعطى هذا الوهم الصورة التي تظهر سقوط تمثال صدام حسين فى ميدان الفردوس فى قلب بغداد، لحظة تاريخية ولكنها خادعة : فقد كان يوجد فى هذا المكان جنود أمريكيون وصحفيون أكثر من العراقيين! وفي هذا اليوم الذي دخلت فيه الدبابات الأمريكية إلى بغداد لم يكن هناك هذا الحشد المؤيد، لقد مكث السكان فى بيوتهم، من الخوف بلا شك ولكن أيضا فى انتظار ما يتبع من أحداث .

كان للأمريكيين ورقة ليلعبوها فى العراق، وفشلهم لم يكن محفورًا على الصخر، والعراقيون كانوا فى انتظار أن تقف البلاد على قدميها، وأن يقوم الأمريكيون بالبناء وليس بالاحتلال ولكن ما حدث هو عكس ذلك تمامًا.

إن عراق صدام حسين فى عام ٢٠٠٣م لم يكن لا ألمانيا ولا اليابان فى العام ١٩٤٥م بالنسبة للأمريكيين كان يكفى أن تجرد العراقيين من السلاح كما فعلت مع الألمان. كان من المفترض الانتهاء من الماضي إعادة بناء كل شيء بفضل أمطار من الدولارات ومجموعة من مهندسي شركات باشتل وهاليبرتن، ولكن لقد انحرف التاريخ سريعًا بسبب تأثر الإدارة الأمريكية بالمنفيين المشكوك فى تاريخهم مثل أحمد شلبي والذي تم إبعاده بعد ذلك، حيث قام بول بريمر من الإدارة المدنية الأمريكية باتخاذ قرار يعانى منه الجيش الأمريكي حتى اليوم : فقد اتخذ قرارًا فى ٢٣مايو ٢٠٠٣، والذي ينص على حل الجيش العراقي وكل أجهزة الأمن العراقية. هذا القرار كان له تابعيات خطيرة : مئات الآلاف من الرجال تم إرسالهم إلى منازلهم كما لو كان جميعهم مجرمى حرب، وعاد الكثير منهم إلى الخدمة ولكن فى صفوف الجماعات المسلحة. كان من الممكن إعادة تأهيل هؤلاء الجنود والضباط كما حدث مع رجال الجيش فى أوروبا الشرقية بعد سقوط حائط برلين. كان من المفروض أن يتم إعطاؤهم زيًا جديدًا ودخلاً مقبولاً ورئاسة شريفة تنقطع عن نظام صدام حسين الذي كان يحذر من جيشه، والذي وبطريقة متكررة أقصى الكثير من ضباطه بطريقة عنيفة. على العكس حل الجيش أدى إلى إضافة مليون ونصف من المعارضين. إن من الصدق القول أن إدارة شعب هو أصعب بكثير من ربح الحرب، معظم هؤلاء الضباط سرحوا من الخدمة ولا يملك أي واحد منهم درهمًا واحدًا، إن الندم ليس على صدام حسين وإنما على الدولة العراقية. وبصرف النظر عن الديكتاتور كانت هناك وزارات، وعلم وبترول، وأمن، وخاصة أنه كان يوجد كبرياء وطني. يردد الكثيرون من العراقيين فعلاً " لقد تخلصنا من صدام حسين ولكننا فقدنا العراق "، فالتخلص من البعثيين لم يقتصر فقط على أجهزة الأمن وإنما كان أيضًا فى بنية الدولة نفسها والذي أدى إلى زعزعتها، ويقول أحد الدبلوماسيين فى بغداد فى تلك الفترة " أن هناك مطاردة حقيقية لكل البعثيين فى كل أجهزة الدولة " لقد اختار الأمريكيون الحلول الجذرية لإرضاء الشعب والذي كان ينتظر سقوط الشخصيات الهامة من البعثيين ولكن

غالبية البعثيين كانوا ينضمون لحزب البعث ليس عن اعتقاد أيدلوجي وإنما للحصول على وظيفة والحصول على منزل وليسمحوا لأبنائهم بدخول الجامعات .

في المستشفيات كان الكثيرون من الأطباء والجراحين والمتخصصين ينتمون لحزب البعث ولكنهم كانوا مهنيين قبل كل شيء. فى المدارس والجامعات كان ثلاثة أرباع الموظفين يحملون بطاقة الحزب وبالطبع كان من الصعب التخلي عن كل هذه الكوادر لبناء دولة، ولكن هذا هو ما حدث .

وبمجرد أن اختفى نظام صدام حسين تمركزت القيادة العسكرية الأمريكية فى قصور صدام فى وسط بغداد قلعة سميت المنطقة الخضراء وأقام الأمريكيون فى هذه المنطقة الممنوعة فى اكتفاء ذاتي تمامًا بدون أي اتصال مع العالم الخارجي الذي ينظر إليه على أنه عالم معادى وشديد الخطورة. وهم يعيشون وينامون فى هذه القصور محاطين بالكمبيوترات، ولم يحاولوا الفهم، فلهم قناعتهم الخاصة. خلف هذه الحوائط يعتقدون أنهم يديرون البلاد، وأقاموا كنيسة داخل أحد القصور، وفي ركن آخر معبد يهودي وركن آخر لمسجد، بينما فى السقف رسم لصاروخ سكود تابع للنظام السابق لقد كان بول بريمر المكلف بإدارة الاحتلال فى البداية رجلا قاطعا وتسلطيا والشهادات تتضارب : فهو يجتمع بالعراقيين ويأخذ رأيهم ولكنه لا يعطى وقتًا كافيًا للاستماع الجيد، فقد كانت له نظره اقتصادية للوضع، ويدير إعادة البناء كما لو كان يدير بناء مدينة متوسطة .

وقد ارتكب الأمريكيون خطأ كبيرًا بإرسالهم لأفراد بدون خبرة، غير معتادين على الواقع الشرقي العربي ولا يستمرون غير ثلاثة أشهر فى المكان، وكان من الصعب فى ظل هذه الظروف أن يقيموا علاقات دائمة ويعطوا الثقة للعراقيين المتعاملين معهم، فى حين أن بناء الإدارة والوزارات يقع على عاتق هؤلاء العراقيين .. هذه القصص كان من الممكن أن تثير الضحك إن لم يكن الموضوع يخص بلدًا عانت كثيرًا من الديكتاتور، بالنسبة لكل من كان موجودًا فى العراق أثناء الفترة الأولى لدخول الأمريكيين إلى بغداد، من دبلوماسيين،

وصحفيين، وأعضاء المنظمات غير الحكومية، ورجال الأعمال ... إلخ إنه ليس هناك أدنى شك فى أن الأمريكيين قد فشلوا فى اغتنام فرصة المائة يوم الأولى لوجودهم، هناك حيث كان يجب كسب معركة القلوب، حيث كان التاريخ يمكن أن يعطيهم المصداقية. ولكن لم يكن لدى إدارة بوش أى خطط لإعادة البناء السياسي والاقتصادي لما بعد الغزو. إن ضخامة العمل المفروض إنجازه فاقت تمامًا قدرة الأمريكيين. وبدلاً من العمل على توافق العراقيين فهم على العكس زرعوا بذور التفرقة وهذا ما يمكن ملاحظة نتائجه اليوم. وقد بدأ هذا منذ يوليو ٢٠٠٣، ولإعطاء بداية لشرعية السلطة العراقية الجديدة، أنشأت إدارة الاحتلال الأمريكي مجلسًا مؤقتا لحكومة، مؤلفة من ٢٥ عضوًا، عليها إدارة البلاد حتى يتم بناء نظام سياسي دستوري نهائي، وكانت هذه الحكومة المؤقتة تتكون من قاعدة عرقية ودينية : الشيعة الذين يمثلون غالبية السكان حصلوا على ثلاثة عشر مقعدًا، وخمس مقاعد للأكراد، وخمس مقاعد للسنة / ومقعد واحد للمسيحيين ومقعد واحد للتركمان. كانت هذه التركيبة العقائدية هي الأولى من نوعها فى العراق : تحت حكم صدام حسين، كانت السلطة فى أيدى السنة ومن أهالي تكريت على وجه الخصوص، ولم يحدث أبدًا من قبل هذا التقسيم الطائفي بصورة رسمية فالحكم البعثى كان يمنع هذا الشكل من التقسيم .

إن الطائفية فى هذا المجتمع العراقي المتعدد العقائد، تعد قنبلة موقوتة : فمن هذا المفهوم المواطن العراقي يكون أولاً كرديًا أو شيعيًا أو عربيًا قبل أن يكون عراقيًا، وهذا النظام لا يسعى إلا لتقسيم العراق. واللبنانيون يعرفون هذا الوضع! وتم التعيين الوزاري على هذا الأساس الطائفي والقبائلي والديني، والخبرة والقدرات كانت من العوامل الثانوية. وبذلك كان وزير الخارجية العراقي كرديًا، ووزارة الداخلية فى أيدي الشيعة. وعندما كان رئيس أساقفة المطران أتناس ماتوكا عن الكنيسة الكاثوليكية مارًا بباريس فى مايو ٢٠٠٦م قال : (إن الأمريكيين قد أساءوا إلينا كثيرًا، ماذا أقول لأتباع الكنيسة الراغبين فى الهجرة فى حين أن

العراق أصبحت فوضى ؟ فأخيرًا وليس آخرًا، لقد نجحت السياسة الأمريكية فى إفراغ العراق من الطائفة المسيحية) !. من يمكنه فهم هذا العنف الدموي الذي طغى على العراق ؟ ولفهم المصادر واللاعبين فى هذا العنف يجب علينا أن نعود للخطوات الأولى عند الاجتياح الأمريكي للعراق. بدأت الحرب فى ٢٠ من مارس ٢٠٠٣، وانتهت فى ٢٨ من أبريل بسقوط بغداد، وكان الكل يعتقد أن القوات الخاصة العراقية كانت متمركزة حول بغداد وفي داخلها. ولكن سقطت العاصمة العراقية سريعًا. لقد تبخر جهاز الأمن والشخصيات المهمة فى النظام بدون قتال، وبدءوا فى حرب العصابات وهكذا أحرز الأمريكيون نصرًا خادعًا، لقد أصبحوا أسياد العراق ولكنهم لم يدركوا أنهم جالسون على برميل من البارود، الذي ينتظر شرارة ليشتعل. وهنا سندرك الأخطاء التي ارتكبها الأمريكيون والتي أدت إلى أوضاع دراما تكية فيما بعد، لقد تركوا الحدود مفتوحة على مدى شهور بلا مراقبة حقيقية، ففي زخم عودة العراقيين المتغيبين، يعود أيضًا مقاتلون عرب جاءوا من السعودية وسوريا واليمن. وقد جاء تأمين الحدود متأخرًا جدًا. هناك خطأ جسيم آخر: ترك الجيش الأمريكي النهب والسرقة يتطوران دون أي تدخل، بالرغم من أن حظر التجول فى بغداد كان معمولاً به بين الساعة الحادية عشر ليلاً والسادسة صباحًا. وكان الجنود الأمريكيون يقومون بحراسة المناطق الحساسة مثل البنوك أو المباني الوزارية كوزارة البترول الضخمة والتي قام الجيش الأمريكي بحراستها منذ اليوم الأول لدخوله بغداد، ذلك ما أعطى للعراقيين الشعور بأن الأمريكيين قد جاءوا للسيطرة على البترول أولاً وأخيرًا، وقد كان النهب على مدى عدة أسابيع يجرى داخل المباني العامة والمستشفيات والجامعات والشركات والمخازن .. إلخ تحت سمع وبصر القوات الأمريكية كانت السرقة تشمل كل شيء حتى الأسلاك الكهربائية وكل شيء يعاد بيعه فى أسواق السارقين. ولكن امتدت السرقة أيضًا لمخازن الأسلحة، صناديق الذخيرة والمتفجرات والأسلحة الحقيقية وتزود المناهضين بكثير من السلاح .

وقد سارع السنيون بالثورة ضد تهميشهم وهم عماد السلطة السابقة. ومن أول مظاهر التمرد ما جاء من مدينة الفالوجا، مدينة تبعد ٧٠ كم غرب بغداد حيث يسكنها ما يقرب من ١٥ ألف ضابط من الجيش البعثى السابق، وحيث اختارت القوات الأمريكية المحمولة جوًا بالتمركز، هذا الوجود أثار غضب السكان المحليين، وأثناء إحدى المظاهرات الشعبية ضد الاحتلال أطلق رجال الجيش الأمريكي النار على المتظاهرين، حمام الدم الأول الذي أدخل المدينة ثم البلاد السنية فى المقاومة الفعلية .

لقد اكتشف الأمريكيون حرب عصابات المدن فى العراق. حيث وجب عليهم التقدم شارعًا بشارع و من منزل إلى منزل. الإنجليز لديهم تجارب أيرلندا الشمالية، والإسرائليون لديهم خبرة بالانتفاضة الفلسطينية ولكن الأمريكان ليس لديهم أي خبرة فى حرب العصابات هذه، فهم يعتقدون أنهم أمنوا منطقة ما، وتعود المقاومة للظهور مرة أخرى بعد عدة أيام. إن المقاتلين فى بلادهم ويعرفون الأرض معرفة تامة ومستعدين للتضحية بأنفسهم، يستخدمون كل الأسلحة فى حوزتهم : قنابل مصنعة يدويًا وعبوات ناسفة على جانبي الطريق والتي تسببت فى أكثر من ٥٠٪ من خسائر الجيش الأمريكي، القذف بمدافع الهاون، متفجرات انتحارية، كمائن، قناصة ...

منذ فبراير ٢٠٠٧م، لجأ المتمردون إلى الناقلات المفخخة والتي تحتوى على أنابيب الكلور. واحتوت عملياتهم أيضًا على إطلاق صواريخ أرض جو والتي كان يقوم بتنفيذها عسكريون قدماء وكانت المجموعات على الأرض مستقلة فى عملها، ولكن كانت تجتمع أيضًا عدة مجموعات لتنفيذ عمليات كبيرة لم تكن هناك قيادة عامة ولكن تنظيم على شكل شبكات العنكبوت تتكون من مجموعات صغيرة من أربعة أو خمسة أفراد .

المعتقد الأمريكيون بأنهم أعطوا ضربة قاتلة للمتمردين عند إلقائهم القبض على صدام حسين فى ١٣ من ديسمبر ٢٠٠٣م، ولكن المتمردين كانوا قد تخطوا صفحة صدام حسين، وانضم جزء كبير من النظام السابق إلى الإسلاميين ليكونوا

بذلك تيارًا إسلاميًا وطنيًا، متمثلاً فى جماعات كالجيش الإسلامي فى العراق أو كتائب ثورة ١٩٢٠. وقام البعيثون بتشكيل بناء جديد وهو " العودة " ويمتلك خلايا مسلحة فى معظم المدن الكبرى بما فيها مدن الجنوب وقد نجح تنظيم القاعدة فى التمركز فى العراق أيضًا تحت اسم تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين قبل الإعلان عن الإمارة الإسلامية العراقية. بالرغم من دعايات إدارة بوش فصدام حسين لم يتحالف فى أية لحظة مع القاعدة ولم يترك على أرضه المجاهدين الإسلاميين. أتباع بن لادن. وكان لمتطرفي القاعدة جماعات أخري تساندها مثل أنصار السنة أو كتائب المغتربين وهم من العرب الأجانب، الذين كان لهم أهداف أخرى وهى جعل العراق ملتقى الجهاد الدولي وإثارة حرب أهلية ما بين السنة والشيعة. كان التيار الإسلامي الوطني يقاتل من أجل جلاء القوات الأمريكية. واليوم تبدلت الأولويات. ثمانين ألفًا من رجال القبائل السنية تطارد رجال القاعدة الذين تم دفعهم نحو الشمال الغربي وهدفهم طرد المجاهدين الأجانب خارج العراق، ثم بعد ذلك سيكون هناك وقت للاهتمام بشأن الأمريكيين الذين زودوهم بالمال والسلاح. "لقد تحولت العراق مع أفغانستان إلى مراكز جذب للجهاد " هذا ما صرح به أحد العاملين فى المخابرات الغربية، لقد أصبحت العراق مضخة جذب ودفع للمجاهدين طالما استمر الاحتلال الأمريكي للعراق .وبعد جيل أفغانستان الذي ولد غداة الحادي عشر من سبتمبر أصبح الآن هناك جيل العراق، ويضيف رجل المخابرات هذا: (إن حرب العراق هي أسوأ علاج فى الحرب على الإرهاب).

إن تفجير المسجد الذهبي فى سامراء فى فبراير ٢٠٠٦م سيظل فى التاريخ كالحادثة التي أشعلت الحرب الأهلية فى العراق قبل هذا التاريخ كان الشيعة يترددون فى الرد على العمليات الانتحارية ضدهم، ولكن بعد هذا التفجير قرروا الرد بطريقة علنية على السنة وانتظمت الميلشيات الشيعية للرد على العنف السني، وظهرت كتائب الموت وميليشيات شيعية كانت متمركزة فى إيران فى عهد صدام حسين مثل كتائب بدر التي أثارت الذعر مستخدمة فى بعض الأحيان ملابس ضباط البوليس أو الجيش.

منذ سقوط صدام حسين، بدأت الأحزاب الإسلامية الشيعية مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية العراقية فى بناء فرق خاصة سميت"لجنة التصفيات " ومهمتها التصفية البدنية للبعثيين القدماء وهدفها بالتحديد أركان الأجهزة الأمنية البعثية فى أوقات صدام حسين، وكانت هذه اللجنة تضم بين أعضائها عددًا كبيرًا من الطيارين الذين شاركوا فى الحرب العراقية الإيرانية .

لقد دخل فى الجهاز الأمني الجديد فى العراق معظمه من الشيعة، رجال كتائب بدر التي كانت تحارب النظام العراقي فى زمن صدام حسين انطلاقا من الأراضي الإيرانية، هذه الكتائب التي تم تدريبها على أيدي حراس الثورة الإيرانية. بالنسبة للسكان السنيين، الشرطة والجيش ليس لديهم أيه مصداقية، فالسنيون ينظرون إليهم على أنهم أداة بطش فى يد طائفة واحدة، إن مشكلة قوى الأمن العراقية لا تكمن فى أعدادها التي تتزايد باستمرار، ولا فى مدى تدريبهم، ولكن فى إخفاء انتمائهم وولائهم .

كان الكثير من المحللين يخشى أن تتخطى أوضاع عدم الاستقرار الحدود العراقية لتصيب كل المنطقة، فى الجنوب أعلنت المملكة السعودية أنها لن تقف مكتوفة الأيدي أمام سيطرة الشيعة على البلاد.وقد أعلن نواف عبايد مستشار الحكومة السعودية فى جريدة " نيويورك تايمز " بتاريخ ٢٩ من نوفمبر ٢٠٠٦م، ستتدخل السعودية لوقف الميليشيات الشيعية المدعمة من إيران، ضد المجازر التي يتعرض لها السنة فى العراق، فالسعودية يمكنها تسليح ودعم الميليشيات السنية وحتى اللجوء إلى سلاح البترول ضد إيران بخفضها لأسعار البترول الخام فى الغرب، الأردن وسوريا يشعران بالقلق من تدفق اللاجئين العراقيين فقد وصلوا إلى مليون لاجئ فى كل من البلدين، هذه المجتمعات والتي تعد الأهم منذ النزوح الفلسطيني فى العام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ العبء الاقتصادي والاجتماعي يعد ثقيلاً جدًا على هاتين الدولتين وعلي المستوى الأمني، فالدور الذي تلعبه العراق كملتقى للمجاهدين الإسلاميين والمناضلين ضد الأمريكان يعد مصدر قلق للنظام الهاشمي

ويقول الأمير على الأخ غير الشقيق للملك عبد الله والمسئول الأمني الشخصي للملك عبد الله "نحن نخشى أن تصدر لنا العراق حربها الأهلية ". لقد أصيبت سفارة الأردن فى ببغداد جراء أول هجوم إرهابى كبير فى ٧ من مايو ٢٠٠٣م، ثم جاء دور العاصمة عمان حيث وقعت ثلاث هجمات انتحارية أعدها أبو مسعد الزرقاوى ممثل بن لادن فى العراق. وقد تم إغلاق الحدود الأردنية العراقية تمامًا، ولا يسمح بالدخول من العراق غير رجال الأعمال ومن يحملون تصاريح إقامة فقط. ويتم إعادة كان من كان على الحدود، وتم وضع نظم جديدة للتفتيش بأشعة الليزر ويتم تفتيش السيارات عن طريق الكلاب البوليسية والنتيجة هي أن معظم اللاجئين بدءوا فى التوجه إلى سوريا .

وفيما يتعلق بالسوريين فهم يتعرضون لضغوط أمريكية لمراقبة حدودهم مع العراق والتي يبلغ طولها ٦٢٠ كم. واشنطن تتهم السلطات السورية بغض النظر عن مرور المقاتلين والمجاهدين ضد الأمريكان، ربما يكون هذا الاتهام صحيحًا بعد سقوط نظام صدام حسين مباشرة ولكن فهو ليس أكيدا الآن، فى الجزء الجنوبي تقيم سوريا موانع رملية ونقاطًا للمراقبة ولكن من المستحيل التحكم مائة فى المائة فى هذا الجزء من الحدود .

مع ما واجهته القاعدة فى العراق، بعض أعضائها توجهوا إلى لبنان بالتحديد نحو مدينة طرابلس حيث إن التوتر الطائفي على وشك الانفجار.

وفيما يتعلق بتركيا فالمشكلة تكمن فى كردستان العراق. هذه المنطقة التي تعد مستقلة نظريًا : علم كردى، نقاط على الحدود، قوة عسكرية، ولا ينقص سوى القليل لإعلان دولة كردية. هذا الاستقلال التدريجي يقلق الأتراك الذين يخشون أن يعلن الأكراد كركوك عاصمة لدولتهم : الأجندة التركية تتمحور حول نقطتين : حماية الأقلية التركمانية فى كركوك ومنع الأكراد فى تركيا من الحصول على المساعدة من أشقائهم الأكراد فى العراق. وآبار البترول فى كركوك تثير اللعاب أيضًا : فإذا وضع الأكراد أيديهم على مناطق البترول يكونون بذلك حصلوا على

الوسائل الاقتصادية. والمالية لاستقلالهم. على مدى تاريخ مدينة كركوك، تبدلت الأغلبية الطائفية، فالتركمان شكلوا الأغلبية فى نهاية القرن التاسع عشر، ثم تحولت الغالبية للأكراد بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح التركمان والعرب والمسيحيون يشكلون الأقلية، ثم تحت النظام البعثى طبق صدام حسين نظام تعريب إجبارى، ولتشجيع العرب على الاستقرار فى كركوك كانت الإدارة فى بغداد تزودهم بالمال والمنازل المجانية. ومنذ سقوط نظام صدام حسين عاد الأكراد المطرودون إلى كركوك وعاد التوتر الطائفي إلى المدينة، وتحاول القاعدة من جانبها الاستفادة من هذه الخلافات المحلية بتفجير الوضع .

إن من الأهداف المعلنة لإدارة بوش عند الإطاحة بنظام صدام حسين فى ٢٠٠٣ كانت : " بناء عراق ينعم بالرخاء، ديمقراطي، يعيش فى سلام مع نفسه ومع جيرانه " وهذا ما ذكره أيضًا بول بريمر المفوض المدني السابق، كما أنه أضاف : " يجب أن نترك خلفنا شرطة محترفة، غير مرتشية، تراعى حقوق الإنسان، ولا يجب أن يتدخل فى الشئون الداخلية لا الجيش ولا الميليشيات " .

علي مدى قرون، كان تاريخ العراق مضطربًا،، وعنيفا وفوضويًا الغزو المنغولي، الفارسي، العثماني، العشائري، الإنجليزي واليوم الأمريكي ولم يتمكن أيًا منهم من فرض الاستقرار على بلاد الرافدين، فهي منطقة تمرد تقليدية والأمريكيون يتكلفون الكثير لإدراك ذلك .

قبل أن يغادر برنار بانجولية السفير الفرنسي منصبه فى بغداد كان قد تم دعوته فى وزارة الخارجية العراقية لحفل عشاء على شرفه. وكان يجلس بين السفير هوشيار زبارى وزير الخارجية العراقي " وزالمى خليل زاد " السفير الأمريكي. وأثناء المحادثات همس السفير الفرنسي للوزير العراقي: " يجب أن تنجحوا فى فك وضع اليد الأمريكي على البلاد... ورد عليه الزبارى : " هاهم الفرنسيون الذين يدفعون العراقيين على التمرد علينا "!

لم ينجح الأمريكيون فى بناء علاقات ثقة مع العراقيين، فهم يدعون أنهم يرغبون فى استقلال العراق، ولكنهم يشدون خيوط اللعبة من وراء الكواليس. ويقول السفير الفرنسي فى العراق، معلقًا على ذلك : "إن الحل الوحيد لإخراج العراق من الأزمة، هو أن لا يدير الأمريكيين وحدهم الملف العراقي ولكن يتقاسم المسئولية مع الآخرين >>. ويجب أيضًا وضع تصور للانسحاب حتى لا نصل إلى انسحاب اضطرارى وسريع وبغير إعداد القوات الأمريكية والذي من الممكن أن يؤدى إلى فوضى وطالما بقى الأمريكيون فلن يحصل الجيش العراقي على مصداقيته. لأن الإدارة الأمريكية لا تثق به خوفًا أن يخلق أوضاع انقلاب عسكري .

والسؤال الذي يطرح نفسه إلى أين يذهب العراق ؟ ديمقراطية على الطريقة الغربية ؟ هذا غير محتمل، جمهورية إسلامية ؟ إن رجال الدين هم المحتكرون للمسرح السياسي والعودة إلى نظام علماني لم يعد محتملاً اليوم. هل من الممكن أن تصل العراق إلى التقسيم ؟ ليس من مصلحة أحد أن ينقسم العراق وخصوصًا بالنسبة لجيران العراق، وبالرغم من ذلك فإن أوساط اتخاذ القرار الأمريكي تثير باستمرار اختيار التقسيم إلى ثلاث مناطق طائفية، شيعة فى الجنوب، سني فى الوسط، والأكراد فى الشمال. ومن المعروف أن مجلس الشيوخ الأمريكي أقر خطة تقسيم غير إجبارية فى ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٧م. خطة من الصعب جدًا تطبيقها، وبقدر ما يرفضها العراقيون، ولكن على الأرض من الممكن أن تصبح واقعًا بقدر ما تؤدى إليه الصراعات الطائفية من انقسامات ومن الملفت للنظر أن فكرة تقسيم العراق كانت تدور فى الأوساط السياسية منذ ربيع ٢٠٠٣ فيذكر أن أحد مستشاري الخارجية الأمريكية، من المحافظين الجدد، (لزلى أتسن جيلب) مستودع إنكار كما يطلقون عليه فى أمريكا، كتب : "إن الاستراتيجية الوحيدة الممكنة ... هو التقدم بخطوات لحل الثلاث دول >>، وكان يدلل على ذلك بالإشارة إلى ما حدث فى يوغسلافيا بعد وفاة الرئيس تيتو. هذا السيناريو يسمح للولايات المتحدة بالاستثمار الكبير فى كردستان وفي بلاد الشيعة، وخفض قواتها من المناطق السنية

والذي يقلل كثيرًا من خسائرها، وتركهم لمصيرهم الحزين لأنه ليس لديهم البترول، ولن يكون أمام السنة إلا الدخول فى الصف أجلاً أم عاجلاً .

هل تحتاج العراق رجلاً جديدًا قويًا ؟ إنه احتمال لا يمكن إبعاده على المدى المتوسط. ربما يخرج جنرال من صفوف الجيش ليضع حلاً للفوضى التي استمرت سنوات. وبالطبع هذا السيناريو لا يمكن تحقيقه بدون عنف، ولا يمكن أن يتم إلا بعد خروج القوات الأمريكية من العراق .

هناك الكثير من القناعات، الغزو الأمريكي البريطاني للعراق فى ٢٠٠٣ أعطى ديناميكية للحرب الأهلية وسوف تمر سنوات قبل أن تهدأ. والانسحاب الأمريكي أصبح مطروحًا. فهناك الاتفاق الأمني الذي وقع بين الأمريكيين والعراقيين والذي يقضى بانسحاب القوات الأمريكية فى عام ٢٠١١. حتى وإن كان جورج بوش قد ذهب فى أيدلوجيته العمياء حتى النهاية .

ويعلق هنرى كيسنجر على الأوضاع فى العراق بقوله (أن أي فشل فى العراق سيكون بمثابة كارثة للولايات المتحدة ... لأمن الأمريكيين يجب أن ننتصر فى العراق ... نحن نستطيع ذلك وسوف نفعل ذلك، فالأمريكيون يعدون أنفسهم لمغادرة العراق، ولكن سيتركون خلفهم قاعدة عسكرية قوية وسفارة عظيمة فى المنطقة الخضراء، فى نطاق التطور فى الاستراتيجية الشاملة يجب إعادة تشكيل تمركز القوات الأمريكية بعيدا عن المدن حتى تكون خارج نطاق الحرب الأهلية)

إن التطهير العرقي مازال مستمرًا، وهو واضح فى بغداد وتتقلص المناطق المشتركة بين الشيعة والسنة. كما حدث سابقًا فى لبنان حيث كان الخط الأخضر يفصل بين المسلمين فى بيروت الغربية، والمسيحيين فى بيروت الشرقية، ويمكننا أن نتحدث عن بغداد الغربية السنية، وبغداد الشرقية حيث يوجد الشيعة. ويمثل نهر دجلة الخط الفاصل .

في هذه الدوامة من العنف، سوف تلعب العشائر العراقية، والتي تمثل قلب المجتمع، دورًا متزايدًا لعدم وجود دولة تحترم وقوات أمن محايدة. إن القوى الحية فى المجتمع العراقي من الأطباء، والمحامين، والمهندسين، والأساتذة والمثقفين ... إلخ لا زالوا يهاجرون من العراق مفرغين العراق من قدراته البشرية.

لقد أسقط الأمريكيون نظامًا ديكتاتوريًا دون التفكير فيما بعد ذلك، وأشعلوا فتيل الطائفية الذي يهدد المنطقة بأسرها.

الفصل الثاني عشر

ما هي مسئولية الغرب ؟

إن الغرب بصورة عامة، والولايات المتحدة بصورة خاصة يتحمل الجزء الأكبر من المسئولية لتراجع العالم العربي .

في العام ١٩١٦، وحتى قبل تفكك الإمبراطورية العثمانية، كانت القوى العظمى فى تلك الفترة فرنسا وإنجلترا قد وقعت على المعاهدة المشهورة " سايكس – بيكو" والتي رسمت حدودًا لم تكن موجودة فى هذه المنطقة منذ زمن الفراعنة، لأنها كانت دائمًا تتبع إمبراطوريات واسعة. وأراد الفرنسيون والإنجليز لأسباب مختلفة، إقامة دول وطنية. لقد اعتبر ذلك نجاحًا لقد كانت فترة متسعة لكل بلاد المنطقة على المستوى الاقتصادي والسياسي، وظهرت تيارات فكرية وثقافية. وحين بدأت موجة الاستقلال ظهر مفهومان متناقضان تمامًا : من ناحية القومية العربية ومفهوم الأمة العربية، الذي أطلقه جمال عبد الناصر، الذي كان يسعى لإقامة دولة حديثة على غرار الدول الأوربية، وقد بدأ بوضع الإخوان المسلمين فى السجون، ومن الناحية الثانية كان هناك مفهوم الأمة الإسلامية الذي جاءت به المملكة العربية السعودية والذي يساند برنامج الإخوان المسلمين .

ولم يرغب عبد الناصر فى العودة إلى المستعمرين السابقين فرنسا وبريطانيا، وتوجه إلى الولايات المتحدة على اعتبارها دولة جديدة ليس لها تاريخ استعماري، ولكن الأمريكيين لا يهتمون بمصر لأنهم منشغلون بخطة مارشال فى أوروبا، وقد كانوا قد بدءوا فى الاقتراب من طهران حيث كان رئيس الوزراء مصدق قد تجرأ وأمم البترول، ولكي لا يهرب الذهب الأسود من الأمريكيين دبروا

لانقلاب عسكري ضده. وهذا الابتعاد عن مصر فى تلك الفترة كان بسبب أن مصر لم يكن لديها البترول. وتوجه بعد ذلك عبد الناصر إلى كتلة عدم الانحياز فى الظاهر، ونحو الاتحاد السوفيتي فى الواقع. وذلك فى خضم الحرب الباردة. وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦م، أعلنت كل من فرنسا وبريطانيا، القوتين العظميين الآخذيين فى الانحدار، الحرب عليه. وجلبتا معهما إسرائيل والتي لم يمر طويلاً على إنشائها. مسببات بذلك زلازل فى المنطقة وأصبح ينظر إلى إسرائيل على أنها امتداد الغرب فى العالم العربي. لقد كان نصراً عسكريًا ولكنه فشل سياسي ذريع : إلى أن تم إنزال القوات و حتى تم إجلاؤها تحت ضغط البطل الجديد للعالم الحر الولايات المتحدة الأمريكية والتي جمعت إنجلترا وفرنسا فى حلف مع المملكة العربية السعودية على حساب مصر .

هذا التحالف مع بلد القراءة الحرفية والفوضوية والمتطرفة للإسلام، أدت إلى إعادة تطبيع المجتمعات على الإسلام المتزمت كل هذا تزامن مع ما تسميه الخارجية الفرنسية وجود ديكتاتوريات لا تمثل الشعوب فى هذه المنطقة. وتم ضبط الحريات العامة والخاصة ولم يتركوا غير مكان واحد للتعبير الحر وهو المساجد، التي يتحكم فيها الوهابيون السعوديون الذين جعلوا من الإسلام المدخل إلى المجتمعات العربية عبر أماكن العبادة .

وفي نفس الوقت، ظهرت أنظمة قوية تستخدم الإسلاميين الأصوليين لمجابهة اليسار الناصري والذي كان يتحكم فى النقابات والجامعات، وفي ظل هذا الصراع غيرت فرنسا من سياستها، وحتى هذا التاريخ لم يكن هناك حضور للولايات المتحدة فى المنطقة وبدأت الولايات المتحدة فى التواجد فى المنطقة بداية من العام ١٩٦٧م ومع بداية حرب الأيام الستة. ديجول قال للإسرائيليين بأنهم" شعب واثق بفسه ومسيطر" واختار سياسة عربية. وذهبت الولايات المتحدة لتحصل على أول مرفأ استراتيجى لها بجانب إسرائيل والمملكة العربية السعودية. ومن وجهة النظر الأمريكية هذا التحالف هو حرب عادلة، فالقوى العظمى الأخرى

كانت فى هذه المنطقة من العالم منذ زمن طويل، ولم تهتم الولايات المتحدة بهذه المنطقة إلا بطريقة متواضعة عبر إرسالها بعض الجيولوجيين من شركة أستاندر أويل أوف كاليفورنيا إلى المملكة العربية السعودية فى العام ١٩٣٢، وتم التوقيع على تحالف بين الرئيس روزفلت والملك السعودي معطيا بتروله للأمريكيين فى مقابل مظلة استراتيجية أمريكية. فكان من الطبيعي أن يسعي لتقوية أصدقائه السعوديين من الناحية الاستراتيجية البحتة، وضمهم بصورة نهائية إلى العالم الغربي. ومن الواضح أن هذا التحالف لم يصبه أي تراجع ولا يمكن المساس به. وقد جدد الملك عبد الله والرئيس بوش التوقيع على هذا التحالف فى أبريل ٢٠٠٥ ولمدة ستين عامًا. وبهذا التحالف القوى مع المملكة السعودية، ساهمت الولايات المتحدة فى التوسع الإسلامي فى أفغانستان بتقديم المساعدات الأمريكية النشطة للمقاتلين من أجل الحرية ضد الخطر السوفيتي. كان بالنسبة لواشنطن صراعا ضد العدو الشيوعي والذي كان يهدد بتوسيع نطاق نفوذه، فى حين أن الرياض كانت ترسل مقاتلين لمقاومة الخطر الشيوعي الكافر، وذلك بتفويض عدة أفراد يبحثون عن قضية وينقلون على السلطات السعودية. وفى هذا الإطار استفاد ابن لادن من المخابرات الأمريكية للتزود بالسلاح ومن المملكة السعودية لتمويله. هذه السياسة تطغى على كل المنطقة، وهى غالبًا ما تكون تقوية الحركات المعارضة للسلطة القائمة عندما تقترب هذه السلطات من الاتحاد السوفيتي، أو على التيارات الأكثر رجعية، إن لم يلجأوا إلى الوسائل الأشد عنفا .

هناك تباين واضح في الوضع القائم : الإسلاميون / الذين يرفضون سيطرة الغرب يقوم الغرب، بمساعدتهم، طالما أن ذلك يؤدى إلى إضعاف نظام مقلق .

وينطبق هذا على الجميع على اعتبار أنها تحالفات ظرفية باسم فائدة مشتركة. نتائج هذا التحالفات لا تزال واضحة حتى اليوم .

الوضع يختلف فى إيران، بعد الإطاحة بمصدق فى العام ١٩٥٣م، تم وضع نظام متحالف بمساعدة المخابرات الأمريكية الـ (سى أى أيه). ومن ثم بدأ

الإسلاميون الإيرانيون فى مواجهة هذا النظام التسلطي الموالى للغرب. لقد كانت إيران تمثل الشرطة الأمريكية فى الخليج ويتم معاملتها بطريقة تفضيلية، بغض النظر عما ترتكبه السلطة والشرطة السياسية من تجاوزات (السافاك) ضد حقوق الإنسان. لقد شكل هذا الوضع لبنة الثورة الإسلامية .

ولفهم هذه السياسة الأمريكية التي تثقل العالم العربي، يجب التوقف عند تحالف آخر شكل دبلوماسية الإدارات المتتابعة على مدى القرن العشرين : إسرائيل. فجذور العلاقات الإسرائيلية الأمريكية تعود لزمن بعيد. بالنسبة للدولة العبرية تعود هذه العلاقات إلى الآباء المؤسسين للولايات المتحدة. ففي القرن التاسع عشر كانت الحركة الصهيونية تحظى بنوع من التعاطف من قبل المؤسسة السياسية فى الولايات المتحدة ويقول فى ذلك الرئيس أبرهام لينكولن (إنه حلم نبيل يحظى بتأييد الكثير من الأمريكيين). ومن قبله الرئيس جون آدمز كان يأمل أن يكون هناك وطن مستقل لليهود فى الخليل". إن موضوع اليهود وعودتهم إلى الأرض المقدسة هو شيء يمكن تحقيقه عن طريق الكتاب المقدس المسيحي. إن وعد بلفور فى العام ١٩١٧ يعد ببناء بيت وطني يهودي فى فلسطين والذي حياه بحرارة الرئيس ويلسون ومن خلفه مباشرة. فى عام ١٩٢٢، لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس تعلن رغباتها الجادة فى تأسيس بيت وطني على أرض منشأ اليهود. أنه حلم الشعب اليهودي فى كل مكان رغم تفرقه. لقد كانت فلسطين مقدسة بالنسبة لليهود منذ أن طردهم الرومان منها. وكانت الولايات المتحدة أول الدول التي تعترف بإسرائيل عندما أعلن بن جورين أنشاء الدولة الإسرائيلية فى ١٤ من مايو ١٩٤٨ بعد إحدى عشرة دقيقة فقط من إعلان قيام دولة إسرائيل. ومنذ هذا التاريخ ولم تحظ دولة أخرى بعلاقات مكثفة مع الولايات المتحدة كما تحظى علاقتها بإسرائيل، وفى خلال خمسين عاما لم يجرؤ غير رئيسين للولايات المتحدة على تهديد إسرائيل. خلال حرب السويس عام "١٩٥٦م – ١٩٥٧م " حين ضغط ايزنهاور على الدولة العبرية للانسحاب من سيناء وغزة. وهدد بإلغاء إعفاء

الضرائب على ملايين الدولارات التي تحولها الجالية اليهودية إلى إسرائيل. والتزمت الدولة العبرية بالانسحاب من سيناء ومن غزة. فى ١٤ مارس ١٩٥٧ والأزمة الإسرائيلية الأمريكية الثانية كانت فى العام ١٩٩٢ فى شهر فبراير، عندما هدد الرئيس بوش الأب بإيقاف القرض البالغ عشرة مليارات من الدولارات والمفترض أن يساعد فى اندماج اليهود الفارين من الاتحاد السوفيتي السابق فى زمن رئيس الوزراء السابق إسحاق شامير، والذي أسرع فى بناء المستوطنات فى الأراضي المحتلة مهددًا بذلك عملية السلام .

وبخلاف هذين الخلافين العابرين، واللذان لم يغيرا من عمق وديمومة التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية. وتتصرف الولايات المتحدة كأب روحي للدولة العبرية، ويحلل بريس جنتلسون، المستشار الدبلوماسي لادجور مرشح الرئاسة فى عام ٢٠٠٢ ضد جورج بوش : بقوله " فى حين أن العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل ما بين ١٩٤٨م – ١٩٦٧م كانت بسيطة إلا أنها أخذت بعدًا آخر بعد حرب ١٩٦٧م. فى إطار الحرب الباردة، أخذت العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة بعدًا استراتيجيًا وأصبحت علاقات متقدمة جدًا .

لدرجة أنه حتى العام ١٩٨٢م، استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ٣٢ مرة ضد قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. تلك القرارات المعادية أو المنتقدة لإسرائيل .

من يقول أكثر ؟! كيف يمكن شرح هكذا عناد فى الدفاع المنتظم لإسرائيل ؟

من وجهة النظر الأمريكية، هناك عدة أسباب توضح هذا السلوك. الدولتان تدعيان الاشتراك فى نفس القيم الديمقراطية. من وجهة نظر واشنطن فإن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط، وسط محيط من العرب تحت حكم الديكتاتوريات والنظم التسلطية. باختصار إسرائيل هي الجسر الطبيعي لأمريكا التي تسعى لنشر قيمها الديمقراطية فى هذه المنطقة. إن الحرب على الإرهاب التي أقرها جورج بوش بعد هجوم الحادي عشر من سبتمبر، وجدت

إسرائيل نفسها تلعب دورًا أكثر أهمية وأكثر تجديدا بموقعها المتقدم فى صراع ليس له خط مواجهة. ولكن دور إسرائيل يكمن فى خبرتها فى هذا المجال ففي العراق طلبت الإدارة الأمريكية الاستعانة بخبرة الجيش الإسرائيلي التكتيكية لمكافحة حرب العصابات (فرض حظر التجول- التسلل خلف خطوط العصابات، الاستجوابات عن طريق التعذيب، تمشيط المناطق المدنية) – لمكافحة التمرد فى العراق. هذه العلاقات المميزة لا يمكن شرحها إلا من خلال وجود لوبي قوى جدا مناصر لإسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية. هذا اللوبي يتكون من كمية هائلة من الجمعيات والمنظمات مثل الجمعية الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة، أو منظمة مؤتمر رؤساء اليهود، هذا اللوبي له ثقل كبير على السياسيين، والصحفيين، والجامعيين وكل متخذي القرار أو أصحاب الفكر الذين يدبرون السياسة الأمريكية، وهدفها منع أي نقد لإسرائيل فى أمريكا وبخاصة فى مواجهة أي إجراء أو موقف للحكومة الأمريكية من الممكن أن يسئ إلى مصالح الدولة العبرية. هذه المنظمات تمول الانتخابات، أو تقوم بحملة ضد كل من ينتقد ولو قليلاً السياسة الإسرائيلية .

في ربيع ٢٠٠٦م، ظهر تقرير عن أستاذة جامعة كان له وقع القنبلة فى الولايات المتحدة، فهو يتعرض لإحدى المحرمات على الطبقة السياسية، ويشرح بالتفصيل مدى قوة اللوبي الإسرائيلي ولكن الأهم بأنه ينهى التقدير بخلاصة : إن التأييد غير المشروط لإسرائيل أصبح يمثل عبئا استراتيجيا على سياسة الولايات المتحدة الخارجية. هذا التأثير يكلف دافعي الضرائب الأمريكيين أكثر من ٣ مليار دولار فى العام بمعدل ٥٠٠دولار لكل إسرائيلي، ولكن والاهم فإن هذا التأييد من الممكن أن يؤدى إلى اختيارات مرفوضة من الأمة. " إن الضغط الإسرائيلي واللوبي التابع لها لم يكونوا العامل الوحيد وراء قرار الهجوم على العراق فى مارس ٢٠٠٣ ولكنه بالتأكيد عاملاً أساسيا.. الحرب كانت مبررة فى الجزء الأكبر لتحقيق أمن إسرائيل ويذكر هذا التقرير أن المعلومات التي نقلت عن مصادر الاستخبار الإسرائيلية عن موضوع أسلحة الدمار الشامل لدى صدام حسين أسلحة مازلنا نبحث عنها!

مساندة غير مشروطة لإسرائيل، حلف استراتيجي مع السعودية لمكافحة الشيوعيين ولإضعاف الأنظمة القائمة، أصبحت واشنطن بدورها ضحية النشطاء في هذه البلاد وأصبحت تضرب بعد أن كانت تضرب!

لقد كانت البداية تفجيرين نسبا للإسلاميين الذين يهاجمون المصالح الأمريكية على الأراضي السعودية، التفجير الأول في نوفمبر ١٩٩٥م، داخل مركز تدريب للحرس الوطني في الرياض، وأدى إلى مقتل سبعة أفراد، والثاني في يونيو ١٩٩٦م، أدى إلى ١٩ قتيلاً و٦٤ جريحا. في قاعدة الخبر أنهما مثالان فقط ضمن مجموعة عمليات هجومية ضد الولايات المتحدة في أماكن مختلفة من العالم. هذا الانقلاب على الولايات المتحدة يمكن شرحه أساسا من خلال موقف السعودية والولايات المتحدة، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي واتفاقهم على أنه لم يعد هناك مبرر لمساندة أفغانستان، وتركوا الأفغان لمصيرهم وبدون أن يهتما بما يمكن أن يحدث لهم، ولم يتأخر "مناضلو الحرية " في التعبير عن ردهم. وحين عودتهم لبلادهم الأصلية استطاعوا أن ينظموا شبكات محلية في الغرب كما في البلاد العربية الإسلامية. وفي هذا الإطار بدأت حرب الخليج، مذكرة بمدى ارتباط السعودية بالولايات المتحدة. الكفار يستقرون على أرض الإسلام في الأماكن المقدسة للأمة، ويعتدون على بلد مسلم (لم يتأخر صدام حسين على ذكر هذا) إن الإهانة تعد هائلة، في العام ١٩٩٧م، أعلن أسامة بن لادن لأحد الصحفيين البريطانيين "روبرت فيك " : نحن نؤمن بأن الله أراد أن يهزم السوفيت على أيدي المجاهدين في أفغانستان، والآن فنحن ندعو الله لاستخدامنا مرة آخرة لنقوم بعمل نفس الشئ مع أمريكا ونؤمن أيضا بأن معركتنا مع أمريكا أسهل بكثير من المعركة مع الاتحاد السوفيتي، لأن بعضا من مجاهدينا الذين قاتلوا في أفغانستان شاركوا أيضا في عمليات في الصومال ضد الأمريكان والذين كانوا مندهشين لانخفاض معنويات الجنود، وهذا ما جعلنا نقتنع بأن أمريكا هي نمر من ورق ".

والكل يعرف النتيجة: لا يمر يوم دون أن يأتي إلى الذهن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م هنا لتبرير الحرب على الإرهاب، وهناك الوعيد بما سيلحق والذي سيكون أكثر فظاعة.

إنه من الواضح تمامًا بقليل من الإمكانيات، تمكن ابن لادن وأتباعه من هز النفوس أكثر من أي شئ آخر، والأهداف لم تكن بمحض الصدفة : رمز القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية. بصمات ثقافة تفرض نفسها، الاعتداء على ناطحات السحاب والمباني العامة أعطى مناظر للصدمة والتي تتداولها وكالات الإعلام بشغف .

لقد كانت هذه الهجمات الأكثر إثارة فى التاريخ الإنساني، وربما لن تكون الأخيرة! فى الواقع فإن التهديد الإرهابي والعمليات الإرهابية ضد الولايات المتحدة اليوم يكمن فى العراق وأفغانستان، وحتى الغربيين على وجه العموم، وأيضًا السكان المحليين الذين يشكلون أول الضحايا. هذه الظاهرة واضحة جدًا فى العراق، بعكس ما صرحت به إدارة بوش قبل دخول العراق أن العراق لم يعرف الإرهاب، لقد بدأ الإرهاب فى الظهور مع وصول الجنود الأمريكيين والإنجليز هو ما دعا ابن لادن وغيره للعمل على الأرض العراقية لتصبح أرضًا جديدة للجهاد. ومنذ العام ٢٠٠٣م ولا يمر يوم واحدً دون هجوم من المجموعات الإسلامية والتي تهدف إلى إصابة القوات الأجنبية والأمريكية منها على وجه الخصوص .

حتى فى الولايات المتحدة نفسها، فالتهديد مستمر، وحتى وإن كان يستخدم لإعطاء الشرعية للسياسات التشددية للحد من الحريات فالعم سام لم يزل الهدف رقم ١، وأوروبا أيضًا مستهدفة وعلي رأسها بريطانيا العظمى.

من القوى الغربية الموجودة فى الشرق الأوسط أبان فترة الاستقلال، ثم انحازت بعد ذلك لسياسة الولايات المتحدة، هي إنجلترا التي شاهدت هي الأخرى عودة التاريخ حين وقع عليها الهجوم الإرهابى فى ٧ من يوليو ٢٠٠٥، بالرغم من المساندة التي قدمتها بريطانيا للإسلاميين فى الشرق الأوسط، فقد كانت لندن ملجأ لكل الإسلاميين من جميع الآفاق لدرجة أن الحي الذي يجتمعون فيه فى قلب العاصمة الإنجليزية كان يسمى " لندنستان " كان الإسلاميون يجتمعون عند مسجد ننسير بارك فى قلب العاصمة اللندنية ويطلقون العنان للدعوة إلى التطرف فى

خطبهم، موزعين نشرات وصحفا للدعاية لآرائهم، لقد اعتقدت لندن أنه من الأفضل ترك أعداء الغرب يعبّرون عن أفكارهم فى وضح النهار حتى يمكن مراقبتهم. هذه الهجمات الإرهابية دفعت بحكومة تونى بلير لتغيير استراتيجيتها وتبنى نوعًا من الرقابة والقمع يشابه ما يحدث فى فرنسا، الهدف الآخر للقارة القديمة. ويظل السؤال المحير عن التدخل الغربي فى العراق، ومنذ أن طرح، لم يحصل على إجابة واضحة حتى الآن. يمكننا أن ندرك، ولكن كل ما طرح لا يعطى إجابات شافية .

هل عراق صدام حسين كان لديه أسلحة دمار شامل ؟ مازلنا نبحث عنها! هل كانت الولايات المتحدة فى حاجة إلى البترول ؟ لقد كانت تأخذ البترول قبل الحرب هل أرادت واشنطن التخلي عن المملكة السعودية ؟ إن العلاقات بين البلدين لم تكن أبدًا أقوى مما هي عليه الآن. هل كان ذلك لمراقبة إيران ؟ نظرًا للأهداف والمصالح الاستراتيجية المشتركة، هناك مجال للرهان بأن هذا البلد سيصبح شريكا مميزًا للولايات المتحدة فى المنطقة والخلاصة أن السؤال يظل مطروحًا للتاريخ، دون شك سيعطي بعض الدلائل لقد سبق وذكرنا، أن الولايات المتحدة لعبت بورقة السعودية على حساب مصر الناصرية. وكان وجودها فى المنطقة وجودًا تجاريًا صرفًا، ووقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبعدها مباشرة معنى فى العام ١٩٧٤م ظهر مقال فى جريدة " ميدل ايست جورنال "، أو جريد الشرق الأوسط لهنرى كيسنجر، وزير الخارجية فى الإدارة الأمريكية والذي يحدد فيه المصالح الأمريكية فى العالم : (البترول والغاز) – الصناعات المتصلة بالطيران – والاتصالات، ثم ظهر مفهوم الطريق السريع للمعلومات، وكانت المرة الأولى التي يتم الحديث فيها عن الإنترنت فى صحيفة كبيرة، وفي العام ١٩٧٩ طور هنرى كيسنجر استراتيجية ليصل إلى هذه الأهداف. هذه الاستراتيجية لها أربعة مسارات. أولاً تمزيق العالم العربي فالولايات المتحدة تفضل العلاقات الثنائية، هذا التعبير يلفت النظر، والعالم العربي يمثل ٢٢ نظاماً تسلطياً (اليمن الجنوبية – الجزائر، سوريا، العراق..

إلخ) كل هذه الأنظمة تعد قديمة .والعمل على أن تكون الولايات المتحدث أو المتحدث الوحيد، أو على الأقل لا يمكن تجنبه فى كل صراع فى المنطقة وبالتأكد فى النهاية فإن الولايات المتحدة سيكون لها الكلمة فى نظم الحكم فى هذه المنطقة.

في العام ١٩٧٧م، خليفة هنرى كسنجر فى مجلس الأمن القومي، برز ينسكى، طور هو الآخر نفس المفاهيم فى نفس الجريدة. فالواضح إذن أن هناك استمرارية فى السياسة الخارجية الأمريكية أيا كانت الإدارة التي توجد فى البيت الأبيض، وفي المقابل عرف الشرق الأوسط نوعا من الاستقرار إلى أن جاءت حرب لبنان كانفجار بركان، حرب تم تعريفها مباشرة بأنها " أهلية " بالرغم من أنها استمرت ثمانى سنوات قبل أن تصبح أهلية فعلاً. كان دائمًا هناك عامل خارجي موجود بين ١٩٧٥م و ١٩٨٣م. ثم جاءت حرب أفغانستان، وحتى وإن كانت أرضًا غير عربية، إلا أنها تؤثر فى العالم العربي على اعتبارها من الأمة الإسلامية، ثم جاءت حرب العراق مع إيران مباشرة بعد اندلاع الثورة الإسلامية.

لقد استخدمت الولايات المتحدة كل هذه الصراعات، التي استمرت أكثر من ثمانى سنوات وخلفت أكثر من مليون قتيل فى الحرب بين العراق وإيران إلى أن توقفت الحرب وعادت الحدود إلى ما كانت عليه قبل الحرب. تلك الحرب التي تظهر سياسة الولايات المتحدة. فى العام ١٩٨٣ أتى مبعوث الرئيس ريجان إلى بغداد، وأقام مؤتمرًا صحفيًا فى واشنطن ليعلن " لقد وجدنا صديقًا يمكن الاعتماد عليه فى الشرق الأوسط "، هذا المبعوث يسمى دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع فى إدارة جورج بوش وأول من تغنى بالحرب على العراق. فى العام ١٩٨٥، قام نفس هذا الرجل، والذي كان يسمى " بمسهل " عملية تسليم أول مصنع للأسلحة الكيميائية من جانب شركة " اللابد سيجمند " للنظام العراقي ثم جاءت حرب الخليج التي أدت إلى عواقب كارثية وأولها تفكك العالم العربي. وقد ظهر رسم كاريكاتوري فى تلك الفترة فى جريدة مغربية تظهر الزعماء العرب يتماسكون من الوسط ومتشابكى لأيدى وهم يبتسمون لمصوري الصحافة، ومن الخلف يظهر كل رئيس وفي يده خنجر وراء

ظهره. إنها الحقيقة التي مازالت قائمة. والعاقبة الثانية لهذه الحرب هو انقسام العرب في مواجهة إسرائيل والتي تتفوق استراتيجيًا، وعسكريا، وتكنولوجيًا وبخاصة اقتصاديا فى الستينيات كان معدل الدخل القومي الإسرائيلي يتعادل مع معدل الدخل القومي اللبناني فى العام ١٩٩٢، أصبح معدل الدخل القومي ضعف معدل الدخل القومي اللبناني والسوري والأردني الفلسطيني مجتمعين. العاقبة الثالثة هو ظهور ثلاث قوى فى المنطقة ولا يوجد بينهما قوة عربية : إسرائيل، تركيا، إيران. والعاقبة الرابعة هو تمركز قوى تابعة فى هذه المنطقة المجزءة : إسرائيل للشرق الأوسط، السعودية فى شبه الجزيرة العربية، ومصر فى وادي النيل، وفى خلال ذلك كانت هناك معاهدة كامب دافيد بين مصر وإسرائيل فى العام ١٩٧٩م. وكانت العناوين الصحفية تتحدث عن أن " مصر قد خذلت العالم العربي "، ولكن الحقيقة هو أن مصر جعلت العالم العربي يخذل أمام المجتمع الدولي. وكان يلزم بلدا آخر فى شمال إفريقيا. كان المغاربة يودون أن يلعبوا هذا الدور، ولكن المغرب لا تملك نظامًا اقتصاديا جيدا، وبنوكا وتأمينات، غير عدد من مناجم الفوسفات فى بوكوا والعيون في قلب الصحراء، وهى أول بلد توقع على معاهدة تعاون مع أوروبا، ولذلك أرادت الولايات المتحدة إشراك الجزائر، بلد كبير به بترول وغاز والذي استطاع جيشها أن يهزم قوة عظمى خلال حرب الجزائر، وبدأت الولايات المتحدة فى زعزعة النظام الجزائري. وكانت أول مساعدة حصلت عليها الجبهة الإسلامية للخلاص التي أنشأت فى العام ١٩٨٨م، جاءت من الولايات المتحدة للخدمات الإعلامية تحت بند استدراكات مدرسية. الامتيازات البترولية التي تم منحها خلال السنوات الماضية كانت لشركات أمريكية .

والعاقبة الأخيرة لحرب الخليج : انتهاء نظام تمثيلي حقيقي، ولم يعد هناك غير ديكتاتوريات قوية متمركزة فى هذه البلاد لا يوجد شعب عربي واحد يجد نفسه فى حكومته القائمة.

وتسارعت الأحداث بعد ١١سبتمبر ٢٠٠١م، القوة العظمى الوحيدة تدخل فى حرب مع الإرهاب فى أفغانستان، ولكن أمريكا تغيرت، المحافظون الذين تحت إدارة ريجان فى العام ١٩٨٠م لا يمثلون غير ٢٥ إلى ٣٠٪ من الرأي العام الأمريكي، ووصلوا إلى السلطة مع برنامج بسيط هو إظهار قوة العم سام للعالم كله، ثم وصل أيضًا إلى السلطة اليمين المسيحي المتطرف والذي يفتخر بوش بالانتماء إليه. ونرى المحامى العام أو وزير العدل فى إدارته جون أشكروفت لا يتردد فى التأكيد على أن الله أرسل للشعب الأمريكي العذاب والقوة، العذاب هو الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، لأننا الشعب الأمريكي تركنا طريق الله كما فعل الشعب اليهودي محتفلين حول البقرة الذهبية فى حين كان موسى ينزل عليه وحى الوصايا العشرة، لقد أعطانا القوة لأننا شعب الله المختار والذي يقول الحق والباطل والحتمية الأخلاقية لنصرة الحق على الباطل. هذا الحديث يصدمنا حين نقارن بما يقوله أسامة بن لادن لأنه يستخدم نفس التعبير اللفظي. والاثنان يعلنان أنهما المتحدثان الرسميان باسم الله، وأنهما يناضلان من أجل انتصار الحق على الباطل .ويتابع جون أشكروف " ولكن أنتم الأوروبيون سوف تدركون أننا على حق لأنكم إن لم تأتوا معنا فى العراق، فسوف تأتون بعد ذلك لأننا أصحاب الحقيقة " وقد ذهبوا إلى العراق ....

إن التاريخ يعيد نفسه، فاليوم كما فى العام ١٩١٦م مع اتفاق سايكس بيكو، والذي أدى إلى تفريق العالم العربي عن طريق القوى الغربية فى ذلك الوقت. إسرائيل تم إنشاؤها فى العام ١٩٤٨ لتستقبل اليهود المضطهدين فى العالم، وأصبحت الدولة العبرية فى حين أنها تضم ٢٠٪من اليهود هناك مليون عربي إسرائيلي مسلم أو مسيحي وعلاوة عن ذلك هناك أكثر من ٢٠٪ من اليهود لا يعترف بيهوديتهم الحاخام الأكبر، فهناك أكثر من مليون لا يتحدثون العبرية. لقد استعان يهود باراك بمترجم لمستمعيه الذين يرفضون التحدث بالعبرية. هناك قناة تلفزيونية وصحيفتان تصدران باللغة الروسية، وأخيرًا فإسرائيل لديها ١٠٪ من

العمال الأجانب، جاءوا من جنوب شرق آسيا أساسا، ونجد فى المجموع أن ما يقرب من نصف المجتمع الإسرائيلي لا يتوافق مع الهوية المطلوبة للدولة. وهذا يعد تهديدًا داخليًا .

إن الأمريكيين ليسوا أكثر حبًا للبشر من الشعوب الأخرى، ولماذا أذن اجتياح العراق ؟ ربما تعطينا خريطة المنطقة شرحًا لذلك. فى العام ١٩٦٧ لم تكن هناك قواعد أمريكية فى المنطقة غير القاعدة الأمريكية فى الصحراء السعودية. اليوم أصبح للولايات المتحدة قواعد فى أوزباكستان، فى جورجيا، فى نابولي، ومونس وفرانكفورت. لقد تم دفن مبدأ مونرو للانعزالية الأمريكية وإذا نظرنا أكثر عن قرب، نجد أن الوجود الفعلي والعسكري للولايات المتحدة يشكل قوسًا دائريًا يحتوى على الهند أيضًا. وهذا لا يتحدث عنه أحد من الناحية الاستراتيجية والصين غدا – وفي هذا الشكل تصبح العراق مركزًا استراتيجيا أساسيًا ... وكل شئ يصبح واضحًا. هل وصول باراك أوباما إلى البيت الأبيض قد يغير تغييرًا جوهريًا للاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط ؟ إن انسحاب القوات الأمريكية من العراق فى ٢٠١١ يبدو محتملاً، ولكن ستحتفظ الولايات المتحدة بحضور عسكري ليكون لها كلمتها فى بلاد ما بين النهرين. بصورة عامة، أن انتهاء عهد بوش دفن معه مشروع فرض الديمقراطية بالقوة التي تبناها المحافظون الجمهوريون الجدد .

إن الرئيس أوباما يريد إعادة الحوار مع إيران، وأيضًا مع سوريا التي انغلقت على نفسها فى عهد بوش والسؤال هو كيف سترد كل من سوريا وإيران على مبادرات الانفتاح التي أطلقها الساكن الجديد للبيت الأبيض لإعادة إطلاق عملية السلام ؟ إن هذا ليس أكيدًا حيث إن أولوية أمريكا تذهب إلى أفغانستان والعراق وإيران. وهذا يعد مصدر قلق بالنسبة للاتحاد الأوروبي الذي يخشي من تدهور خطير فى فلسطين والمعروف أن أوباما ليس من اليسار وليس من أوروبا وهمه الأول هو الدفاع عن المصالح الأمريكية ويجب إن الا ننسى أن ثقافته هي ثقافة توافقية .

الخاتمـــــة

هل هو قدر ألا يعرف العرب الراحة والسلام ؟ ولا حتى الديمقراطية ؟ هل أصاب الشعوب العربية نوع من اللعنة حتى لا تعيش فى سعادة ؟ نحن لا نعتقد ذلك، ولكن ما هو مؤكد أن العيب هو فى نفس هذه الشعوب، عبر النظم السياسية التسلطية أو الديكتاتورية والتي تتمسك بالسلطة بأي ثمن، فلن يكون هناك أي حل بغير ديمقراطية تناسب المنطقة الكثيرون يرمون اللوم على الإسلام، مسرعين بالتأكيد على أن الدين الإسلامي لا يمكن احتواؤه فى جمهورية أو فى ديمقراطية بالفعل، إذا تم تطبيقه فى بلاغته، فهو يقف حائلا أمام التطور. ولكن المسلمين موجودون لتكذيب هذه الحتمية أو هذا القدر.

أمامنا دليل، تركيا الآن، وبالرغم من عدة انقلابات عسكرية : كانت تركيا البلد الوحيد فى العالم حيث يسلم الجيش السلطة للمجتمع المدني والطبقة السياسية بعد كل انقلاب .

إن وجود ديكتاتور لا يمنع انتقال المعرفة والمعلومات لأننا لا نعرف أن ديكتاتوريا سوف يسهر على إطعام حيوان مفترس فى داخله ليعضه، لأن الطبقة المتوسطة تعبئ أشد المناهضين للنظم القوية. ولكن السؤال الذي يطرح اليوم هو هل يستطيع الغرب على وجه العموم وأوروبا القديمة على وجه الخصوص، فعل شيء لهذه البلاد وبالذات فى المجال الديمقراطي ؟ لا يكفى قلب نظام حكم ديكتاتور : الفشل الأمريكي فى العراق أكبر دليل. حتى وإن كان فى نظر الأمريكيين أن استراتيجيتهم فى طريقها إلى النجاح، هذا الفشل يظهر مدى أهمية تعليم الشعوب الديمقراطية، تعليمهم التعددية، وبالطبع نقل المعارف والمعلومات.

ماذا يمكن أن نفعل حتى تتحول المملكة العربية السعودية إلى ديمقراطية طالما أن دستورها هو القرآن والقانون هو الشريعة كيف نعلم الديمقراطية وكل الديمقراطيين قد هربوا من الديكتاتوريات، والذين لم يهربوا يجلسون فى منازلهم؟

إننا أمام معضلة تمثلها سوريا بشكل واضح: فى هذا البلد المتعدد الطوائف، متعدد الثقافات والأقلية علوية (مذهب يخرج من الشيعة) تظل فى الحكم، الخطب عربية، اللباس عربي ولكن المضمون يبقى علويًا لماذا لأن فى داخل كل أقلية الخوف من الأخر الذي لا نعرفه. وهو يمثل على وجه الخصوص الخوف على الذات ومن الغد. يكفى أن نستمع إلى أحاديث المسيحيين اللبنانيين : إنهم مقتنعون بأنهم فى طريقهم إلى الانقراض. وبالرغم من أن الأحداث أظهرت خطأهم. عندما وضع الفرنسيون الدستور اللبناني فى العام ١٩٢٦م، كانت هناك طائفة واحدة وهى الطائفة السنية تؤيد على مضض فكرة لبنان مستقل : فعندما خرجت من الإمبراطورية العثمانية كان هناك استمرارية طائفية فى سوريا والأردن والمملكة السعودية، والعراق. شيعة، مسيحيين، دروز كانت تترابط على اعتبار أنها أقليات فى داخل العالم العربي. اليوم وبعد اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري، الذي كان يرفع العلم اللبناني مطالبًا بحدود دولية مع سوريا، ومطالبًا بتبادل السفراء وطالبًا المساعدة من المجتمع الدولي فى هذا المسار ؟ ظلت لبنان دون رئيس للدولة لعدة شهور، وشلت الحياة السياسية : هذا يعنى أن المسيحيين أصبح لا يمكن تجاهلهم وأكثر من ذلك : لا توجد قرية واحدة فى لبنان فى طوائف مختلطة بخلاف المسيحيين، لأن التعايش والوجود المشترك لا يوجد بين الشيعة والسنة، وبين الشيعة والدروز وبين الدروز والسنة.

منذ نهاية الحرب الأهلية فى لبنان، اعتقدنا أن لبنان خرج نهائيًا من الأزمة. ولكن قوة حزب الله وأتباعه فى مايو ٢٠٠٨م أظهرت أن لا شيء تغير فى العمق .

وبالإضافة إلى جارين مختلفين تمامًا فى المجتمع الشيعي الموالي لإيران من ناحية أخرى، السنة الموالين للسعودية. إن إدارة هذه البلد يرتكز على توازن ذكى

بين الطوائف المختلفة. اتفاق عام ١٩٤٣م أعطى المسيحيين المكان البارز فى النظام السياسي: حيث يصبح من بينهم رئيس الجمهورية ذو صلاحيات واسعة الحرب الأهلية أظهرت ضعف قوتهم، وظهور المارونية السياسية والتي أقرها اتفاق الطائف فى العام ١٩٨٩م. ثم جاء الانتصار السني والسنية السياسية والتي أتى بها رفيق الحريري، الذي يتمتع بمساندة السعودية، وفرض نفسه بقدراته المالية. ونحن ندين له بإعادة بناء وسط العاصمة بيروت، وعرف أن يكتسب موالين خارج حدود لبنان ثم جاءت حرب صيف ٢٠٠٦م، وقوة حزب الله فى مايو ٢٠٠٨ ليمثل "الشيعية السياسية". هذا الحزب الذي لا يسعى للاستيلاء على السلطة والانفراد بها لقد وجه حزب الله سلاحه إلى الداخل ليقول إنه يجب أن تكون له كلمة، ولن يتخلى عن سلاحه طالما أنه لا توجد ضمانات سياسية جادة وضمانات أمنية أيضًا. مثل حماس فى فلسطين تعرف أن ليس لها مكان فى المشروع الأمريكي فى الشرق الأوسط، بالقدر الذي لم تهضم فيه إسرائيل فشلها ضده. قبل أن يتخلى عن سلاحه يريد حزب الله إعادة التوازن السياسي بين القوى السياسية اللبنانية .

وبنفس الطريقة الكل انتقد ميشيل عون لتحالفه مع حزب الله، هذا التقارب غير الطبيعي سيكون له على الأقل أولوية خلط خطوط التقسيم، فلم تبق التحالفات طائفية وإنما سياسية : من أجل أو ضد المشروع الأمريكي فى لبنان. إن هذا يعد تقدمًا كبيرًا، لأن ذلك يعنى أن المواجهة ليست بين المسلمين والمسيحيين .

إن أزمة ٢٠٠٨م قد بلورت السؤال حول طبيعة لبنان وخاصة هويته المزدوجة: العربية والغربية كما حدث فى ١٩٥٨م حين نزل رجال البحرية الأمريكية إلى بيروت لمنع اليسار من الاستيلاء على السلطة. هناك سؤال آخر يطرح نفسه : من حيث المبدأ العسكري هل يعد العدو إسرائيليًا أم سوريًا ؟ بالنسبة لحزب الله لا مجال للسماح بقوة لبنانية تكون معادية لسوريا. وبالطبع سوريا صدقت هذا وطبعت علاقاتها الرسمية مع لبنان وفتحت السفارات وإذا كان الخلاف بين الشيعة والسنة هو المفتاح لقراءة أزمة ٢٠٠٨م، فهو لا يفسر كل شيء هناك

العنصر الاجتماعى، والذي يصيب عامة الشيعة، فهم يملكون السلاح بفضل حزب الله ولكنهم ضعفاء اقتصاديًا مقارنة بالسنة والمسيحيين وهذا يعد أيضا من التناقض اللبناني آجلا أم عاجلا، وعلى الأرجح عاجلا، سوف ينقلب اللبنانيون على حزب الله. فقد كان واضحًا بعد استعراض حزب الله لقوته بأسبوع واحد عدم رضاء المجتمع الشيعي عن موقف حزب الله، وهذه تعد ظاهرة جديدة للتفريق والانقسام بين الطوائف ويبقى الحضور المركز للشيعة فى شبه الجزيرة العربية والذي يعد مصدر قلق فلواردات إيران غدا إن تتصرف كدولة خارجه عن القانون، يمكنها أن توحد هذه الطوائف التي تمثل ١٠٪ من تعداد السعودية، و٣٠٪ فى دول الخليج، ٣٠٪ من الكويت، ٢٧٪ فى الإمارات العربية و٧٠٪ فى مملكة البحرين وكل ذلك من الممكن أن يسبب الكثير من الإضرابات .

وسيصبح برميل البترول بسعر ٥٠٠دولار بدلا من ١٢٠ دولار !! لقد أثرنا هذا الموضوع من قبل : إن سلوك الغرب فى مواجهة إيران ليس بريئا ، فإيران تعد شيطانا كما كان عبد الناصر فى الخمسينات ،وللتذكير هذا ما أدى لتحالف الغرب مع السعودية والقراءة المتطرفة، البلاغية والرجعية والفوضوية للإسلام .

إن السلام فى هذه المنطقة أكان فى فلسطين أو العراق أو لبنان لن يكون دون إيران، وأيضا من دون سوريا. إنه من غير المعقول أن لا تغضب الدول الأوروبية وبالذات فرنسا بعد اغتيال الحريري فى ٢٠٠٥ من النظام والشعب السوري. وأنه من الضروري أن تستعيد فرنسا دورها الأساسي والتقليدي إذا جاز التعبير فى تعاملها مع جميع الأطراف. (التحدث مع) لا يعنى بالضرورة الموافقة على كل شيء يقوله المتحدث وربما تكون المناسبة لشرح الخطوط التي لا يجب تجاوزها، وهذا ما بدأ بفعله الرئيس ساركوزى بزيارته لدمشق فى سبتمبر ٢٠٠٨ .

ماذا يمكننا أن نستخلص من هذا الهبوط إلى الجحيم أكثر من ضرورة خلق مواطنة قومية على حساب المواطنة الطائفية ؟ بعد قرن من فصل فرنسا الديانة

عن الدولة، فى ١٩٠٥م فمن الضروري أن يفصل الدين عن السياسة فى هذه **المنطقة لجعل المواطنة فى مقدمه الانتماءات : الهوية والطائفية الانتماء إلى المنطقة.**

ولسبب واضح وأكيد وموضوعي والذي نعرفه جميعا، أن إنشاء دولة إسرائيل جاء ليضيف على هذه المواطنة الطائفية على حساب المواطنة القومية. إن تفجيرات مارس ٢٠٠٨ تثبت إلى أي مدى يرفض العرب الإسرائيليون المواطنة القومية ليعانقوا المواطنة الطائفية هذه المواطنة التي تظهر عند إعادة توزيع المعرفة والعلم يخلق نوع من التضامن. لقد رأينا التلعثم والارتباك غداة الحرب الإسرائيلية على حزب الله ولكن للأسف! برفض الآخر، رفض العدو، ورفض الخصم هذا النوع من المواطنة سيؤدى حتما إلى العلمانية والمواطنة تضمان أكثر مما يضمه الإسلام .

سوريا على سبيل المثال ليس بلدا علمانيا ولكنه نظام قديم : رئيس الدولة يجب أن ينتمي لديانة مهما كانت وعلي العكس تركيا أصبحت بلدا علماني بالرغم من الأغلبية المسلمة. وهذا دليل على انه ليس خيالا، ان المثل التركي هو حقيقة علمانية وديمقراطية. فى مصر الإسلام هو دين الدولة وفي هذا المحتوى يكذب المسلمين وهمية هذا الشئ. إن مسلمى فرنسا هو دليل ممتاز : ٩٠٪ من المسلمين تبنوا الجمهورية ويتأقلمون فيها. بذلك فهم رفضوا الخلط بين المظهر الروحي والمادي للإسلام. وإن لم نستطع الوصول إلى هذا التصور، فإن ما هو متوقع أن يحدث، أما الاستمرار فى الوجود المشترك بين الطوائف على حساب الرغبة فى العيش معا، هذا فى أفضل الأحوال، أما تصورنا لأسوأ الأحوال ستنغلق كل طائفة على نفسها فى مناطق هوية أحادية العنصر، وهذا ما يحدث الآن دون أن يتمكن المجتمع الدولي من فعل شىء. وللدليل على ذلك : كوسوفو، لقد رفع المجتمع الدولي شعار حق التدخل بفرض تجنب الطائفية. والآن كوسوفو أصبحت هوية مستقلة ذا عنصر طائفي واحد هذا الفشل لم يكن المثل الذي يمكننا التعلم منه .

بين الأسوأ، هذا التمزق الطائفي والانغلاق على النفس، والأفضل وهو الرغبة فى العيش معًا هناك العديد من أشكال التعايش المشترك، مع قفزات أمنية، وتعايش بارد ويتم إحياؤها من وقت لآخر وفقًا للظروف، ولكن هذا لا يمكن أن يشكل بلدًا. و كان يقول الصحفي اللبناني فى الأربعينيات جورج نكاش : إن المشكلة لا تعنى أن نطلب من الناس التخلي عن القيم الغربية، أو الجمهورية، أو التحديث، ونطلب من الآخرين النخلي عن حلم الإمبراطورية العربية والإسلامية كما ظهرت فى بعض الأحيان على مر التاريخ المعاصر للإسلام. لأن الإنكار لا يقيم أمه. وفى المقابل للحصول على ارتباط اختيارى لبناء أمة تؤدى إلى قيام دولة. يجب تعليم المواطنة، العلمانية، وربما أيضًا التضامن برنامج عريض

المصطلحات

• **الشريعة:** القانون الإسلامي الذي يجمع القواعد والسلوك المطبقة على المسلمين .

• **الشيخ:** رئيس قبيلة عربية.

• **الشريف:** لقب يعطى لسلالة النبي من قبيلة بنى هاشم، "ومنها جاء لقب الملك الهاشمي الذي لقب به ملك الأردن اليوم" والذي يعد سلطة أخلاقية أكثر من وظيفة فى الإسلام.

• **الشيعة:** أحد الفروع الثلاثة الرئيسية فى الإسلام ويمثل ما يقرب من ١٥٪ من مجموع المسلمين. ويؤمنون بأحقية على (وأبنائه) فى خلافة الرسول .

• **مؤتمر باندو نج** : هو المؤتمر الأول الذي جمع ممثلين عن ٢٩ من إفريقيا وآسيا فى العام ١٩٥٥م فى حركة عدم الانحياز .

• **المؤتمر الإسلامي:** منظمة تجمع حكومات إسلامية " ٥٧ حكومة " للحفاظ على الأماكن الإسلامية المقدسة.

• **قبطي** : عضو فى أهم الطوائف المسيحية فى مصر (أرثوذوكس، كاثوليك، بروتستانت)

• **الجهاد:** الجهاد الأكبر هو الجهد الذى يجب أن يبذله المسلم لمحاربة ذاته والجهاد الأصغر هو الكفاح ضد غير المؤمنين.

- **الدروز:** هم أعضاء جماعة دينية من أصل إسلامي يعيشون أساسًا فى سوريا ولبنان.
- **فتح** : منظمة سياسية وعسكرية فلسطينية وهى تعنى الحركة الوطنية لتحرير فلسطين .
- **الجبهة الوطنية للإنقاذ:** تشكيل سياسى جزائرى يناضل من أجل إقامة دولة إسلامية.
- **جبهة التحرير الوطني:** حزب سياسي جزائري.
- **الإخوان المسلمون:** منظمة إسلامية تدعو لإقامة دولة واحدة تقوم على الشريعة والسنة.
- **الهاشمية** : سلالة لها تاريخ فى الحفاظ على مكة وهى صاحبة العرش فى الأردن .
- **الحديث:** أقوال الرسول نقلت عن الصحابة المقربين والموثوق بهم فى الإسلام السني.
- **حماس:** حزب إسلامي فلسطيني ويعد الأكبر حاليًا فى فلسطين وهو عبارة عن حركة مقاومة إسلامية.
- **حزب الله:** حركة سياسية مسلمة شيعية توجد فى لبنان وتساندها كل من سوريا وإيران.
- **الاجتهاد:** تفكير يسعى لترجمة وشرح النصوص الأصلية للإسلام.
- **الإمام** : من يدير الصلاة الجماعية .
- **انفتاح** : مدلول اقتصادى

- **انتفاضة:** ثورة وتمرد ضد الظلم أو ضد العدو.
- **قابيل** : برابرة من منطقة القبائل فى الجزائر .
- **الكنيست** : البرلمان الإسرئيلي
- **الخط الأزرق** : رسمته الأمم المتحدة فى يونيو ٢٠٠٠ ليصنع نهاية للاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان ويحدد الحدود اللبنانية الإسرائيلية .
- **المنظمة الإسلامية العالمية:** منظمة إسلامية غير حكومية تهدف لجمع المسلمين فى العالم.
- **المشرق:** جزء من الشرق يمتد من مصر إلى العراق وشبه الجزيرة العربية.
- **المغرب** : منطقة فى شمال أفريقيا " المغرب الكبير " ويضم الصحراء وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا .
- **الماروني:** عضو الكنيسة الكاثوليكية الرئيسية فى الشرق وتوجد أساسًا فى سوريا ولبنان.
- **الملا** : عضو فى الهرمية الشيعة .
- **المداومة:** قانون حقوق الأسرة الحالي فى المغرب.
- **الموساد** : جهاز المخابرات الإسرائيلية .
- **المجاهد:** هو من يناضل باسم عقيدته وهذا المصطلح يعبر دائمًا عن المقاتلين فى أفغانستان وإيران.
- **حركة الشباب التركي** : حزب سياسي وطني وثوري عثماني .
- **أموي:** عضو من سلالة خليفة سني.

- **العلماءُ:** العارفون فى التقاليد الإسلامية والإسلام .
- **الأمة العربية:** مفهوم المجموعة العربية العالمية.
- **باشا** : لقب لشخصية بارزة فى العهد العثماني .
- **باشتون** : بدو هنود وأوربيون يعيش معظمهم فى أفغانستان وباكستان
- **الفرس** : اسم إيران القديمة .
- **الريس:** زعيم سياسي للعالم العربي.
- **السلفية:** تيار إسلامي يدعو للعودة إلى أصول الإسلام.
- **الإسكندرونة** : قسم إداري وكانت تابعة لسوريا ولكن تنازلت عنها فرنسا لتركيا فى العام ١٩٣٩ .
- **الباب العالي** : تسمية تستخدم فى العصر العثماني للإشارة إلى باب الشرق لكبار الوزراء فى اسطنبول .
- **طالبان** : حركة أصولية سنية توجد أساسًا فى باكستان وأفغانستان .
- **ساحال** : الجيش الإسرائيلي .
- **اتحاد المغرب العربي:** منظمة سياسية اقتصادية تجمع موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا.
- **الوهابية:** حركة إسلامية سنية تدعو للعودة إلى أصول الإسلام كما كان يراه محمد بن عبد الوهاب.
- **الزكاة:** هي ضريبة إجبارية تعد ثالث ركن فى الإسلام ليعاد توزيعها على الفقراء المساكين.

التسلسل التاريخي لأحداث مهمة خاصة بالشرق الأوسط

{ ١٩١٤ }

في فبراير : طلب شريف مكة من القنصل البريطاني فى مصر استقلال أوسع للحجاز، الإقليم الغربي للسعودية

يونيو : الاتفاق بين بريطانيا وألمانيا على موضوع خط سكة حديد بغداد .

أغسطس : التوقيع على معاهدة سرية بين الإمبراطورية العثمانية وألمانيا ضد روسيا

نوفمبر : تم وضع الكويت تحت الوصاية البريطانية لتجنب أيَ اعتداء على حدودها وسيطرة الإنجليز على البصرة لتأمين حماية الخليج والإمدادات البترولية الفارسية .

ديسمبر : عقد حاييم وايزمان نائب رئيس الفيدرالية الصهيونية فى بريطانيا العظمى، اجتماعًا مع الوزير البريطاني هوبر صمويل واللورد آرثر بلفور المهتمين بشأن إنشاء وطن يهودي فى فلسطين. وفرض البريطانية على مصر أصبح رسميًا. وحسين كامل يأخذ لقب سلطان مصر.

{ ١٩١٥ }

يناير : هجوم الجيش العثماني على السويس .

فبراير : فشل الهجوم على مصر على يد الجيش المصري مدعوما بالجيش البريطاني

مارس: اتفق الحلفاء على تقسيم المنطقة وتفكيك الإمبراطورية العثمانية فى حالة الانتصار فى الحرب ووضع نظام دولي للأماكن المقدسة.

أبريل: بداية المذبحة الأرمنية، والقبض على ٦٠٠ أرمني فى القسطنطينية. وطالب الشريف حسين المساعدة البريطانية اللازمة لإطلاق تمرد شعبي عربي، والذي سمى بعد ذلك الثورة العربية الكبرى .

يوليو : اقترح البريطاني ماك ماهون خلق حركة تمرد فى شبه الجزيرة العربية فى مقابل إعطائهم الاستقلال .

أغسطس : وافق ماك ماهون على " استقلال السعودية " ولكن أجل تحديد الحدود إلى ما بعد الحرب .

ديسمبر : انسحاب الجيوش البريطانية والفرنسية من الدردنيل. وحصل ابن سعود على اعتراف من بريطانيا العظمى على مملوكيته، ومساعدة مالية عسكرية فى مقابل احترام الأراضي التي تخضع للحماية البريطانية .

{ ١٩١٦ }

مايو : اتفاق سايكس – بيكو السري الذي تم توقيعه من جانب بريطانيا وفرنسا وروسيا، وفى حال انتصار الحلفاء سيتم تفكيك الإمبراطورية العثمانية، القسطنطينية والدردنيل والبسفور ستذهب إلى روسيا، العراق والخليج الفارسي للإنجليز، سوريا ولبنان وإقليم أدنة للفرنسيين ودائما نظام دولي للمناطق المقدسة .

يونيو : إعلان استقلال الحجاز

. ثورة عربية فى مكة بمساعدة الإنجليز ضد الأتراك، وبخلاف ما قد تم الاتفاق عليه فى معاهدة سايكس بيكو والتي وقعت عليها بريطانيا التي كانت قد وعدت الشريف " بمملكة من الحجاز حتى دمشق " .

نوفمبر : إعطاء الصفة الرسمية للحماية البريطانية على قطر .

{ ١٩١٧ }

فبراير : بداية المفاوضات بين الحكومة البريطانية وممثلين عن الحركة الصهيونية لإنشاء دولة يهودية فى إسرائيل .

مارس : أول معركة فى غزة، أوقف فيها الأتراك القوات البريطانية القادمة من مصر .

أبريل: معركة غزة الثانية.

يونيو: إنشاء اللجنة المركزية السورية فى باريس، والتي تطالب بإنشاء سوريا مستقلة فى داخل الإمبراطورية العثمانية .

يوليو: أول نجاح للثورة العربية والاستيلاء على العقبة.

أغسطس : معاهدة " سان جان مورين " وقعت عليها كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا تعطى لإيطاليا بعض الأقاليم من الإمبراطورية العثمانية .

أكتوبر: اعتلاء الملك أحمد فؤاد عرش مصر، وبداية الحرب الثالثة فى غزة.

نوفمبر : وعد بلفور الذي يثير موضوع إقامة وطن يهودي فى فلسطين واستيلاء القوات البريطانية على غزة ويافا .

ديسمبر: دخول الإنجليز للقدس ومعاهدة سلام بين الدولة العثمانية وروسيا السوفيتية.

{ ١٩١٨ }

مايو: أعلن الأرمن استقلالهم وأقاموا جمهورية أرمنية مستقلة.

يوليو: بداية عصر السلطان محمد السادس سلطان الإمبراطورية العثمانية.

سبتمبر: ضم فلسطين للحماية البريطانية وتوقيع اتفاقية بين إنجلترا وفرنسا تعترف بمنطقة نفوذ فرنسية فى سوريا (وحدة القيادة تحت سيطرة بريطانيا)

أكتوبر: دخول الإنجليز لدمشق وتتويج الملك حسين " ملك العرب "

وفرنسا التي تحتل الشاطئ اللبناني تأخذ بيروت ثم طرابلس

سقوط حلب

اتفاقية " مودروس " لتسريح جيش الإمبراطورية العثمانية .

إعلان استقلال اليمن .

نوفمبر : لجوء حكام الإمبراطورية العثمانية إلى ألمانيا .

يستولى الحلفاء على القسطنطينية ويدخلون لواء الإسكندرية .

{ ١٩١٩ }

يناير – يونيو : مؤتمر فرساي لتقسيم النفوذ الفرنسي البريطاني فى الشرق الأوسط. ومطالبة السوريين ببناء سوريا الكبرى التي تضم فلسطين ولبنان. ومطالبة الصهيونيين بفتح باب الهجرة الحرة نحو فلسطين .

مارس : أول ثورة مصرية ضد البريطانيين .

مايو : ابن سعود يحتل منطقة عسير الواقعة بين اليمن والحجاز .

القوات اليونانية تصل إلى سميرن .

يوليو : زعماء الشباب التركي طلعت باشا وأنفر باشا، وجمال باشا والدكتور نظيم ثم الحكم عليهم بالإعدام غيابيًا فى القسطنطينية لمسئوليتهم عن مذابح الأرمن .

أغسطس: لجنة تحقيق بريطانية تحاول إيجاد حل لحركات الثورية المصرية.

{ ١٩٢٠ }

يناير: يصادق البرلمان التركي على اتفاقية وطنية بوحدة الأراضي غير الخاضعة للاحتلال

مارس : يقرر المؤتمر الوطني العربي فى دمشق تنصيب الملك فيصل ملكاً على سوريا الكبرى، وتضم فلسطين ولبنان، وعبد الله الثاني ملكا على العراق .

بداية الاضطرابات فى فلسطين ضد السياسة البريطانية فى إقامة وطن يهودي، إنشاء اللجنة اليهودية المكلفة بشراء أراضى العرب .

أبريل: هيئة الأمم المتحدة تعطى الوصاية لبريطانيا العظمى على فلسطين والأردن وبداية الوصاية الفرنسية على سوريا.

يونيو: بداية ثورة شيعية فى العراق ضد الحكومة العسكرية البريطانية. وهجوم يوناني على تركيا.

يوليو : الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال جورو ينتصر فى معركة يساعلون فى سوريا .

أغسطس: معاهدة " سفر " : تفكيك الإمبراطورية العثمانية، العراق وفلسطين والأردن تعود لبريطانيا العظمى. وسوريا ولبنان وسيسليا تعود لفرنسا .

سبتمبر : يعلن الجنرال جورو فى بيروت قيام لبنان الكبرى .

٢٢سبتمبر – ٢ ديسمبر : الحرب التركية الرومانية .

ديسمبر : يطالب المؤتمر الثالث للمسلمين والمسيحيين فى حيفا بإيقاف الصهيونية وباستقلال دولة فلسطين تحت النفوذ البريطاني .

{ ١٩٢١ }

فبراير : ثورة المزارعين الأرمن ضد الجيش الروسي .

مارس : معاهدة موسكو : اعتراف روسيا بسيادة تركيا على المضايق .

نصر تركي على اليونانيين فى يونوى .

مؤتمر القاهرة والذي يسمح فيه تشرشل بالسلطة السياسية للملك فيصل على العراق والذي كان قد طرد من دمشق بواسطة الفرنسيين .

يوليو : هجوم يوناني ثانٍ ضد الأتراك .

أغسطس: ابن سعود يرفع من مستوي إمارته فى نجد إلى مستوى سلطنة وبداية ملك فيصل الملك الهاشمي على العراق تحت الحماية البريطانية .

الكولونيل رضا خان يستولى على السلطة فى طهران بعد انقلاب عسكري ويستمر رئيسًا للوزراء حتى ١٩٢٥.

{ ١٩٢٢ }

فبراير: نهاية الوصاية البريطانية على مصر واستقلالها.

مارس: السلطان فؤاد يتوج ملكًا على مصر

يونيو : وضع الكولونيل جورو النظام الإداري لسوريا .

لندن تنشر الكتاب الأبيض والذي يتحدث عن تطور الطائفة اليهودية مع مؤسساتها الذاتية فى فلسطين .

يوليو : تبنى وثيقة الوصايا على فلسطين إعلان بلفور، وتحث الموافقة عليها من طرف البرلمان البريطاني على خلفية الكتاب الأبيض والذي يتحدث عن تطور الطائفة اليهودية مع مؤسساتها الذاتية فى فلسطين .

سبتمبر : المناطق الشرقية لنهر الأردن تم فصلها عن فلسطين ومن الوصاية البريطانية وأنشأ البريطانيون الضفة الغربية والتي تم إهداؤها للأمير عبد الله أحد أبناء الشريف حسين .

أكتوبر: مصطفى كمال يلغى نظام السلطنة العثمانية فى تركيا ويعلن قيام الجمهورية.

توقيع اتفاق بين البريطانيين والعراق يسمح لبريطانيا بالسيطرة على الإدارة العراقية وعلي البترول.

معاهدة سلام بين تركيا واليونان واستعادة تركيا لسيادتها على القسطنطينية أنشأ دولة جبل الدروز .

ديسمبر: التصديق على الوصاية الفرنسية على سوريا من قبل هيئة الأمم.

{ ١٩٢٣ }

يناير : التوقيع على معاهدة بين تركيا واليونان تسمح بتبادل السكان بين البلدين .

أبريل: الموافقة على الدستور المصري ويظل الإسلام دين الدولة.

مايو: تم التخلي عن الدستور الفلسطيني من قبل الإنجليز.

يوليو: نهاية الحرب التركية اليونانية وتستعيد تركيا أرمنيا وبعض المناطق المجاورة.

أكتوبر: إعلان أنقرة عاصمة لتركيا وإعلان الجمهورية عبر مجلس الشعب التركي وانتخاب مصطفى كمال رئيسًا للجمهورية.

{ ١٩٢٤ }

يناير: فوز الوفد المصري فى الانتخابات والذي نادي بالاستقلال فى أول انتخابات تشريعية فى مصر.

مارس : إلغاء نظام الخلافة .

يونيو : أعلن رئيس الوزراء المصري بأن السودان جزء لا يتجزأ من مصر .

{ ١٩٢٥ }

يوليو : ثورة يتزعمها السلطان الأطرش فى جبل الدروز .

سبتمبر : حملة عسكرية للإفراج عن القوات الفرنسية المحاصرة فى جبل الدروز .

أكتوبر : الثورة السورية .

نوفمبر : اتفاق بين آل سعود والقوات البريطانية لرسم حدود السعودية مع الأردن.

ديسمبر: تم تنصيب رضا خان شاهًا لإيران بمساندة البريطانيين .

{ ١٩٢٦ }

يناير : تنصيب ابن سعود ملكًا على مملكة الحجاز والسلطان ناجيد على مكة ثم تمتد سلطته على معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية .

أبريل : دخول القوات المتمردة الدرزية إلى دمشق .

تتويج رضا خان تحت اسم رضا خان بهلوى .

مايو: مؤتمر القاهرة حول موضوع الخلافة، والاعتراف بالدستور اللبناني.

يونيو: نظم ابن سعود مؤتمرًا فى مكة يجمع العالم الإسلامي. والهدف منه الاعتراف بالتيار الوهابي فى الطائفة السنية .

{ ١٩٢٧ }

مايو: معاهدة جدة والتي تعترف فيها المملكة البريطانية بالملك ابن سعود ملك المملكة السعودية المستقلة .

{ ١٩٢٨ }

مارس : حسن البنا ينشئ حركة الإخوان المسلمين فى مصر وهدفها إنشاء دولة إسلامية كبيرة تقام على الشريعة المستمدة من العقيدة السنية الخالية من التأثير الثقافي المحلى .

أبريل : أول انتخابات تقع فى سوريا .

سبتمبر : اتفاق " الكتاكرى " حول تنظيم المنافسات المتعلقة بسوق البترول .

{ ١٩٢٩ }

أغسطس : حاييم وايزمان ينشئ الهيئة اليهودية بمدينة زيورخ والتي تقوم بتنظيم تطور المستعمرات اليهودية فى فلسطين .

مذبحة قام بها الأهالي والبوليس الفلسطيني قتل ٦٧ يهوديًا من سكان عبرون .

{ ١٩٣٠ }

مارس : يتغير اسم مدينة القسطنطينية إلي مدينة إسطنبول، وأنجورا إلى أنقرة .

تخرج لجنة " شو " المكلفة بدراسة أسباب المواجهات بين اليهود والعرب فى فلسطين بتقرير ينصح بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

يونيو: نهاية الوصاية البريطانية على العراق مع الاحتفاظ بحلف يربطها ببريطانيا العظمى على مدى ٢٥ سنة .

أكتوبر : إعادة تبنى تقرير لجنة شو فى كتاب أبيض جديد .

نوفمبر: دستور جديد فى مصر يعطى صلاحيات أوسع للملك وللحكومة .

مطالبة هيئة الأمم الإعداد لاستقلال العراق والحفاظ على الأقليات الكردية والآشورية .

{ ١٩٣١ }

ديسمبر: نظم مفتى القدس مؤتمرًا إسلاميًا يدين الصهيونية ويطالب بوقف الهجرة اليهودية.

{ ١٩٣٢ }

مايو: استقلال العراق.

سبتمبر: إقامة المملكة العربية السعودية والتي توحد دول الإمارات فى الحجاز ونجد والأسير وعسير .

أكتوبر: التحاق العراق بهيئة الأمم ويصبح أول بلدٍ عربي فى المنظمة.

نوفمبر : إعلان شاه إيران سحب كل الامتيازات المعطاة للشركة الإنجليزية الفارسية للبترول، البريطانيون يرفعون شكوى أمام هيئة الأمم .

{ ١٩٣٣ }

إبريل – مايو: اتفاق بريطاني إيراني تحت مظلة هيئة الأمم.

يونيو : اغتيال حايين أرلوزوروف رئيس القسم السياسي للمكتب اليهودي فى تل أبيب .

سبتمبر: موت فيصل ملك العراق واعتلاء ابنه غازي عرش المملكة.

أكتوبر : مظاهرة عربية فى فلسطين ضد الاحتلال الإنجليزي تؤدى إلى مقتل ٣٠ شخصًا .

{ ١٩٣٤ }

مايو: معاهدة الطائف وفيها تعترف السعودية باليمن، واليمن تعترف بعسير ضمن حدود المملكة.

ديسمبر: المملكة الفارسية تتحول إلى مملكة إيران بعد مرسوم ملكي.

{ ١٩٣٥ }

يناير: رضا خان يقرر منع الحجاب للمرأة ويجبر الرجال على ارتداء الملابس الغربية.

مارس: حكومة ائتلاف فى العراق.

أغسطس : القوات العراقية تخمد تمردًا كرديًا .

سبتمبر: إعلان نير وبرج للقوانين المناهضة لليهود.

نوفمبر: ثورة عربية فى فلسطين ضد الوصول المكثف لليهود فى البلاد. الأحزاب السياسية العربية تطالب بوقف الهجرة اليهودية بمنع بيع الأراضي لليهود واستقلال الإدارة على قاعدة الأغلبية .

ديسمبر : نجحت السلطة البريطانية فى إعادة الدستور المصري الموضوع فى العام ١٩٢٣ .

{ ١٩٣٦ }

يناير: إضراب عام فى سوريا يشل البلاد على مدى ثلاثة شهور .

أبريل : إعلان القوات البريطانية حالة الطوارئ فى فلسطين بعد مقتل ٩ يهوديين. وإضراب عام .

معاهدة أخوة بين العراق والمملكة العربية السعودية .

وفاة الملك فؤاد الأول فى مصر وتولى الملك ابنه فاروق .

مايو : بداية الثورة الفلسطينية الكبرى .

يوليو : اتفاقية مونترو والتي تعيد لتركيا السيادة على الدردنيل .

أغسطس: معاهدة لندن التي تقيم حلفًا أبديًا بين مصر وبريطانيا.

سبتمبر: اتفاق فينو الذي يقرر استقلال سوريا خلال ثلاث سنوات.

أكتوبر: انقلاب عسكري فى العراق.

{ ١٩٣٧ }

ابريل: دخول المملكة المصرية فى هيئة الأمم.

مايو : انفصال لواء الإسكندرونة عن سوريا ويصبح منطقة تحت إدارة هيئة الأمم .

يوليو: بداية المقاومة الشعبية فى الجزيرة، وجبل الدروز، ووصول العلويين لحكم سوريا .

تقرير لجنة وبيل حول " العنف فى الشرق الأوسط " والذي يدعو إلى تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب .

التوقيع على معاهدة " ساداباد بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان والتي تنص على التزام الأطراف بالحدود الموجودة وعدم مساندة أي عدوان على الدول الأعضاء. وهذه المعاهدة أساسًا موجهة ضد الأكراد .

استقالة رئيس الوزراء العراقي تحت ضغط الجيش .

سبتمبر : تم وقف عمل المفتى فى الجليل ولجوؤه إلى لبنان، بعد مقتل المفوض البريطاني فى الجليل .

{ ١٩٣٨ }

نوفمبر : لجوء اليهود الألمان إلى فلسطين .

{ ١٩٣٩ }

فبراير : افتتاح مؤتمر سان جيمس فى بريطانيا حول وضع فلسطين .

مايو: بريطانيا تصدر كتابا أبيض جديدًا يرى أن فلسطين لن تكون دولة لليهود، ولكن عليها تطوير طائفة. ويحدد بـــ ٧٥ ألف لاجئ سنوي لليهود إلى فلسطين.

يونيو: تنازلت فرنسا عن لواء الإسكندرية لتركيا.

إعادة توطين الأرمن فى لبنان .

سبتمبر: بداية الحرب العالمية الثانية. القضاء على اليهود فى أوروبا تحت الحكم النازي .

{ ١٩٤٠ }

سبتمبر: إيطاليا تجتاح مصر .

{ ١٩٤١ }

أبريل: انقلاب عسكري فى العراق – والطيران البريطاني يقذف الحدود العراقية .

وضع فرقَ إنقاذ فى فلسطين .

مايو : القوات البريطانية تحتل بغداد .

الجيش العراقي يوقع على معاهدة سلام وتظل البلاد تحت الاحتلال البريطاني لمدة أربع سنوات.

يونيو : الجيش البريطاني يدخل سوريا .

يوليو : التوقيع فى " سان جان درك " على معاهدة سلام بين البريطانيين وحكومة (فيشي) تنص على احتلال سوريا من قبل البريطانيين والقوات الفرنسية الحرة .

أغسطس : القوات البريطانية تجتاح الجنوب والجنوب الغربي من إيران بعد أن رفض الشاه مساعدة الحلفاء وقامت القوات السوفيتية باحتلال الشمال .

اضطرار تخلى الشاه رضا خان الموالى لألمانيا، عن عرشه لابنه محمد رضا .

سبتمبر : وصول الحلفاء إلى طهران .

نوفمبر: مفتى القدس يعرض على ألمانيا تعاونا سياسيًا وعسكريا.

{ ١٩٤٢ }

فبراير : القوات البريطانية تحاصر القصر الملكي المصري، ومسارعة الضباط الأحرار بمساندة العرش .

مايو : المنظمات الصهيونية تجتمع فى فندق بالتيمور فى نيوريوك وتتبنى برنامجًا يؤدى إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ودافيد بن جوريون يقترح إقامة الثورة اليهودية المشتركة " الكومنولث اليهودي " فى فلسطين تحت الوصاية .

نوفمبر : ألمانيا تتعهد بالتزامها نحو استقلال العرب بعد نزول قوات التحالف فى شمال إفريقيا .

{ ١٩٤٣ }

مارس : مصر تدعو الحكومات العربية الأخرى لإرسال مبعوثيها لمناقشة موضوع الوحدة العربية .

أغسطس : انتخاب شكري القوتلى رئيسا للكتلة الوطنية .

بداية الاتصالات بين ابن سعود والولايات المتحدة الأمريكية.

سبتمبر: فوز القوميين فى انتخابات لبنان.

نوفمبر: قلبت فرنسا الحكم فى لبنان، مظاهرات تنطلق فى أرجاء البلاد وظهور حلف وطني.

{ ١٩٤٤ }

أكتوبر: إنشاء الجامعة العربية فى اتفاقيات الإسكندرية والتأكيد على استقلال العرب فى فلسطين.

{ ١٩٤٥ }

فبراير : لقاء بين الرئيس الأمريكي روزفلت مع الملك ابن سعود على ظهر باخرة أمريكية فى قناة السويس .

أعلنت تركيا الحرب على ألمانيا واليابان .

مايو : بداية الثورة فى سوريا ولبنان .

يونيو : إعفاء كل الموظفين الفرنسيين من مناصبهم فى سوريا ولبنان .

أكتوبر : مظاهرات فى مصر تطالب بانسحاب القوات البريطانية .

نوفمبر: الإخوان المسلمون يقومون بعمليات تفجير فى الأحياء اليهودية فى القاهرة .

ديسمبر: مفاوضات بين فرنسا وإنجلترا تبحث فى الانسحاب النهائي للفرنسيين من سوريا ولبنان .

مصر تطالب رسميا بإعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ مع البريطانيين.

إيران تضم الجمهوريات المستقلة فى أذربيجان وكردستان وموسكو تؤيد .

{ ١٩٤٦ }

يناير : بريطانيا توافق على بداية المفاوضات لجلاء قواتها عن مصر .

فبراير : انسحاب آخر الجنود البريطانيين من إيران .

مارس : الإعلان عن انسحاب معظم القوات الفرنسية من لبنان. وبريطانيا تعترف باستقلال الأراضي الأردنية .

أبريل : مغادرة الجيش السوفيتي لإيران وانسحاب آخر القوات الفرنسية من سوريا .

مايو : إعلان استقلال المملكة الهاشمية فى الأردن وتتويج الأمير عبد الله على العرش ملكاً .

يوليو : الملك عبد الله تقسيم بالتوافق لفلسطين – والإعلان عن خطة موريسون جرادي والتي تقترح تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق (يهودية وعربية – وبريطانية) .

أغسطس : الهيئة اليهودية ترفض خطة موريسون جرادى .

ديسمبر : انسحاب القوات السوفيتية من إيران، والحكومة تسيطر على أذربيجان وكردستان .

{ ١٩٤٧ }

أبريل : بريطانيا العظمى تعهد للأمم المتحدة بموضوع فلسطين .

يوليو : إبحار الرئيس روزفلت مع ٤٥٠٠ يهودي ناجين من معسكرات الإبادة الألمانية، على متن باخرة استأجرتها المنظمة الصهيونية (الهجانة) للتوجه إلى فلسطين، حيث تم إعادتها من قبل القوات البريطانية استمر هذا الموضوع حتى شهر سبتمبر حين تم إيقاف كل من كان على متن الباخرة وإعادتهم إلى ألمانيا، فى مناطق تحت السيطرة البريطانية. هذا الموقف أثار موجة غضب فى الرأي العام العالمي والذي كان له أكبر الأثر على الاعتراف بدولة إسرائيل فيما بعد ..

مصر تتقدم بشكوى أمام الأمم المتحدة ضد الوجود البريطاني على أراضيها .

أغسطس : الأمم المتحدة تصدر تقريرًا يطالب بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وإنشاء منطقة دولية تضم القدس وبيت لحم .

سبتمبر : القوات البريطانية تنسحب من فلسطين بدون نقل للسلطة .

نوفمبر: القرار رقم ١٨١ الصادر عن الأمم المتحدة بعد موافقة ٣٣ صوتًا، ١٣ صوتًا رافضًا، وامتناع عشرة أصوات. ويدعو لتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية ومنطقة دولية تضم القدس وبيت لحم وبداية الحرب الأهلية فى فلسطين .

{ ١٩٤٨ }

يناير : وقعت العراق معاهدة " بورت سموت " والتي تتعهد فيها بريطانيا بإخلاء قواعدها العسكرية فى العراق .

مارس : المجلس اليهودي يشكل مجلسًا يرأسه دافيد بن جوريون فى فلسطين .

أبريل : مذبحة دير ياسين قرب مدينة القدس والتي قامت بها جماعة أيرجون بزعامة مناحم بيجين وإسحاق شامير. والهيئة اليهودية تقيم حكومة مؤقتة فى فلسطين .

مايو : اليهود تستولي على حيفا والمدنيون العرب يلجأون إلى سوريا ولبنان .

قرأ بن جوريون إعلان دولة إسرائيل واستقلالها. اعتراف أمريكا والاتحاد السوفيتي بالدولة العبرية. ويشغل بن جورين منصب رئيس الوزراء حتى ١٩٦٣م، بخلاف انسحاب من الحكومة ما بين ١٩٥٤م – ١٩٥٥م. انتهاء الوصاية البريطانية. إعلان أول حرب إسرائيلية عربية. اجتياح جيوش مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق الأراضي الفلسطينية. قام ابن جورين بإنشاء "تسحل" وهو الجيش الإسرائيلي والذي يجمع بين الهجانة وأيجرون وللهى .

يونيو : إيقاف إطلاق النار بين إسرائيل والجامعة العربية .

يوليو : خرق اتفاق وقف إطلاق النار من الجانب العربي ثم الموافقة على وقف إطلاق النار. تشكيل حكومة عربية فى غزة .

أكتوبر : الجيش الإسرائيلي يقوم بالهجوم على الجيش المصري وهجوم عراقي على منطقة نابلس .

ديسمبر : إعلان الوحدة بين الأردن والضفة الغربية – التصويت على القرار ١٤٩ للأمم المتحدة الذي يوافق على حق عودة اللاجئين والتعويضات اللازمة لهم .

١٩٤٨- ١٩٥٢ هجرة مكثفة نحو إسرائيل (٧٠٠ ألف مهاجر يهودي) من البلاد العربية وأوروبا .

عمليات البساط الطائر وهو اسم عملية سرية لترحيل ٤٥ ألف يهودي يمنى نحو إسرائيل وعملية أزمما والتي تسعى لنقل ١١٠ ألف يهودي من العراق نحو إسرائيل.

{١٩٤٩ }

يناير : نهاية المعارك فى فلسطين تحت التهديد البريطاني بالتدخل. انتخاب أول كنيست إسرائيلي " مجلس الشعب "الإسرائيلي " .

فبراير : القبض على المرشد الأعلى للإخوان المسلمين فى مصر .

معاهدة السلام تحت رعاية الأمم المتحدة لوضع حد للمعارك. استولت إسرائيل على ٢٦٪ من الأراضي إضافة إلى الجزء الغربي من القدس. وضمت الأردن الضفة الغربية، وعادت غزة إلى مصر وتوزع اللاجئون الفلسطينيون فى معسكرات بين الضفة الغربية وقطاع غزة، والأردن وسوريا ولبنان.

مارس : قامت إسرائيل بهجوم أخير على جنوب صحراء النجف. وتم إعادة وقف إطلاق النار. معاهدة سلام بين إسرائيل ولبنان. وانقلاب عسكري فى سوريا .

إبريل : تتويج الملك عبد الله ملكا للأردن وتوقيع معاهدة سلام مع الأردن .

مايو: قبول إسرائيل العضو التاسع والخمسين فى الأمم المتحدة تبعًا لنص القرار ٢٧٣ والدول العربية ترفض الاعتراف بهذا القرار.

يونيو : حسنى الزعيم يفوز برئاسة الجمهورية السورية وتوقيع معاهدة بين إسرائيل وسوريا.

أغسطس : انقلاب عسكري جديد فى سوريا ويقتل خلاله حسنى الزعيم، ويتولى العقيد الحناوى رئاسة الجمهورية. فشل اللجنة المشكلة لإيجاد حل خاص بمدينة القدس .

ديسمبر : إنشاء مكتب إغاثة اللاجئين الفلسطينيين فى الشرق الأوسط تابع لمنظمة الأمم المتحدة (الأونراوا) .

{ ١٩٥٠ }

أبريل: إعلان الملك عبد الله ضم الضفة الغربية.

مايو: التوقيع على اتفاقية بين الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا تتعهد فيها هذه الدول ضمان الحدود بعد الحرب العربية الإسرائيلية.

يوليو : موافقة الكنيست الإسرائيلي على " قانون العودة " والذي يؤكد على حق كل اليهود فى الاستقرار فى إسرائيل .

{ ١٩٥١ }

مارس : بداية الأزمة بين بريطانيا وإيران على خلفية تأميم البترول الإيراني .

أبريل : استقالة رئيس الوزراء الإيراني ووصول محمد مصدق رئيسًا للوزراء. والبرلمان الإيراني يصدق على التأميم الفوري لصناعة البترول. وتتقدم الشركة البريطانية الإيرانية للبترول وبريطانيا بشكوى أمام محكمة العدل الدولية .

يونيو : التوقيع على اتفاقية الدفاع المشترك بين السعودية والولايات المتحدة .

يوليو: اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن واعتلاء ابنه طلال للعرش فى الأردن .

أغسطس: الولايات المتحدة تهدد إيران بقطع المساعدات إن لم تجد حلاً مع الحكومة البريطانية.

أكتوبر: رئيس وزراء مصر يرفض اتفاقية ١٩٣٦ بين بلاده وبريطانيا العظمى ويتوج الملك فاروق ملكًا على السودان أيضًا. وبريطانيا تقبل ببقاء قواتها فى منطقة قناة السويس فقط .

أديب الشيشاكلى فى سوريا يحل البرلمان ويقيم حكومة عسكرية فى سوريا

{ ١٩٥٢ }

يناير : الملك طلال فى الأردن يسمح بتشكيل الدستور وصدامات بين القوات البريطانية والشرطة المصرية توقع أكثر من خمسين قتيلاً .

فبراير : دخول تركيا فى منظمة الأمم المتحدة ومصر تعلن الأحكام العرفية ويقوم الملك فاروق بإبعاد الحكومة ويتمسك بالسلطة وحده .

يوليو : انقلاب عسكري فى مصر على أيدى الضباط الأحرار ويتولي رئاسة الدولة الكولونيل محمد نجيب والملك فاروق يتنازل عن العرش لابنه فؤاد .

أغسطس: الملك حسين يعتلى عرش المملكة الهاشمية الأردنية خلفا لوالده الملك طلال.

{ ١٩٥٣ }

مايو: تتويج الملك حسين ملكًا للأردن.

يونيو: محمد نجيب يعلن قيام الجمهورية المصرية. وبريطانيا توافق على ضم السودان .

يوليو : انتخاب أديب الشيشاكلى رئيسًا للجمهورية السورية .

أغسطس : الموالون للشاه محمد رضا بلهوي وبمساعدة المخابرات الأمريكية يقومون بقلب نظام الحكم فى إيران وخلع مصدق .

أكتوبر : استقالة دافيد بن جور يون فى إسرائيل وإقامة أول قاعدة عسكرية لحلف الأطلنطي فى تركيا .

نوفمبر: وفاة الملك ابن سعود، واعتلاء ابنه الأكبر سعود للعرش فى السعودية.

{ ١٩٥٤ }

يناير: مظاهرات فى سوريا ضد النظام القائم. وفى مصر عبد الناصر يقرر حل حزب الإخوان المسلمين.

فبراير : رئيس الحكومة السورية يلجأ إلى لبنان ومحمد نجيب فى مصر يعترض على حل حزب الإخوان المسلمين ثم يستقيل. وعبد الناصر يصبح رئيس وزراء وبسبب معارضة الجيش يعيد عبد الناصر محمد نجيب إلى السلطة. ولكن بصورة رمزية فالسلطة الحقيقية هي فى يد مجلس الثورة وعبد الناصر هو رئيس المجلس الثوري.

يونيو : سعيد الغازي يشكل حكومة جديدة فى سوريا .

يوليو : بداية عملية استخباراتية إسرائيلية تهدف إلى الإساءة للعلاقات بين مصر والدول الغربية. تفجير لمكتبة المعلومات الأمريكية فى الإسكندرية والقاهرة .

أغسطس: عبد الناصر يطلب المساعدة من الولايات المتحدة ويطالب بمعاهدة دفاع مشترك بين الدول العربية.

سبتمبر: مصر تصادر باخرة إسرائيلية وتحتجز طاقمها.

أكتوبر: فشل محاولة اغتيال عبد الناصر من جانب أعضاء الإخوان المسلمين. والسلطة المصرية تحل منظمة الإخوان المسلمين.

نوفمبر : تم تعيين فارس الخورى رئيس وزراء فى سوريا، وعبد الناصر يحدد إقامة محمد نجيب ليصبح هو رئيس الوزراء .

ديسمبر : إعدام ١٢ عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين فى مصر. والحركة تلجأ إلى السعودية .

{ ١٩٥٥ }

فبراير : حلف بغداد بين العراق وتركيا .

مارس : معاهدة تعاون عسكري بين مصر وسوريا ضد العراق. وبريطانيا تلتحق بحلف بغداد .

أبريل: معاهدة تعاون بين تركيا وباكستان.

يوليو: تلتحق باكستان بحلف بغداد.

أكتوبر: إيران تلتحق بحلف بغداد.

نوفمبر: إسرائيل تسيطر على إحدى الطرق الرئيسية المؤدية إلى صحراء سيناء.

{ ١٩٥٦ }

يناير: عبد الناصر يطلب من الدول الغربية المساعدة على بناء السد العالي.

يوليو: أعلنت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا رفضهم لتمويل بناء السد العالي. عبد الناصر يؤمم قناة السويس ويصادر ممتلكات شركة قناة السويس العالمية .

تقوم الولايات المتحدة بتجميد مستحقات مصر وتقطع المعونات الغذائية عن مصر.

أغسطس: اعتراف الاتحاد السوفيتي بأحقية مصر فى تأميم قناة السويس العالمية. تعرض أمريكا وبريطانيا إقامة منظمة دولية تقوم على إدارة قناة السويس.

سبتمبر : القوات الفرنسية تتمركز فى قبرص لحماية الجالية الفرنسية فى مصر. وعبد الناصر يرفض خطة الولايات المتحدة .

أكتوبر : توقيع اتفاقية سرية بين فرنسا وبريطانيا العظمى وإسرائيل فى مدينة "سفر" الفرنسية. تسعى للإطاحة بعبد الناصر، واستعادة قناة السويس. وبداية حرب السويس ..

نوفمبر : إسرائيل تجتاح قطاع غزة وسيناء. وسوريا والأردن يقطعان علاقاتهما الدبلوماسية مع فرنسا.

نزول القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية فى بورسعيد واستيلاء هذه القوات على قناة السويس، ولكن تحت الضغوط الأمريكية تراجعت هذه القوات وهذه الخطوة وضعت نهاية سيطرة القوات الاستعمارية العظمى فى المنطقة وصدور قرار من الأمم المتحدة يطالب بانسحاب القوات الإنجليزية والفرنسية والإسرائيلية من مصر .

ديسمبر : قوات الأمم المتحدة تصل إلى قناة السويس .

{١٩٥٧}

يناير: إسرائيل تعيد غزة وتنسحب من سيناء تحت الضغوط الأمريكية.

يوليو : الأمير كريم يصبح أغاخان .

أغسطس: اتفاق تعاون بين سوريا والاتحاد السوفيتي.

أكتوبر : وصول قوات مصرية إلى سوريا

{١٩٥٨ }

فبراير: إعلان عبد الناصر قيام الجمهورية العربية المتحدة فى وحدة تضم مصر وسوريا وتتحد كل من الأردن والعراق.

التوقيع على معاهدة الوحدة بين مصر وسوريا.

وقطاع غزة يضع وثيقة لإنشاء منظمات مشتركة مصرية فلسطينية .

مارس : تلتحق اليمن بالجمهورية العربية المتحدة .

مايو: بداية الأزمة اللبنانية: وانتفاضة ناصرية ضد الحكم القائم.

يوليو : انقلاب عسكري ضد النظام الملكي الهاشمي فى العراق ونزول قوات أمريكية فى بيروت .

بناء على طلب من الملك حسين القوات البريطانية تصل إلى الأردن .

أغسطس: بريطانيا والولايات المتحدة تعترفان بالنظام الجديد فى العراق.

{ ١٩٦٠ }

يناير: بداية العمل فى السد العالي .

مايو: انقلاب عسكري فى تركيا.

سبتمبر : أقيمت منظمة الأوبك التي تجمع العراق / السعودية، إيران، الكويت، وفنزويلا .

{ ١٩٦١ }

يونيو: استقلال الكويت.

يوليو: مساندة بريطانيا العظمى للكويت ضد أي محاولة تدخل عراقي فى الكويت.

سبتمبر: ثورة أكراد فى العراق.

الجيش السوري يقوم بانقلاب فى سوريا وتفكيك الجمهورية العربية المتحدة .

{١٩٦٢ }

سبتمبر: محاولة انقلاب عسكري فى اليمن.

أكتوبر: المملكة العربية السعودية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر.

نوفمبر: إلغاء العبودية فى المملكة العربية السعودية.

{١٩٦٣ }

يناير : استفتاء فى إيران حول الثورة البيضاء ومحاولة الشاه تطوير البلاد وغضب الشيعة من الوجود الأمريكي المكثف .

فبراير: انقلاب بعثي فى العراق.

مارس : انقلاب بعثي فى سوريا .

يونيو : اضطرابات فى إيران آية الله الخميني يلجأ إلى العراق .

يوليو: محاولة انقلاب عسكري جديد فى سوريا.

ديسمبر: اقتراح عبد الناصر مؤتمر قمة عربية للنظر فى موضوع الصراع العربي الإسرائيلي.

{ ١٩٦٤ }

يناير : أول مؤتمر قمة عربية يعقد فى القاهرة .

زيارة البابا بول السادس للأراضِي المقدسة .

مارس : الجيش البريطاني يقذف حصن حاريب فى اليمن .

إبريل : الأمم المتحدة تدين الهجوم البريطاني على اليمن .

مايو : زيارة الرئيس السوفيتي للقاهرة وتدشين عبد الناصر للمرحة الأولى من السد العالي .

أول مؤتمر وطني فلسطيني يعقد فى القدس الشرقية. وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية ومديرها أحمد شكري وتبنى الميثاق الوطني الفلسطيني.

الملك سعود يلجأ إلى مصر وفيصل يعتلى العرش فى السعودية .

نوفمبر : إصدار قانون يعطى الحصانة للقوات الأمريكية فى إيران. والقبض على آية الله الخميني وترحيله إلى تركيا ثم إلى العراق.

{ ١٩٦٥ }

يناير: اغتيال رئيس الوزراء الإيراني حسن على منصور

أول عملية عسكرية تقوم بها فرقة العاصفة الذراع المسلح لحركة فتح ضد محطات المياه الإسرائيلية .

مايو: إقامة علاقات دبلوماسية بين ألمانيا وإسرائيل.

أغسطس: اتفاقية بين مصر والسعودية حول إقامة نظام مؤقت فى اليمن.

اتهام عبد الناصر الإخوان المسلمين بمحاولة إعادة تكوين جمعيتهم.

أول انتخابات تشريعية فى أفغانستان .

{ ١٩٦٦ }

فبراير: انقلاب عسكري جديد في سوريا.

أبريل: موت الرئيس العراقي عبد السلام عارف وتولى شقيقه عبد الرحمن عارف الرئاسة.

مايو: أول إمدادات عسكرية أمريكية لإسرائيل.

يونيو: قطع العلاقات بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية.

أغسطس: تنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب أحد زعماء جمعية الإخوان المسلمين في مصر.

{ ١٩٦٧ }

أبريل : إسرائيل تدمر جزءا كبيرا من الطيران السوري .

مايو : دخول القوات المصرية لسيناء منتقدة بذلك اتفاقيتها مع الأمم المتحدة بخلو سيناء من القوات العسكرية والذي تم توقيعه في العام ١٩٥٧، وعبد الناصر يطالب بخروج قوات الأمم المتحدة من سيناء. ثم تغلق مصر مضيق العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية .

ويقول عبد الناصر " إن هدفنا الأساسي هو القضاء على إسرائيل " ويطالب بخروج قوات الأمم المتحدة من غزة ومن خليج العقبة. وإسرائيل تعلن التعبئة العامة. تم توقيع معاهدة دفاع مشترك بين مصر والأردن .

يونيو : تأليف حكومة وحدة وطنية في إسرائيل وهجوم إسرائيل على سوريا والأردن. وانضمام العراق إلى اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر والأردن .

حرب الأيام الستة. بدأت إسرائيل بالهجوم (٥-١٠ يونيو) وقامت بقذف جوى مستمر على مرتفعات الجولان، وبدأت بهجوم استباقي على مصر بقيادة موشى ديان. وفي نهاية حرب صاعقة تحتل إسرائيل الضفة الغربية لنهر الأردن

وغزة والجولان وشبه جزيرة سيناء والقدس الشرقية. وبذلك أصبح بإمكان اليهود الدخول إلى القدس حيث يمكنهم الصلاة حول حائط المبكى. ولم تعد قناة السويس صالحة للملاحة حتى عام ١٩٧٥م. وتم ضم القدس الشرقية إلى دولة إسرائيل .

سبتمبر : الدول العربية تجتمع فى مؤتمر قمة فى الخرطوم وتعلن اللاءات الثلاثة: لا للسلام مع إسرائيل، لا للاعتراف بإسرائيل، ولا للتفاوض مع إسرائيل. ويطالب المؤتمر باستعادة الأراضي العربية المحتلة، ويبارك ظهور منظمة التحرير على الساحة العربية، ويحدد مساعدات مالية لها تدفعها الدول البترولية .

— **أكتوبر** : يلقب شاه إيران نفسه بملك الملوك " شاهنشاه " .

نوفمبر : تبنى الأمم المتحدة للقرار ٢٤٢ والذي يطالب بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط وحق الشعوب فى المنطقة بالعيش فى سلام داخل حدود معترف بها، ويطالب بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها، وحل عادل لمشكلة اللاجئين .

حصول اليمن على استقلاله .

ديسمبر: إنشاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

{ ١٩٦٨ }

يناير : "إقامة منظمة الأوبك" للدول العربية المصدرة للبترول وتضم ليبيا والكويت والسعودية .

إعلان بريطانيا نيتها للخروج من شبه الجزيرة العربية خلال ثلاث سنوات.

مارس : معركة الكرامة فى وادي الأردن حيث أنزلت فرق الفدائيين الفلسطينيين مدعمة من الجيش الأردني .

خسائر كبيرة فى صفوف الجيش الإسرائيلي .

يوليو : اختطاف طائرة ركاب من شركة العال الإسرائيلية قامت به الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وانقلاب عسكري بعثي فى العراق .

ديسمبر : مظاهرات شعبية فى لبنان تساند المقاومة الفلسطينية بعد قذف إسرائيل لطائرة مدنية على الأرض فى مطار بيروت .

{ ١٩٦٩ }

فبراير : الاجتماع الخامس للمجلس الوطني الفلسطيني وانتخاب ياسر عرفات رئيسًا لمنظمة التحرير الفلسطينية وتبنى الدستور الفلسطيني الذي لا يعترف بحق وجود إسرائيل، وينادى بالتحرير الكلى لفلسطين، وإقامة دولة واحدة علمانية وديمقراطية بين البحر المتوسط والأردن .

مارس : تعيين جولدا مائير رئيسة وزراء فى إسرائيل .

يونيو : مصر تبدأ حرب استنزاف ضد إسرائيل حول منطقة قناة السويس .

نوفمبر : اتفاق القاهرة وفيه تقبل لبنان وجودًا فلسطينيا عسكريًا فى مخيمات اللاجئين .

ديسمبر: فى القمة العربية يرفض عبد الناصر إعلان حرب جديدة على إسرائيل .

{ ١٩٧٠ }

يناير: قامت إسرائيل بعدة غارات جوية ضد مصر وذهاب عبد الناصر إلى موسكو لطلب صواريخ مضادة للطائرات.

مارس: العراق توافق على منح الأكراد نوعًا من الحكم الذاتي.

يونيو: أقامت مصر نظام دفاع صاروخي فى قناة السويس.

يوليو: الانتهاء من بناء السد العالي فى أسوان. وتقبل مصر بخطة روجرز لوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل وينضم إلى هذه الخطة الملك حسين .

أغسطس : إسرائيل توافق على خطة روجرز. وبداية وقف إطلاق نار بين مصر وإسرائيل وتم وضع فاصل أمنى حول قناة السويس.

سبتمبر : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اختطفت ثلاث طائرات خطوط جوية وتنزلها فى منطقة الزرقاء شمال الأردن، واعتبار المطار "منطقة تم تحريرها". ثم محاولة لاغتيال الملك حسين وهجوم القوات الأردنية على القواعد الفلسطينية فى الأردن وبخاصة فى عمان وإربد ونشأ عن كل هذا سبتمبر أسود وهى تسمية للمجازر التي وقعت ضد منظمة التحرير وحركة فتح ولجوء الفلسطينيين إلى لبنان .

أكتوبر : التوقيع على اتفاقية بين الملك حسين وياسر عرفات .

نوفمبر: استيلاء حافظ الأسد على السلطة فى سوريا.

ديسمبر: إنشاء الجمهورية الشعبية الديمقراطية فى اليمن.

{ ١٩٧١ }

مايو : محاولة انقلاب ضد السادات فى مصر .

يوليو: بداية استقلال دول الخليج، والتي تصبح الإمارات العربية المتحدة.

أغسطس: استقلال البحرين.

سبتمبر : يقوم السادات بتغيير اسم الجمهورية العربية المتحدة إلى جمهورية مصر العربية. واستقلال قطر .

أكتوبر : احتفال تاريخي للاحتفال بالعام ٢٥٠٠٠ على قيام الإمبراطورية الفارسية و ٢٥٠٠ على النظام الملكي فى إيـران. وتـؤمن إيـران مخـرج الخليج الفارسي .

اغتيال رئيس الوزراء الأردني فى القـاهرة " وصفى التل " على يد مجموعة فلسطينيين .

ديسمبر : استقلال الإمارات العربية المتحدة وانضمامها لمنظمة الأمم المتحدة .

{ ١٩٧٢ }

إبريل : التوقيع على معاهدة صداقة وتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي .

يونيو : العراق تؤمم الوطنية العراقية للبترول والمملوكـة لصـالـح أنجلو ساكسون .

يوليو : الاتحاد السوفيتي يرفض زيادة المساعدات لمصر والسادات يطرد الخبراء العسكريين السوفيتيين .

أغسطس: إعلان الوحدة بين مصر وليبيا.

سبتمبر : مجموعة سبتمبر الأسود تحتجز الرياضيين الإسرائيليين المشتركين فى الدورة الأوليمبية فى ميونخ ومقتل أحد عشر رياضيًا منهم أثناء محاولة تدخل الشرطة الألمانية .

أكتوبر : شركات بترولية غربية تحصل على امتيازات فى السعودية والكويت وقطر و(أبو ظبي) .

إعادة السلطة العسكرية فى قطاع غزة.

{ ١٩٧٣ }

فبراير: الجيش الإسرائيلي يسقط طائرة من الخطوط الجوية الليبية.

مارس: الموافقة على التعديل الدستوري فى سوريا.

إبريل : السادات وحافظ الأسد يعدان خطة للحرب ضد إسرائيل .

مقتل ثلاث شخصيات فلسطينية مهمة فى بيروت على أيدي المخابرات الإسرائيلية .

أكتوبر : هجوم الجيش السوري والجيش المصري على إسرائيل فى ٦ أكتوبر لتستعيد هذه الجيوش الأراضي المحتلة وتم إعلان حرب العاشر من رمضان. وتقهقر الجيش الإسرائيلي فى البداية تحت وطأة المفاجأة ولكنه استعاد زمام الأمور وأعاد المعركة إلى داخل الأراضي العربية بفضل مساعدات أمريكية هائلة .

مصر تقبل بوقف إطلاق النار وإسرائيل ترفض .

بداية أول أزمة بترولية عالمية. والملك فيصل يعلن وقفًا كاملاً لإمدادات البترول للولايات المتحدة. الأمم المتحدة تصدر القرار ٣٣٨ والذي يؤكد على صلاحية القرار ٢٤٢ الذي كان قد اتخذ عقب حرب ١٩٦٧م يطالب بالوقف الفوري لإطلاق النار والتفاوض لإحلال السلام الدائم فى الشرق الأوسط. ووافقت إسرائيل على وقف إطلاق النار نتيجة للضغوط الدولية .

نوفمبر: التوقيع على اتفاق وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل .

الجامعة العربية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني .

ديسمبر: مؤتمر جنيف للسلام.

{ ١٩٧٤ }

يناير : اتفاق الكيلو ١٠١ بين مصر وإسرائيل حيث تنسحب إسرائيل حوالي ٢٠ كم من قناة السويس وإنشاء منطقة عازلة بين الجيش المصري والجيش الإسرائيلي .

مارس : توصل السادات إلى موافقة السعودية لطلبه بوقف الحظر على البترول .

أبريل: إيران تعلن تأييدها للمقاومة الكردية فى العراق .

يونيو: المجلس الوطني الفلسطيني فى اجتماعه الثاني عشر فى القاهرة. يقر بمبدأ تأسيس سلطة وطنية على كل أو أي جزء من الأراضي الفلسطينية التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية .

أكتوبر : ترفض دول الأوبك أي تخفيض فى أسعار البترول .

الملك حسين يتخلى عن الضفة الغربية ويعترف بمنظمة التحرير كممثل شرعي للشعب الفلسطيني.

نوفمبر: استقبال ياسر عرفات فى الأمم المتحدة والاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية التي تحصل على مقعد مراقب فى الأمم المتحدة. واعتراف دولي بحق الشعب الفلسطيني فى الاستقلال الوطني .

{ ١٩٧٥ }

مارس : اتفاق الجزائر بين العراق وإيران والتوقيع على اتفاق تقسيم الحدود عند شط العرب، اغتيال الملك فيصل فى السعودية .

إبريل : بداية الحرب الأهلية اللبنانية .

مايو : إقامة حواجز فى بيروت .

يونيو : إعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية .

سبتمبر : قذف متعدد الأطراف على بيروت وتوقيع مصر لاتفاق جديد للسلام والسماح بمرور المنتجات غير العسكرية إلى إسرائيل .

نوفمبر : صدور قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ والذي يعتبر أن الصهيونية نوع من العنصرية والتمييز العنصري والذي سيتم إلغاؤه فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٩١ .

ديسمبر : تأميم آخر شركات بترول أجنبية فى الكويت .

{ ١٩٧٦ }

يناير : مقتل ٨٥٠ مسيحيًا لبنانيًا، عندما هاجمت قوات فتح مدينة الدمور فى جنوب بيروت .

مارس : مصر تلغى كل الاتفاقات الموقعة مع الاتحاد السوفيتي. والعرب الإسرائيليون يتظاهرون ضد مصادرة إسرائيل للأراضي العربية ومقتل ستة من المتظاهرين. ويتم الاحتفال سنويا بيوم الأرض كتكريم للشهداء فى هذا اليوم .

يونيو : مجموعة عسكرية إسرائيلية تحرر رهائن الطائرة المختطفة فى أوغندا .

أغسطس : إنهاء الحصار المفروض على معسكر اللاجئين الفلسطينيين فى تل الزعتر من طرف المسيحيين .

نوفمبر : قوة الردع العربية بقيادة سوريا تدخل لبنان للمحافظة على السلام .

{ ١٩٧٧ }

يناير : اضطرابات فى مصر بسبب قلة الخبز :

مصادمات بين طلبة جامعة طهران ورجال الشرطة .

مارس : المثقفون الإيرانيون يطالبون بالحرية السياسية ورسالة مفتوحة يوجهها على أصغر المتخصص الاجتماعى للشاه حول الأوضاع السيئة فى البلاد .

مايو : فوز الليكود الإسرائيلي فى الانتخابات التشريعية فى إسرائيل ويصبح مناجم بيجين رئيسًا للوزراء .

يونيو : الزعماء الوطنيون الإيرانيون كريم سنجابى درويش فهروهر وشاهبور باختيار يطالبون الشاه بالعودة إلى دستور ١٩٠٦

أغسطس : مد التشريعات الإسرائيلية على غزة والضفة الغربية .

سبتمبر : دعوة الرئيس جيمي كارتر لكامب ديفيد كلا من الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناجم بيجين للتفاوض على السلام .

أكتوبر : تجمعات دينية فى قم ورأى والمطالبة بإطلاق سراح آية الله طلاغانى وعودة الخميني إلى إيران .

نوفمبر : إعلان السادات استعداده للذهاب إلى إسرائيل للتفاوض على السلام .

مظاهرات صاخبة فى جامعة طهران تتصدى لها قوات الشرطة بعنف .

زيارة تاريخية للسادات فى إسرائيل الذي يلقى خطابًا فى الكنيست من أجل سلام عادل ودائم فى مقابل انسحاب إسرائيل من سيناء والتعهد بحل القضية الفلسطينية .

ديسمبر : قمة عربية فى طرابلس تجمد العلاقات مع مصر .

{ ١٩٧٨ }

يناير : مظاهرات فى قم لمساندة آية الله الخميني تتحول إلى اضطرابات تطلق الشرطة فيها النار على المتظاهرين .

فبراير : انتفاضة شعبية فى تبريز على شرف الشهداء فى قم والجيش يقتل المئات .

مارس : عملية الليطانى الإسرائيلية وتحتل إسرائيل فيها جنوب لبنان. وإنشاء قوة تدخل الأمم المتحدة .. التصديق على القرار ٤٢٥ الصادر عن الأمم المتحدة والذي يدعو إسرائيل للانسحاب من جنوب لبنان.

أبريل : إنشاء المليشيات الوطنية فى إيران وهى موالية للحكومة .

يونيو : انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان ولكنه أبقى على بعض القوات على الحدود اللبنانية .

يوليو : مواجهات بين الجيش السوري والميليشيات المسيحية فى لبنان .

أغسطس : بعد مواجهات عنيفة تم فرض القوانين العرفية فى أصفهان. والخميني يطالب المتظاهرين بالاستمرار حتى قلب نظام الحكم .

سبتمبر : مظاهرات عنيفة وقمع شديد فى طهران – والجمعة الأسود حيث يطلق الجيش النار على المتظاهرين، ونداء جديد للخمينى يوجهه من العراق يدعو فيه لاستمرار المقاومة. والرئيس كارتر يؤكد على مساندته للشاه .

التوقيع على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فى كامب ديفيد ويدعو هذا الاتفاق إلى عودة سيناء للسيادة المصرية وإقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

أكتوبر : صدام حسين يطرد الخميني من العراق ويتوجه الى منفاه فى فرنسا. واضطرابات عامة يقوم بها رجال الدين .

نوفمبر : القمة العربية ترفض بالإجماع معاهدة كامب ديفيد.

شاه إيران يقيم حكومة عسكرية بقيادة الجنرال أزهري.

ديسمبر : مظاهرات تضم ٢ مليون شخص فى طهران واستقالة أزهري وتعيين شاهبور بختيار رئيسا للوزراء .

{ ١٩٧٩ }

يناير : الشاه يغادر إيران متوجهًا إلى القاهرة ومظاهرات عارمة تطلب بعودة الخميني واستقالة النظام القائم .

فبراير : اشتباكات متفرقة على الحدود العراقية الإيرانية – والخميني يتولى السلطة فى إيران ويعين مهدي بازرجان رئيسًا للوزراء ويطلب منه تشكيل حكومة مؤقتة .

مارس: تم التوقيع على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل فى واشنطن.

استفتاء على الجمهورية الإسلامية فى إيران يحصل على موافقة ٩٨٪ من الشعب .

أبريل: إعلان الجمهورية الإسلامية فى إيران.

الأزمة البترولية الثانية بسبب الثورة الإيرانية وفي مواجهة الخطر الإيراني. العراق توقع اتفاق أمن مع السعودية.

مايو : مصر تستعيد سيادتها على العريش واستئناف المفاوضات بين مصر وإسرائيل حول الحكم الذاتي الفلسطيني .

يونيو: هجوم إسلامي فى سوريا.

يوليو: صدام حسين يصبح رئيس الجمهورية العراقية.

أغسطس: الدستور الإيراني الجديد يمنح الخميني سلطات مطلقة.

أكتوبر : التوقيع على معاهدة موسكو بين الاتحاد السوفيتي واليمن .

نوفمبر: مظاهرة شيعية فى السعودية. واستيلاء مجموعة إسلامية على الحرم المكي وتنتهي هذه العملية بمقتل ١٣٥ مصليًا. وبداية الأزمة الإيرانية مع الولايات المتحدة على خلفية الرهائن فى السفارة الأمريكية فى طهران. والتي استمرت حتى العام ١٩٨١م .

{ ١٩٨٠ }

فبراير : إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر وإسرائيل .

مارس : انتفاضة إسلامية فى سوريا .

أبريل : بداية القمع ضد رجال الدين الشيعة فى العراق – فشل الغارة الأمريكية لتحرير رهائن السفارة الأمريكية فى طهران .

مايو : الشريعة الإسلامية تصبح مصدرًا للقانون المصري .

يوليو : الميليشيات المسيحية بقيادة بشير الجميل تسيطر على المناطق المسيحية.

الكنيست يطالب بقدس موحدة عاصمة أبدية لإسرائيل. هذا المطلب لم يحظ بموافقة المجتمع الدولي. وفاة شاه إيران فى القاهرة .

سبتمبر: انقلاب عسكري فى تركيا. وبداية المناوشات العسكرية بين العراق وإيران وبداية الحرب .

{ ١٩٨١ }

يناير : تحرير الرهائن الأمريكيين فى طهران .

أبريل: عودة المعارك بين الجيش السوري وميليشيات بشير الجميل.

مايو : أنشىء مجلس التعاون الخليجي بين الإمارات العربية المتحدة والسعودية وعمان .

يونيو: القوات الجوية الإسرائيلية تقذف المفاعل الذرى العراقي أوزيراك واستمرار الهجمات الإسرائيلية على الفلسطينيين فى جنوب لبنان .

يوليو: إسرائيل تقذف بيروت والولايات المتحدة تحصل على موافقة على وقف إطلاق النار جنوب لبنان.

هجوم مضاد إيراني ضد القوات العراقية .

أكتوبر : اغتيال أنور السادات على يد مجموعة إسلامية جهادية وحسنى مبارك يتولى السلطة .

ديسمبر: إسرائيل تضم مرتفعات الجولان.

{ ١٩٨٢ }

فبراير: مجزرة حماه حيث قتل الجيش السوري المئات من الإسلاميين.

أبريل: استعادة مصر سيادتها على كل سيناء ماعدا طابا.

يونيو: إسرائيل تقوم بعملية السلام للجليل وتكتسح لبنان لمنع الهجمات الفلسطينية من العمل من جنوب لبنان واعتلاء الملك فهد عرش المملكة السعودية.

يوليو: إيران تطلق عدة هجمات على الجيش العراقي.

أغسطس : دخول الجيش الإيراني الأراضي العراقية – وإجلاء منظمة التحرير من بيروت حيث تلجأ إلى تونس وانتخاب بشير الجميل رئيسًا للبنان .

سبتمبر : اغتيال بشير الجميل – الجيش الإسرائيلي يدخل بيروت – البابا بولس الثاني يستقبل ياسر عرفات. إنشاء جبهة المقاومة اللبنانية. ودخول الميليشيات المسيحية بقيادة إيلى حبيقة معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا وقتل الآلاف من المدنيين تحت سمع وبصر القوات الإسرائيلية .

تم انتخاب أمين الجميل رئيسًا للجمهورية اللبنانية .

مظاهرات فى إسرائيل تطالب باستقالة مناحم بيجين .

أكتوبر: غارة إسرائيلية على قيادة منظمة التحرير فى تونس.

{ ١٩٨٣ }

أبريل : هجوم عراقي مضاد ضد القوات الإيرانية .

مايو: توقيع معاهدة سلام بين لبنان وإسرائيل.

انقسامات وقتال داخل فتح. بين "أبو موسى" الموالى لسوريا والفدائيين الموالين لعرفات وتم طرد ياسر عرفات من دمشق.

أغسطس : استقالة مناحم بيجين .

سبتمبر: المعارك استمرت بين الدروز والمسيحيين.

أكتوبر : إسحاق شامير يصبح رئيس وزراء إسرائيل .

مؤتمر للمصالحة الوطنية فى جنيف وهجومين إرهابيين متزامنين ضد القوات الأمريكية والفرنسية فى بيروت أدت إلى مقتل ٢٣٩ أمريكيًا و٥٦ فرنسيًا .

ديسمبر : اعتداء على قوات حفظ السلام من الفرنسيين فى جنوب لبنان ومقتل ١٥ جنديًا .

{ ١٩٨٤ }

يناير : بداية انسحاب القوات المتعددة الجنسيات من لبنان .

فبراير : الشيعة والدروز يسيطرون على بيروت الغربية. وأمين الجميل يرفض اتفاق السلام الموقع فى العام ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل .

إبريل : الانتهاء من الانسحاب الإسرائيلي من سيناء عدا منطقة طابا .

مايو : القوات الجوية الإيرانية تهاجم حاملة بترول سعودية وأخرى كويتية .

يونيو : مغادرة كامل القوات الإسرائيلية الأراضي اللبنانية .

{ ١٩٨٥ }

فبراير : اتفاق فلسطيني أردنى وتتقبل منظمة التحرير الفلسطينية كل قرارات الأمم المتحدة وتعرض مشروع الأرض مقابل السلام، فى حين أن شيمون

بيريز يقترح حل الخطوة بخطوة مع فترة انتقالية تدير فيها إسرائيل مع الأردن مع المنتخبين الفلسطينيين الشئون الفلسطينية. وانتهت مساعي السلام بعد عدة عمليات فدائية فلسطينية والرد الإسرائيلي عليها .

مارس: بداية حرب المخيمات بين الميليشيات الشيعية والفلسطينية والتي ظلت بطريقة متقطعة حتى العام ١٩٨٧ .

ديسمبر: محاولات من دمشق للمصالحة بين الدروز والشيعة والمسيحيين.

{ ١٩٨٦ }

يناير: بداية الحرب الأهلية فى اليمن.

فبراير: الأردن توقف الحوار مع منظمة التحرير التي ترفض التخلي علنيًا عن اتباع العنف ومحاولة للجيش الإيراني لدخول البصرة.

{ ١٩٨٧ }

يناير: صدام حسين يعلن استعداده لوقف الحرب مع إيران.

فبراير: الجيش السوري يعود لبيروت الغربية.

يوليو: تطالب الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار بين إيران والعراق.

مواجهات فى مكة بين قوات الأمن والحجاج .

نوفمبر: قمة عربية فى عمان.

ديسمبر: الانتفاضة الفلسطينية الأولى " حرب الحجارة " فى الضفة الغربية وقطاع غزة.

صدور القرار ٦٠٥ لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذى تمت المصادقة عليه بفضل تغيب الأمريكان عن التصويت والذي يأسف للسياسات القمعية التي تتبعها إسرائيل والتي تغتصب حقوق الشعب الفلسطيني فى الأراضي المحتلة .

{ ١٩٨٨ }

مارس : العراق يقذف كردستان العراق .

أبريل: المخابرات الإسرائيلية تقتل أبو جهاد الرجل الثاني فى منظمة فتح الفلسطينية فى تونس.

يونيو : منطقة كارابخ العليا تعلن انفصالها عن أذربيجان .

يوليو : سقوط طائرة إيرانية مدنية بصاروخ أمريكي. وإيران تقبل القرار رقم ٥٩٨ الصادر عن الأمم المتحدة. اعتراف الملك حسين باستقلالية الضفة الغربية وعدم تبعيتها للأردن .

أغسطس : نهاية الحرب العراقية الإيرانية والتي أدت إلى مقتل مليون شخص من الطرفين .

سبتمبر : أطلقت إسرائيل أول قمر صناعي لها .

نوفمبر: الأردن تتنازل رسميًا عن سيادتها على الضفة الغربية لمصلحة منظمة التحرير الفلسطينية والمجلس الوطني الفلسطيني يعلن إقامة دولة فلسطينية تمتد من الضفة الغربية إلى غزة .

ديسمبر: اعتراف عرفات بوجود إسرائيل فى مؤتمر الأمم المتحدة فى جنيف، ويقبل بالقرار ٢٤٢ و٣٣٨ ويرفض الإرهاب. وإسحاق شامير يصبح رئيس الوزراء لحكومة وحدة وطنية ويحتفظ بالمواقف المتشددة تجاه الفلسطينيين .

{ ١٩٨٩ }

يناير: مواجهات بين الشيعة فى جنوب لبنان.

فبراير : الخميني يصدر فتوى بذبح سلمان رشدي .

إتمام الانسحاب الكامل للجيوش السوفيتية من أفغانستان .

مارس: مصر تستعيد منطقة طابا آخر الأراضي المصرية المحتلة من قبل إسرائيل.

أبريل : أزمة اقتصادية فى الأردن واضطرابات فى جنوب الأردن .

مايو : التصويت على اقتراحات للسلام قدمها إسحاق شامير للكنيست : تنظيم انتخابات فى الأراضي المحتلة والتي ترفض منظمة التحرير الفلسطينية المشاركة فيها : حق تقرير مصير مؤقت لمدة ثلاثة أعوام، ثم فتح المفاوضات حول الوضع النهائي، ولكنه يرفض إقامة دولة فلسطينية مستقلة .

يونيو : وفاة الخمينى وحل محله آية الله خامنئى كمرشد للثورة .

يوليو : انتخاب رفسنجانى رئيسًا للجمهورية الإسلامية الإيرانية. وإسرائيل تقوم بخطف الشيخ عبد الكريم عوبيد الزعيم فى حزب الله .

انقلاب عسكري فى السودان وعمر البشير يستولى على السلطة .

أكتوبر : اتفاق الطائف والذي يضع نهاية للحرب الأهلية اللبنانية .

نوفمبر : أول انتخابات حرة فى الأردن تؤدى إلى فوز كبير للإسلاميين .

{ ١٩٩٠ }

يناير : معارك عنيفة بين ميليشيات ميشيل عون والقوات اللبنانية .

مارس : الحكومة الإسرائيلية توافق على بدء المفاوضات مع الفلسطينيين حول الحكم الذاتي وإسحاق شامير يعلن استمرار عمليات البناء للمستوطنات .

أبريل : صدام حسين يتهم كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا بتشجيع إسرائيل على مهاجمة العراق .

مايو : اتفاق على توحيد شطري اليمن. ومؤتمر القمة فى بغداد يساند العراق "في حقه فى الحصول على الإمكانيات العلمية والتكنولوجية المتطورة " .

يوليو : صدام حسين يتهم دول الخليج بالتآمر مع الولايات المتحدة .

أغسطس : دخول القوات العراقية إلى الكويت والأمم المتحدة تدين هذا التدخل .

الجامعة العربية تدين هذا التدخل ومصر تحاول التوسط. والقوات العراقية تستولي على المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية. والعراق تضم رسميًا الكويت واستقلال أرميا عن الاتحاد السوفيتي .

سبتمبر : الاتحاد السوفيتي يعيد علاقاته الدبلوماسية مع المملكة السعودية .

أكتوبر : القوات السورية تقذف مواقع ميشيل عون .

نوفمبر : الولايات المتحدة ترفع عدد جنودها إلى ٣٠٠ ألف جندي فى منطقة الخليج .

ديسمبر : توحيد رسمي لشطري بيروت .

{ ١٩٩١ }

يناير : بداية عمليات عاصفة الصحراء. وتحت الضغط الأمريكي، إسرائيل تمتنع عن الرد على الصواريخ العراقية .

فبراير : القوات العراقية تشعل النار فى حقول النفط الكويتية. وصدام حسين ينسحب من الكويت ويقبل بوقف إطلاق النار .

إبريل : الولايات المتحدة تقوم بإمداد الأكراد العراقيين بالمساعدات الإنسانية .

مايو : حسنى مبارك يعلن انسحاب القوات المصرية من السعودية ومن الكويت .

أكتوبر : مؤتمر السلام فى مدريد بين العرب والإسرائيليين ويضم للمرة الأولى إسرائيل، وسوريا، والأردن، ولبنان، والممثلين الفلسطينيين واستمرار

المحادثات فى واشنطن التي لم تؤد إلى شيء بسبب موقف الحكومة الإسرائيلية بالتمسك فى الاستمرار ببناء المستوطنات. والولايات المتحدة تهدد بوقف ضمانات القروض الإسرائيلية .

ديسمبر : الجمعية العامة للأمم المتحدة تتبنى القرار ٨٦/٤٦ الذي ينص على إلغاء القرار ٣٣٧٩ والذي يصف الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري .

{ ١٩٩٢ }

يناير : الأمم المتحدة تدين السياسة الإسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني .

يوليو : إسحاق رابين يتولى رئاسة الوزراء الإسرائيلية وهجـوم إرهابى فى القاهرة .

إسرائيل تقصف جنوب لبنان وحزب الله يقصف الجليل. وتوافق إسرائيل على وقف إطلاق النار .

أغسطس : الأمم المتحدة تعيد رسم الحدود الكويتية وتصبح الكويت دون مداخل على البحار .

نوفمبر : حكومة الحريري تبدأ عملها فى لبنان .

ديسمبر : عملية إرهابية داخل فندق فى اليمن حيث يوجد عسكريون أمريكيون وتنسب إلى القاعدة .

{ ١٩٩٣ }

يناير : بداية محادثات سرية فى أوسلو بين منظمة التحرير وإسرائيل .

إبريل : مع تزايد العنف، إسرائيل تغلق الأراضي العربية المحتلة .

سبتمبر : توقيع متبادل بين عرفات فى تونس وإسحاق رابين فى تل أبيب على وثيقة اعتراف متبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. وتوقيع واشنطن على اتفاقيات أوسلو التي تنص على حكم ذاتي تدريجي للضفة الغربية وغزة، وحل نهائي للصراع فى خلال ٥ سنوات والأردن وإسرائيل توقعان على مبادئ معاهدة السلام .

واعتراف متبادل بين إسرائيل والفاتيكان .

{ ١٩٩٤ }

فبراير : مقتل ثلاثين مصليًا فلسطينيًا على يد باروخ جولدستون المستوطن المتطرف الإسرائيلي.

مارس : القبض على زعماء القوات اللبنانية الموالية لإسرائيل .

إبريل : بداية الهجمات الانتحارية فى إسرائيل من أفراد حماس والجهاد الإسلامي .

مايو : التوقيع على اتفاق غزة والضفة الغربية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. وإنشاء السلطة الفلسطينية من ٢٤ عضواً وقوة للشرطة الفلسطينية وتتولى منظمة التحرير إدارة غزة والضفة الغربية .

وضع برنامج إعادة بناء وسط بيروت. وانسحاب القوات الإسرائيلية من غزة والضفة الغربية .

يوليو : عرفات يقيم السلطة الفلسطينية فى غزة ويزور الضفة الغربية للمرة الأولى .

إسرائيل والأردن توقعان على اتفاقية إنهاء حالة الحرب بين البلدين .

أكتوبر : الملك حسين يصبح :" حارسًا للأماكن المقدسة " فى القدس واعتراض منظمة التحرير على ذلك، نجيب محفوظ الكاتب والمفكر المصري يتعرض لطعنات من متطرف إسلامي فى القاهرة .

نوفمبر : العراق تعترف بالحدود الدولية للكويت .

ديسمبر : إسحاق رابين وشمون بيريز وياسر عرفات يحصلون على جائزة نوبل للسلام .

{ ١٩٩٥ }

أبريل : مجلس الأمن يصادق على القرار ٩٨٦ الخاص بالبترول فى مقابل الغذاء ويسمح للعراق ببيع بترول بقيمة مليار دولار كل أربعة شهور لشراء مواد غذائية وأدوية .

أغسطس : الأردن تمنح حق اللجوء السياسي لاثنتين من بنات صدام حسين وزوجيهما .

سبتمبر : اتفاقيات طابا التي تعطى صلاحيات أوسع للحكم الذاتي فى الضفة الغربية والتوقيع على معاهدات أوسلو .

أكتوبر : انسحاب الجيش الإسرائيلي من سبع مدن فلسطينية .

نوفمبر : اغتيال إسحاق رابين على يد طالب متطرف وشيمون بيريز يعين رئيسًا للوزراء. إصابة الملك فهد بجلطة فى الدماغ ويترك بعضًا من سلطاته للأمير عبد الله .

هجوم إرهابى بسيارة مفخخة موجهة ضد عسكريين ومدنيين أمريكيين يعملون فى الحرس الوطني السعودي : مقتل ٧ أشخاص من بينهم ٥ أمريكيون .

الحزب الوطني الديمقراطي يفوز فى الانتخابات المصرية .

ديسمبر : المؤتمر الاقتصادى الثاني الخاص بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا .

{ ١٩٩٦ }

يناير : مقتل يحي عياش على أيدي القوات الإسرائيلية. ومائة ألف فلسطيني يشاركون فى تشييع جنازته.

أول انتخابات عامة فى الضفة الغربية وياسر عرفات ينتخب رئيسًا للسلطة الفلسطينية بعد حصوله على ٨٨ ٪ من مجموع أصوات الناخبين .

مارس : عملية انتحارية فلسطينية تؤدى إلى مقتل ١٩ إسرائيليًا فى القدس. وشيمون بيريز يعلن حربًا شاملة على حركة حماس. وبيل كلينتون ينادى بقمة عالمية لمحاربة الإرهاب، أثناء وجوده فى شرم الشيخ .

إبريل : شيمون بيريز يطلق عملية عناقيد الغضب ضد حزب الله فى جنوب لبنان ومئات القتلى خلال الهجوم، وقذف إسرائيلي لقوات حفظ السلام فى جنوب لبنان يؤدى إلى مقتل المئات .

المجلس الوطني الفلسطيني يسحب اعترافه بإسرائيل .

وقف لإطلاق النار فى جنوب لبنان تحت رعاية الولايات المتحدة وفرنسا .

مايو : العراق توافق على قرار البترول مقابل الغذاء. وحزب الليكود يفوز فى الانتخابات الإسرائيلية ويصبح ناتنياهو رئيس الوزراء الجديد وحكومته تسرع فى بناء المستوطنات .

يونيو : اجتماع قمة فى القاهرة يعيد الالتزام بمقولة الأرض مقابل السلام ويطالب باحترام الاتفاقات الموقعة، وناتنياهو يرد بزيادة جديدة فى عدد المستوطنات.

يوليو : العراق ترفض زيارة وفد المراقبين التابعين للأمم المتحدة للقصور الرئاسية فى العراق، وحكومة نتينياهو توافق على أساليب التعذيب للمتهمين فى أعمال إرهابية .

نوفمبر : فشل محادثات السلام الإسرائيلية الفلسطينية فى واشنطن وعملية إرهابية فى الأقصر تؤدى إلى مقتل ٦٨ سائحًا.

وصدام حسين يوافق على عودة المراقبين الدوليين لتفتيش القصور الجمهورية بعد ضغط من الروس ومقاطعة معظم البلدان العربية للمؤتمر الاقتصادى الرابع الخاص بالشرق الوسط وشمال إفريقيا فى قطر .

{ ١٩٩٨ }

يناير : أزمة بين الولايات المتحدة والعراق بخصوص تفتيش مواقع استراتيجية فى العراق .

يونيو : الحكومة الإسرائيلية تعرض لإنشاء القدس الكبيرة حيث تضاعف مساحة المدينة بضم أراضٍ عربية جديدة .

أغسطس : العراق ترفض دخول المفتشين الدوليين لمناطق حساسة فى العراق وتعلق عمل المفتشين .

أكتوبر : سوريا توقف نشاطات حزب العمال الكردستانى على أراضيها وتطرد رئيس الحزب الذي يتوجه إلى كينيا .

نوفمبر : افتتاح مطار غزة أمام الملاحة العالمية .

ديسمبر : هجوم أمريكي بريطاني على العراق. والعراق ترفض مناطق الحظر الجوى المفروض عليها .

{ ١٩٩٩ }

فبراير : إعادة انتخاب حافظ الأسد لمدة ٥ سنوات ونتيجة الاستفتاء ٩٩,٩٪ .

اغتيال آية الله محمد صادق الصدر واثنين من أبنائه فى النجف المدينة الشيعية المقدسة .

وفاة الملك حسين ملك الأردن .

أبريل : قذف أمريكى بريطاني مستمر على العراق. والسلطة الفلسطينية تؤجل إعلان الدولة الفلسطينية .

مايو : عرفات يقبل تأجيل الإعلان عن الدولـــة الفلسطينيـــة تحـــت ضغوط أمريكية .

انتخابات مبكرة فى إسرائيل وياهود باراك يفوز بالانتخابات عن حزب العمال الإسرائيلي .

ديسمبر : إعادة المحادثات بين إسرائيل وسوريا والتي توقفت فى العام ١٩٩٦، وإسرائيل ترفض التطبيق الحرفي للقرارات الدولية .

{ ٢٠٠٠ }

فبراير : انتخابات تشريعية فى إيران وخاتمى يفوز مع الإصلاحيين بـــ ١٧٠ من أصل ٢٩٠ مقعدًا فى البرلمان. البابا يوحنا بولس الثاني يوقع اتفاقًا مع ياسر عرفات ويعلن رفضه لأية حلول أحادية الجانب .

مايو : انسحاب الجيش الإسرائيلي من جنوب لبنان بعد احتلال استمر ٢٢ عامًا.

يونيو : فوز موسى كازناف فى الانتخابات الإسرائيلية .

سبتمبر : إريل شارون يتوجه إلى المسجد الأقصى فى زيارة استفزازية تؤدى إلى مواجهات عنيفة فى الضفة وغزة .. وبداية الانتفاضة الثانية .

أكتوبر : مقتل ١٧ جنديًا أمريكيًا فى هجوم إرهابى على الباخرة كول فى ميناء عدن فى اليمن .

نوفمبر : ياهود باراك يوافق على بناء جدار فاصل يبدأ من الشمال الشرقي للضفة الغربية وحتى منطقة لترون .

{ ٢٠٠١ }

فبراير : فوز حزب الليكود فى الانتخابات الإسرائيلية إيريل شارون يصبح رئيس الوزراء .

أبريل : غارة جوية إسرائيلية على سوريا .

سبتمبر : اغتيال مسعود فى أفغانستان – والهجوم على أبراج مركز التجارة العالمية فى نيويورك، والبنتاجون فى واشنطن هجوم ثلاثي رهيب نفذته القاعدة منظمة أسامة بن لادن .

أكتوبر : الحملة الأمريكية ضد طالبان والقاعدة فى أفغانستان .

وسوريا تصبح عضوًا دائمًا فى مجلس الأمن .

اغتيال الجنرال الإسرائيلي ووزير السياحة رصبعام زئيفى على يد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ديسمبر : بداية الحصار المفروض على ياسر عرفات "والمقاطعة" فى رام الله .

أبريل شارون يرفض التعامل مع ياسر عرفات. وعرفات يطالب بالوقف الكامل للهجمات على إسرائيل .

{ ٢٠٠٢ }

يناير : جورج بوش يشير إلى أن العراق وإيران وكوريا الشمالية محور الشر .

مارس : مجلس الأمن يتبنى القرار ١٣٩٧ والذي يذكر وللمرة الأولى رؤية حل الدولتين إسرائيل وفلسطين .

إبريل : قرار الحكومة الإسرائيلية بالبدء فى إقامة حاجز الفصل .

مايو : الجيش الإسرائيلي يرفع الحصار عن "المقاطعة" فى رام الله .

يونيو : خطاب للرئيس جورج بوش يؤيد فيه إقامة دولة فلسطينية وينادى بتغيير عرفات،

يوليو : واشنطن ترغب فى تغيير النظام فى العراق وسوف تستخدم كل الوسائل لتحقيق ذلك .

أغسطس : حكومة شارون توافق على مسار خط الفصل وتعيد احتلال ست مدن من أصل سبع كانت حصلت على حكم ذاتى .

أكتوبر : استقالة ستة وزراء إسرائيليين من الحكومة : بن بنيامين اليعازر وشيمون بيريز على رأس الوزراء من حزب العمال الذين قدموا استقالاتهم والكونجرس الأمريكي يوافق على استخدام القوة فى العراق .

نوفمبر : تمت الموافقة من جانب مجلس الأمن على القرار ١٤٤١ والذي يعطى العراق ٧ أيام للخضوع لالتزاماته بشأن نزع السلاح. والعراق توافق دون تحفظ .

ديسمبر : الولايات المتحدة وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة تضع خارطة الطريق وهى خطة على مراحل تؤدى للوصول إلى إقامة دولة فلسطينية. تقرير عن البرامج العسكرية العراقية والمعارضة العراقية فى لندن تدعو لقلب النظام العراقي وإقامة دولة ديمقراطية .

{ ٢٠٠٣ }

يناير : واشنطن ترفع أعداد القوات الأمريكية فى منطقة الخليج حيث تصل إلى ١٥٠ ألف جندي، فرنسا تعارض الهجوم على العراق على لسان وزير خارجيتها فى مجلس الأمن ووزير الدفاع الأمريكي يهاجم فرنسا وألمانيا لرفضهما المشاركة .

هانس بليكس رئيس المفتشين الدوليين التابعين للأمم المتحدة ينفى أي علاقة بين النظام العراقي والقاعدة .

فبراير : فوز أحمدى نجاد فى الانتخابات ليصبح محافظ طهران، وحصول المحافظين على ٨٥٪ من مقاعد البرلمان، فرنسا وألمانيا وروسيا يسعون لإيجاد حل بديل للحرب على العراق .

وبغداد توافق بدون تحفظ على استطلاعات جوية للطائرات " يو ٢" "يوتو" التابعة للأمم المتحدة، ومظاهرات تجمع الملايين فى أنحاء العالم ضد الهجوم الأمريكي على العراق .

مارس : محمود عباس يتولى رئاسة الوزراء فى السلطة الفلسطينية .

هانس بليكس يصدر تقريرًا يوضح فيه إسراع العراق فى تنفيذ نزع أسلحة الدمار الشامل .

وروسيا تعلن نيتها استخدام الفيتو ضد أي مشروع يسمح للأمريكيين بمهاجمة العراق، وجاك شيراك يعلن فى التليفزيون الفرنسي بعمل المستحيل لمنع حرب العراق .

وجورج بوش يعطى مهلة لصدام حسين ٤٨ ساعة لمغادرة العراق .

كولن باول وزير الخارجية الأمريكي يصرح بأن هناك ٤٥ دولة تؤيد أمريكا ضد العراق، وبدأت عملية تحرير العراق فى ٢٠ يناير .

أبريل : الجيش الأمريكي يسيطر على بغداد. وهروب صدام حسين ورموز نظامه وتمثال الديكتاتور تم إسقاطه ومتحف الآثار فى بغداد تم نهبه .

جورج بوش يطالب برفع العقوبات عن العراق، وتم تعيين جاى جارنر مديرًا مؤقتًا لإدارة العراق، بعد الحرب .

مايو : جورج بوش يعلن من على سطح حاملة الطائرات أبرهـــام لينكولـــن " انتهاء المعارك فى العراق، " تم تعيين بول بريمر الدبلوماسى لإدارة إعادة بناء العراق باعتباره مديرًا مدنيًا .

عودة الزعيم الشيعي محمد باقر الحكيم المنفى منذ سنوات فى إيران إلى العراق .

منع البعثيين من الوصول لأية وظيفة رسمية .

تقديم خريطة الطريق بين الفلسطينيين والإسرائيليين فى العقبة والتي سوف تؤدى إلى قيام الدولة الفلسطينية فى حدود ٢٠٠٥ .

يوليو: الولايات المتحدة تعرض ٢٥ ألف دولار للقبض على صدام حسين.

أول اجتماع للحكومة المؤقتة العراقية والتي تضم ٢٥ وزيرًا.

مقتل نجلى صدام حسين على يد القوات الأمريكية فى الموصل .

أغسطس : هجوم إرهابى على مكاتب منظمة الأمم المتحدة فى بغداد يؤدى إلى مقتل ٢٢ شخصًا .

مقتل آية الله محمد باقر الحكيم و١٧ من أتباعه فى انفجار سيارة مفخخة أمام ضريح الإمام على فى النجف .

سبتمبر: صدور قرار عن الأمم المتحدة يطالب إسرائيل بالتخلي عن تهديداتها بطرد ياسر عرفات، ويدين العمليات الإرهابية للمجموعات الفلسطينية.

أكتوبر : فرنسا وألمانيا وانجلترا " الترويكا " تحصل على تعهد إيراني بوقف تخصيب اليورانيوم. وفريق التفتيش الدولي فى العراق يعلن عدم وجود أسلحة تدمير شامل فى العراق.

اعتداء إرهابى على الصليب الأحمر فى بغداد والأمم المتحدة تعلن سحب موظفيها مؤقتًا من بغداد .

نوفمبر : إيران تعلن موافقتها على تعليق تخصيب اليوارنيوم فى مقابل مفاوضات مع الدول الأوروبية حول المشاركة فى أبحاث الذرة المدنية .

تكليف "أبو قريع" و "أبو العلاء" بتشكيل حكومة جديدة .

موافقة مجلس الأمن على القرار ١٥١٥ والخاص بالرباعية (الولايات المتحدة – روسيا – والاتحاد الأوروبي ووالأمم المتحدة) للوصول إلى حل دائم للصراع الإسرائيلي الفلسطيني والذي وافقت عليه كل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية .

إيريل شارون يوافق على الانسحاب من غزة فى حدود العام ٢٠٠٥ .

القبض على صدام حسين فى تكريت .

{ ٢٠٠٤ }

فبراير : فوز ساحق للمحافظين فى إيران .

مارس : مقتل الشيخ ياسين المؤسس والمرشد الروحي لحركة حماس عقب غارة جوية إسرائيلية على غزة .

الحكومة العراقية تتبنى دستورًا مؤقتًا للبلاد وحلول وسط يقبلها الإسلاميون والعلمانيون، والذى ينص على أن الإسلام مصدر القانون ولكن ليس المصدر الوحيد.

أبريل : مقتل عبد العزيز الرنتيسى زعيم حماس وخليفة الشيخ ياسين عقب غارة جوية إسرائيلية فى غزة وبداية المعارك بين ميليشيات الشيعة التابعة لمقتدى الصدر وقوات التحالف فى العراق .

وعمليات واسعة النطاق لقمع التمرد السني فى الفالوجا تقوم بها القوات الأمريكية .

مايو : صحيفة النيويورك تايمز تفضح أساليب التعذيب المنظمة فى سجون العراق. وروناالد رامسفلد يعرب عن أسفه واعتذاره للممارسات التي يقوم بها

الجيش الأمريكي على المساجين العراقيين، وبول بريمر يتحدث عن إمكانية خروج الجيش الأمريكي من العراق علي اعتبار رفض الشعب العراقي لوجوده .

يونيو : غازى الياور يصبح رئيسًا للعراق. وتبنى الأمم المتحدة للقرار ١٥٤٦ حول نقل السيادة فى العراق مع تفاصيل الخطوات التي تؤدى إلى تنظيم الانتخابات حتى العام ٢٠٠٥ وشروط بقاء قوات التحالف دون تحديد تاريخ محدد. ثم حل السلطة المؤقتة لقوات التحالف وعودة بول بريمر إلى بلاده .

يوليو: محكمة العدل الدولية تعلن عدم شرعية بناء الجدار الفاصل فى الضفة الغربية. وبداية محاكمة صدام حسين على خلفية سبعة اتهامات رئيسية لجرائم ضد الإنسانية.

أغسطس : تمرد شيعي فى النجف وميليشيات مقتدى الصدر تستولي على ضريح على فى النجف، وبعد مفاوضات مقتدى الصـــدر يوافــق علـــى نـــزع سلاح الميليشيات .

سبتمبر : تخطى الرقم ١٠٠٠ لقتلى القوات الأمريكية فى العراق .

إصدار مجلس الأمن للقرار ١٥٥٩ والذي ينص على سيادة لبنان واستقلاله. وجلاء جميع القوات الأجنبية من أراضيه وتنظيم انتخابات رئاسية حرة وعادلة .

أكتوبر: أول انتخابات ديمقراطية فى أفغانستان .

تقرير رئيس المفتشين الدوليين فى العراق يؤكد على خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل بكل أنواعها الكيميائية والبيولوجية والذرية .

نوفمبر: وفاة ياسر عرفات.

اتفاق باريس الذي ينص على تعليق تخصيب اليورانيوم الإيراني فى مقابل تعهدات أوربية للتعاون الذرى والتجاري والاقتصادى مع إيران. وإيران تجمد تخصيب اليورانيوم. ولكنها ترفض نهائيًا التخلي تمامًا عن ذلك .

ديسمبر :.بداية المفاوضات من جانب الترويكا والنظام الإيراني حول البرنامج النووي الإيراني .

{ ٢٠٠٥ }

يناير : تم تعيين محمود عباس رئيس منظمة فتح رئيسًا للسلطة الفلسطينية – وأول انتخابات متعددة الأحزاب فى العراق .

فبراير : مؤتمر شرم الشيخ : إعلان انتهاء العنف بين الفلسطينيين والإسرائيليين وإسرائيل تطلق سراح ٩٠٠ فلسطيني وتنسحب تدريجيًا من المدن الفلسطينية ومصر والأردن تعيدان فتح سفارتهما فى إسرائيل .

اغتيال رفيق الحريري و٢٢ شخصًا من أتباعه فى عملية تفجير فى بيروت

وإسرائيل تجمد نقل الشئون الأمنية للسلطة الفلسطينية بعذ عملية انتحارية فى تل أبيب.

مارس : مؤتمر لندن لوضع المساعدات الاقتصادية للشعب الفلسطيني، وإعادة بناء قوات الأمن الفلسطيني. مظاهرات تجمع مليون شخص من معارضي النظام السوري فى ساحة الشهداء فى بيروت، والجماهير تطالب بالتحقيق فى قضية مقتل الحريري، وتنحى الرئيس كرامي عن الحكم .

أبريل : هجوم إرهابى فى منطقة خان الخليلي فى القاهرة يؤدى إلى مقتل ٣ وإصابة ١٨ آخرين. وبعد أسبوعين فقط من انفجار آخر يقع بقرب المتحف المصري وفي نفس اليوم امرأتان تطلقان النار على عربة تقل سياحًا .

انتخاب جلال طالبانى الكردى الأصل رئيسًا للعراق من طرف البرلمان المؤقت فى العراق، وتعيين إبراهيم الجعفرى الشيعى الأصل لرئاسة الوزراء بقرار من الرئيس طالبانى.

مايو : عودة ميشيل عون إلى لبنان بعد ١٥ عامًا من المنفى فى باريس. وفوز التجمع المناهض لسوريا فى الانتخابات اللبنانية بحصوله على ٧٢ مقعدًا من أصل ١٤٨ فى البرلمان اللبناني .

يونيو : انفجار سيارات مفخخة فى شرم الشيخ تؤدى إلى مقتل ٨٨ شخصًا معظمهم من المصريين وتبنت هذه الانفجارات مجموعة مقربة من القاعدة.

أغسطس : إيران ترفض العروض الغربية، وتعيد تخصيب اليورانيوم فى أصفهان والولايات المتحدة تطالب باجتماع لمجلس الأمن .

بداية إخلاء المستعمرات الإسرائيلية فى غزة وفقًا للاتفاقيات الموقعة .

سبتمبر : وكالة الطاقة الذرية تتبني قرارًا بعرض الموضوع الإيراني على مجلس الأمن، وانتخابات متعددة الأحزاب فى مصر، وإعادة انتخاب حسنى مبارك بنسبة ٨٨,٦ ٪ ونسبة مشاركة ٢٣٪ !

سلسلة من التفجيرات فى بغداد تؤدى إلـــى مقتـــل ١٥٠ شخصًا. وأبو مسعد الزرقاوى زعيم القاعدة فى العراق يعلن الحرب الشاملة ضد الشيعة متهمًا إياهم بالقضاء على السنيين .

أكتوبر : الرئيس الإيراني أحمدى نجاد يكرر استفزازاته لإسرائيل. والتي يجب أن يتم شطبها من الخريطة، ويشكك فى المحرقة اليهودية فى زمن النازية .

مشروع الدستور فى العراق والذي يتضمن الفيدرالية يتم الموافقة عليه عن طريق استفتاء ويحصل على نسبة ٧٨٪ وبداية – محاكمة صدام حسين .

نوفمبر : ثلاثة انفجارات فى عمان تؤدى إلى مقتل ٦٠ شخصًا وجرح ٣٠٠ آخرين .

ديسمبر : مقتل عضو البرلمان المعارض لسوريا جبران التونى فـــى انفجار سيارة .

استقالة أحمد قريع. ومنظمة الجهاد الإسلامي وعدة منظمات أخرى ترفض تمديد وقف إطلاق النار مع إسرائيل. فى الانتخابات العراقية : قائمة الشيعة المحافظين تحصل على ٧٨ مقعدًا من أصل ٢٧٥ ولكنها لا تحصل على الأغلبية. القائمة الكردية تحصل على ٥٣ مقعدًا، والقائمة السنية على ٤٤ مقعدًا .

{ ٢٠٠٦ }

يناير : إيريل شارون يصاب بجلطة دماغية ويقع فى غيبوبة دائمة .

إيران ترفع الأختام التي وضعتها وكالة الطاقة الذرية على المواقع المخصصة للأبحاث النووية. فوز حماس فى الانتخابات التشريعية الفلسطينية .

فبراير : وكالة الطاقة الذرية تطالب برفع الملف الإيراني أمام منظمة الأمم المتحدة. وإيران تلغى التفتيش المفاجئ للمفتشين الدوليين .

تهدم أجزاء من المسجد الذهبي فى سامراء نتيجة انفجار إرهابى. وتزايد العنف فى الأيام التالية بين الشيعة والسنة يؤدى إلى قتل ٤٥٠ شخصًا .

مارس : وفشل المحادثات بين الترويكا وإيران ونقل الملف الإيراني للأمم المتحدة .

أبريل : أحمد نجاد يعلن أن إيران قد لحقت البلدان النووية بتخصيبها الناجح لليورانيوم. إيريل شارون يفقد رسميًا منصبه لرئاسة الوزراء الإسرائيلية وفقًا للقانون اسرائيلى ويهود أولمرت يخلفه .

مايو : أحمدى نجاد يكتب للرئيس بوش عن طرق جديدة لحل الخلافات فى العالم، وهو تصرف دون سابق منذ إعلان الثورة الإسلامية فى العام ١٩٧٩. وكوفى عنان يطالب الولايات المتحدة بالتفاوض المباشر مع طهران. والولايات المتحدة تقبل لأول مرة الاشتراك فى المفاوضات بجانب الأوربيين مع إيران بشرط أن توقف طهران تخصيب اليورانيوم .

في العراق يصوت البرلمان الكردستاني على ضم الأقاليم الثلاثة، والتي تؤدى إلى المصالحة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البرزانى، وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة جلال طالبانى .

يونيو : عرض تقدمه مجموعة الخمسة زائد واحد يحتوى على اقتراحات تشجيعية لإيران إذا تخلت عن تخصيب اليورانيوم وإيران تعلن استعدادها للتفاوض ولكن بدون شروط مسبقة .

اختطاف الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط من طرف مجموعة مسلحة فلسطينية خلال هجوم على موقع للجيش الإسرائيلي فى إسرائيل. ومقتل أبو مسعد الزرقاوى فى غارة أمريكية .

يوليو : إسرائيل تهاجم لبنان بحجة القضاء على حزب الله بعد اختطافه لجنديين إسرائيليين وهذا الهجوم أدى إلى مقتل ١٤٠٠ مواطن لبناني .

قرار للأمم المتحدة يعطى مهلة شهر لإيران لإيقاف تخصيبها لليورانيوم قبل إصدار عقوبات ضدها. تقرير للأمم المتحدة يعلن فيه مقتل أكثر من مائة شخص كل يوم فى العراق .

أغسطس : إيران تتقدم بمقترحات جادة للأمم المتحدة حول الموضوع النووى لا تتضمن إيقاف تخصيبها لليورانيوم .

أكتوبر : إسرائيل تسحب قواتها من جنوب لبنان باستثناء قرية الغجر .

والبرلمان العراقي يصدر قرارًا بإنشاء حكومة فيدرالية .

نوفمبر : إسرائيل تقوم بهجوم على قطاع غزة يؤدى إلى مقتل ٥٠ فلسطينيًا و٢٠٠ جريح خلال أربعة أيام واتفاق وقف إطلاق النار فى غزة .

مقتل الوزير المعادى لسوريا بيار الجميل .

المحكمة العراقية الخاصة تصدر حكمًا بالإعدام شنقًا على صدام حسين لقتله ١٤٨ قرويًا فى العام ١٩٨٢، وسوريا والعراق تعيدان إقامة علاقاتهما الدبلوماسية والتي كانت قد انقطعت فى العام ١٩٨٠ .

ديسمبر : إيران تنظم مؤتمرًا دوليًا حول " المحرقة اليهودية – الهولوكوست" يضم ٦٧ مؤرخًا وباحثًا من ٣٠ دولة. مجلس الأمن يصوت على القرار ١٧٣٧ والذي يفرض عقوبات على البرنامج النووي الإيراني ولكنه لا يسمح باستخدام القوة ويمهل طهران فترة شهرين لإيقاف تخصيبها لليورانيوم .

تم إعدام صدام حسين شنقًا .

{ ٢٠٠٧ }

يناير : جورج بوش يعلن عن استراتيجية جديدة فى العراق وإرسال ٢١٥٠٠جندى أمريكي، الجماعة السلفية للجهاد تصبح منظمة القاعدة فى المغرب العربي .

فبراير : انتهاء المهلة التي أقرها مجلس الأمن لطهران لوقف تخصيب اليورانيوم. والوكالة الدولية للطاقة الذرية تعلن أن إيران لم توقف نشاطاتها للتخصيب. وتعلن إيقاف مساعدتها الفنية لإيران .

مارس : تشكيل حكومة وحدة وطنية فى فلسطين .

إلقاء القبض على ١٥ جنديًا بريطانيًا فى المياه الإقليمية الإيرانية فى الخليج الفارسي .

الأمم المتحدة تتبنى القرار ١٧٤٧ والذي يشدد العقوبات الاقتصادية والتجارية على طهران .

أبريل : الحكومة العراقية توافق على إعادة ضم عسكريين سابقين فى نظام صدام حسين إلى قوات الجيش .

مايو : معارك فى لبنان بين الجيش اللبناني وحركة فتح الإسلام فى مخيم نهر البارد شمال لبنان تؤدى إلى مقتل أكثر من ٤٠٠ شخص .

يونيو : محمود عباس يعزل إسماعيل هنية من رئاسة الوزارة ويعين بدلاً منه سلام فياض. وحماس تسيطر عسكريًا على قطاع غزة .

سبتمبر : إسرائيل تعلن غزة كيانًا معاديًا وتوقع عليها عقوبات اقتصادية. والقوات الجوية الإسرائيلية تشن غارة على قاعدة الكبير فى سوريا التي تضم مفاعلاً نوويًا سريًا .

نوفمبر : مؤتمر أنا بوليس .

ديسمبر : مؤتمر باريس يقرر مساعدات بمبلغ ٧,٤ مليار دولار لفلسطين .

القوات البريطانية تنقل المسئوليات الأمنية فى البصرة إلى القوات العراقية .

{ ٢٠٠٨ }

يناير : البدء فى عمل السوق الخليجية المشتركة .

جولة للرئيس بوش وبصحبته وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس فى الشرق الأوسط .

البرلمان العراقي يقر قانون إعادة تأهيل البعثيين القدماء، وإمكانية عودتهم للحياة السياسية ويسمح للموظفين القدماء بالحصول على معاشات .

تم تأجيل الانتخابات الرئاسية للمرة الثالثة فى لبنان بسبب خلافات بين الأغلبية والحكومة السورية، وبداية تبادل العنف بين إسرائيل والفلسطينيين، وتقوم إسرائيل بمحاصرة قطاع غزة وشن عدة هجمات جوية، وتقوم حماس بتفجيرات على الحدود المصرية لكسر الحصار والسماح للمواطنين بالحصول على الإمدادات الغذائية. فى اليمن مجموعة للقاعدة تتبنى الهجوم على ١٥ سائحًا بلجيكيًا فى وادي حضر موت وتقتل امرأتين بلجيكيتين وسائقهما اليمنى .

تقرير لجنة فينوجراد حول الحرب الإسرائيلية اللبنانية يشير إلى المسئولية العسكرية والفشل الذريع فى اتخاذ القرار على مستوى الإعداد وقرارات القيادة العسكرية للقوات البرية الإسرائيلية .

فبراير : اغتيال عماد مغنية الزعيم العسكري لحزب الله فى دمشق. الجيش التركي يقوم بهجوم على الأكراد، فى شمال العراق .

وهجوم للقوات الإسرائيلية فى عملية " الشتاء الساخن " على قطاع غزة لوقف إطلاق الصواريخ ضد المدنيين الإسرائيليين من طرف حماس. اشترك فيها أكثر من ٢٠٠٠ جندي إسرائيلى يساندها القذف الجوى ومقتل ١٣٠ ناشطاً فلسطينيا والكثير من المدنيين. وحسن نصر الله الزعيم الروحي لحزب الله يعلن عن حرب مفتوحة ضد إسرائيل .

مارس : بناء حائط فاصل بين قطاع غزة ومصر؛ لتجنب تدفق آلاف الفلسطينيين من جديد. هجوم على المدرسة التلمودية العبرية فى إسرائيل يؤدى إلى مقتل ٨ طلاب وجرح عشرة آخرين قام بها مواطن فلسطيني من القدس الشرقية. وحماس تعلن مسئوليتها عن الهجوم.

المؤتمر الحادي عشر لمنظمة المؤتمر الإسلامي فى داكار، تبنى ميثاق جديد والذي يأخذ مرجعيته من الحقوق الإنسانية، والحريات الأساسية، ودولة القانون، ومساندة الشعب الفلسطيني فى إقامة دولته المستقلة .

انتهاء المؤتمر القومي للمصالحة فى العراق، والذي يضم ٤٠٠ ممثل للطوائف "السنة والشيعة والأكراد"، والذي لم يؤد إلى نتائج تذكر. والعثور على جثة الأرشيفك شالدين فى الموصل بعد اختطافه فى ٢٩ فبراير. تحت رعاية الرئيس اليمنى على عبد الله صالح تم إعلان اتفاق صنعاء للمصالحة بين حماس وفتح الذي يقرر إجراء انتخابات تشريعية مبكرة فى الأراضي الفلسطينية المحتلة .

مؤتمر القمة العربية العشرين فى دمشق يتميز بغياب الوفد اللبناني، ورؤساء الدول العربية الموالية لواشنطن مثل مصر والمملكة السعودية والأردن يعلنون عن رفضهم التدخل السوري فى لبنان. مواجهات عنيفة بين ميليشيات الصدر والقوات العراقية فى البصرة وهى مواجهات بين ميليشيات شيعية لغرض السيطرة بعد انسحاب القوات البريطانية من المدينة .

أبريل : معارك بين أتباع مقتدى الصدر والقوات العراقية المدعومة من القوات الأمريكية واغتيال رياض النورى فى منزله فى النجف. وهجوم من حماس على القوات الإسرائيلية من أجل فك الحصار. تأجيل البرلمان اللبناني. ميليشيات الصدر والقوات العراقية. وهجوم للجيش العراقي على أعضاء من القاعدة واشتباكات دموية بين الشيعة والسنة فى لبنان .

حكومة فؤاد السنيورة ذات الأغلبية السنية تقرر إغلاق الشبكة الخاصة للاتصالات التابعة لحزب الله وتنقل المسئول الأمني فى مطار بيروت الدولي. هذه القرارات اعتبرت إعلان حالة حرب من جانب حزب الله، وإعلان الشيعة للعصيان المدني وتؤيدها فيه النقابات التي تنادى بمطالب لرفع الأجور. وتحولت المظاهرات إلى مواجهات قاتلة بين السنة والشيعة وحزب الله يسيطر على المناطق الغربية من بيروت ويغلق الطرق المؤدية إلى الميناء البحري والمطار / ومعارك فى طرابلس شمال لبنان ومنطقة الشوف فى الجنوب الشرقي .

واضطرت الحكومة لإلغاء القرارات التي قد اتخذتها ضد حزب الله فى الأيام السابقة وتوسط الجامعة العربية ودولة قطر فى عقد مصالحة فى الدوحة تؤدى إلى تعيين الجنرال ميشيل سليمان لرئاسة الجمهورية وتحتفل بعيد إنشائها الستين .

وبداية محاكمة طارق عزيز وزير خارجية صدام حسين فى بغداد .

يوليو : تبادل الأسرى وجثث الموتى بين إسرائيل وحزب الله .

أغسطس : العراق توقع على معاهدة بمنع أي تجارب نووية .

سبتمبر : بداية مناقشات وطنية بين حزب الله والأحزاب الأخرى حول العلاقة بين حزب الله والجيش اللبناني. استقالة يهودا أولمرت من رئاسة الوزارة الإسرائيلية بعد عامين ونصف فى السلطة.

بداية حملة معادية للمسيحيين فى الموصل شمال العراق، أدت إلى مقتل العشرات وهجرة الآلاف من المسيحيين .

أكتوبر : إقامة علاقات دبلوماسية بين لبنان وسوريا والاتفاق على فتح السفارات فى دمشق وبيروت. مواجهات عنيفة بين الفلسطينيين واليهود استمرت أربعة أيام .

نوفمبر : لبنان تقرر إقامة علاقات دبلوماسية مع"الدولة " الفلسطينيية، وتفتح سفارة لها فى بيروت بدلاً من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية .

البرلمان العراقي يتبنى الاتفاق الأمني مع الولايات المتحدة الذي ينص على انسحاب القوات الأمريكية فى العام ٢٠١١ .

البرلمان الجزائري يوافق على تعديل الدستور الذي يسمح للرئيس بوتفليقة للتقدم لولاية ثالثة .

المؤلفان فى السطور :

١- أنطوان سفير

متخصص فى العلوم السياسية وصحفى، ومدير صحيفة كراسة الشرق التى تصدر فى باريس، رئيس مركز الدراسات والبحوث فى الشرق الأوسط، وأستاذ فى العلاقات الدولية فى جامعات فرنسا من بين آخر مؤلفاته (الشرق المعقد) (ونبذة عن تاريخ الإسلام فى متناول الجميع) (وهل ستنجو إسرائيل ؟).

٢- كريستيان شاسنو

صحفى متخصص فى شئون الشرق الأوسط يعمل حاليًا فى الخدمات الخارجية لإذاعة (فرانس إنتير)، وقد كتب بالاشتراك مع زميل له ثلاثة كتب عن المنطقة العربية وبالتحديد عن العراق ولبنان وكان قد اختطف كرهينة فى العراق ثم أخلى سبيله فى عهد الرئيس جاك شيراك.

آخر مؤلفاته (بعد الاختطاف) (ومذكرات رهينة)، وعمل صحفيًا فى مصر فى جريدة التطور، التي تصدر فى القاهرة باللغة الفرنسية ومراسلاً لعدة صحف وإذاعات فرنسية.

المترجم فى سطور

تميم فتح الباب خليل

حاصل على الماجستير فى علم النفس من جامعة ستراسبورج، ودبلوم فى الترجمة من الغرفة التجارية الفرنسية البريطانية باريس – قام بترجمة العديد من الأبحاث الأكاديمية فى الجغرافيا السياسية والاستراتيجيات الدولية.

التصحيـــح اللغــوى : حسن عبد الخالق

الإشـــراف الفنــــى : حســــن كامــل



يعانى العالم العربي منذ عشرات السنين من التراجع الخطير والتخلف الظاهر وإن كان الغرب يتحمل الجزء الأكبر من المسئولية عن هذا التخلف، فلا يمكن إعفاء القادة الشرقيين أيضا ومن توارثوهم من هذه المسئولية.

لقد كان العالم العربي وما زال، فريسة لأطماع القوى العظمى، منذ بداية الحرب العالمية الأولى، حيث أصبحت هذه المنطقة مسرحًا للمواجهة والتنافس.

فاكتشاف البترول في العراق والمملكة العربية السعودية في الثلاثينيات فتح شهية الأوربيين والأمريكيين على المنطقة، وكان لإنشاء دولة إسرائيل في عام 1948 التي لم يتم القبول بها حتى الآن وقع الكارثة على العالم العربي، وأصبحت الصراعات تتوارث جيلًا بعد جيل وتتسع أكثر فأكثر ونشاهد اليوم ونحن عاجزون العدد الهائل من الضحايا وأسئلة عديدة تفرض نفسها.

هل هناك حتمية في أن لا يعرف العرب الراحة والسلام؟

هل الإسلام يتعارض مع النظم الجمهورية والديمقراطية؟

هذا الكتاب بحث بلا مجاملات، قام به على أرض الواقع وعلى مدى عامين، اثنان من المتخصصين في شئون العالم العربي: أنطوان
وكريستيان شانسو، بحث إرادة تحليل إكلينيكي للأزمات المتش
الشرق



تصميم الغلاف: سيد هلال